

# كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقة — في

جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْكَيْدَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْفَةِ ٢  
نَسْبًا ، وَبَيْنَ الصَّدَقِ مَبْأً ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ  
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ  
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،  
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أَصُوبَ في أَمْرِكَ ، وَأَدْلَى عَلَى  
مَقْدَارِ وَزْنِكَ ، وَعَلَى الْحَالِ الَّتِي وَضَعْتَ نَفْسَكَ فِيهَا ، وَوَسَّمتَ عَرْضَكَ  
بِهَا ، وَرَضِيَتْهَا لِدِينِكَ حِطًّا (٢) ، وَلَمَرَوْعَتِكَ شِكْلًا ؛ [ فَقَدْ انْتَهَى إِلَى  
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلُكَ عَلَيْهِ ، وَطَعْنُكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقُّصُكَ  
لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِيَكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ  
الْمَكْلَبِ وَمُضَارَّهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجْمَعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبِعِهِ  
وَنَظْمِهِ ، وَمَنْ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمَ فِيهِمَا . ثُمَّ عِبْتَنِي بِكِتَابِ حِيلِ  
الْأَصْصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعِبْتَنِي بِكِتَابِ الْمَلْحِ وَالطُّرْفِ ،  
وَمَا حَرَّ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرْدُ ، وَمَا عَادَ بَارِدُهُ (٣) حَارًّا لِقَرْطِ بَرْدِهِ حَتَّى

(١) في ط : « البر واليقين » . وما أثبتته في ل ، ١٠ س وهو الصواب .

(٢) كذا في ل ، ١٠ س وهو تصحيح ما في ط « ورضيتها لعرضك حطًا » .

(٣) في ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتَعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبّنى بكتابِ احتجاجاتِ البخلاءِ ،  
ومناقضَتِهِمَ للسُّمَحَاءِ ، والقولِ في الفرقِ بينِ الصدقِ <sup>(١)</sup> [ إذا كان ضارًّا  
في العاجلِ ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجلِ ، ولمَ جُعِلَ الصدقُ أبداً  
محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقُ بينِ الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ،  
وبينِ الإفراطِ في الحميّةِ والأنفَةِ ، وبينِ التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ  
الاكتراثِ لسوءِ <sup>(٢)</sup> القالةِ ؛ وهل الغيرةُ اكتسابٌ وعادةٌ ، أم بعضُ ما يعرضُ  
من جهةِ الديانةِ ، ولبعضُ التزيُّدِ فيه والتحسُّنِ به ، أو يكونُ ذلكُ في طباعِ  
الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانتِ العقولُ سليمةً ، والآفاتُ منفيّةً <sup>(٣)</sup>  
والأخلاقُ معتدلةً .

وعبّنى بكتابِ الصُّرَحَاءِ والمُهَجَّنَاءِ ، ومفاخرةِ السُّودانِ والحرمانِ ،  
وموازنةِ ما بينِ حقِّ الخنولةِ والعمومةِ ؛ وعبّنى بكتابِ الزرعِ والنخلِ  
والزيتونِ والأعنانِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛  
وبكتابِ فضلِ ما بينِ الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بينِ الذكورِ والإناثِ ،  
وفي أيِّ موضعٍ يغلبُ ويفضّلُنْ ، وفي أيِّ موضعٍ يكنُ المغلوباتِ والمفضولاتِ ،  
ونصيبِ أيّهما في الولدِ أوفرَ ، وفي أيِّ موضعٍ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأيِّ  
عملٍ هو بهنَّ أليقَ ، وأيِّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغَ .

وعبّنى بكتابِ القحطانيّةِ و [ كتابِ ] العدنانيّةِ في الردِّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) في ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال في القاموس « ما أكثرَ ث له :  
ما أبالي به » وقال الزبيدي : الأصل فيه ألا يستعمل إلا في النفي وشذ ، استعماله  
في الإثبات .

(٣) هذا ما في ل . وفي ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .



القحطانية ، وزعمت أني تجاوزت فيه حدَّ الحمية إلى حدَّ العصية ،  
 وأنني لم أصل<sup>(١)</sup> إلى تفضيل العدنانية إلا بتقص<sup>(٢)</sup> القحطانية . وعبتي ٣  
 بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بخست الموالى حقوقهم ، كما أني أعطيت  
 العرب ما ليس لهم . وعبتي بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول  
 في فرق ما بين العرب والعجم ، هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب ،  
 ونسبتي إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المعاد من  
 الخطل ، وتحمل الناس المؤن .

وعبتي بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة  
 العرب إياها ، وكيف اختلفا في جهة العلة<sup>(٣)</sup> مع اتفاقهما على جملة الديانة ،  
 وكيف صار عبَاد البُدَّة<sup>(٤)</sup> والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام  
 المنجورة ، أشدَّ الديانين إلفاً لما دانوا به<sup>(٥)</sup> ، وشغفاً بما تعبّدوا له<sup>(٦)</sup> ،  
 وأظهروهم جدّاً ، وأشدَّهُم على من خالفهم ضيغنا ، وبما دانوا ضيناً<sup>(٧)</sup> ،  
 وما الفرق بين البُدِّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) في ط : « بتقصيص » والمثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتقصه :  
 يقع فيه ويذمه » .

(٣) في ط : « العلة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « عبادة البُدرة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبددة: جمع بد  
 - بضم الباء - وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) في ل : « أشد الناس إلفاً لما دانوا به » .

(٦) في ط : « وشغفاً لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشئ إذ  
 علق قلبه به .

(٧) في ل : « صباة وعجبا » .

الدُّمِيَّة والجُنَّة ، وَلَمْ صَوَّرُوا فِي مَحَارِبِهِمْ وَبُيُوتِ عِبَادَتِهِمْ ، صَوَّرَ عِظَامَهُمْ وَرِجَالِ دَعْوَتِهِمْ ، وَلَمْ تَأْنَقُوا فِي التَّصْوِيرِ ، وَتَجَوَّدُوا<sup>(١)</sup> فِي إِقَامَةِ التَّرَكِيبِ ، وَبَالَغُوا فِي التَّحْسِينِ وَالتَّفْخِيمِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ أَوَّلِيَّةُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ ، وَكَيْفَ اقْتَرَفَتْ تِلْكَ النَّحْلَ ، وَمِنْ أَىِّ شَكْلِ كَانَتْ خُدَعُ تِلْكَ السَّدَنَةِ ، وَكَيْفَ لَمْ يَزَالُوا أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ عِدْداً ، وَكَيْفَ شَمِلَ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ الْأَجْنَاسَ الْمُخْتَلِفَةَ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ الْمَعَادِنِ ، وَالْقَوْلِ فِي جَوَاهِرِ الْأَرْضِ ، وَفِي اخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْفَلِيزِ وَالْإِخْبَارِ عَنْ ذَاتِهَا وَجَامِدِهَا ، وَمَخْلُوقِهَا وَمَصْنُوعِهَا ، وَكَيْفَ يَسْرِعُ الْإِنْقِلَابُ إِلَى بَعْضِهَا ، وَيُبْطِئُ عَنْ بَعْضِهَا ؛ وَكَيْفَ صَارَ بَعْضُ الْأَلْوَانِ يَصْبُغُ وَلَا يَنْصَبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَنْصَبُغُ وَلَا يَصْبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَصْبُغُ وَيَنْصَبُغُ ، وَمَا الْقَوْلُ فِي الْإِكْسِيرِ وَالتَّلْطِيفِ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ هَاشِمٍ وَعَبْدِ شَمْسٍ ، وَكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ ، وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَعْرِفَةِ الْهَدْهِدِ وَاسْتَطَاعَةِ الْعَفْرِيتِ<sup>(٢)</sup> ، وَفِي الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ السِّكِّتَابِ ، وَمَا ذَلِكَ الْعِلْمُ<sup>(٣)</sup> ، وَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِمْ : كَانَ [ عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ]

---

(١) فِي ط : « تَجَرَّدُوا » بِالرَّاءِ . وَصَوَابُهُ مَا فِي ل . وَتَجَوَّدُ : فَعْلٌ الْجِدِّ .

(٢) فِي ط : « وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي اسْتِيلَاءِ الْعَفْرِيتِ عَلَى سُلَيْمَانَ وَفِي الْهَدْهِدِ » ، وَهُوَ كَلَامٌ مَشْهُوَ مَحْرُوفٌ وَضَعْتُ بَدْلَهُ مَا فِي ل . وَمَعْرِفَةُ الْهَدْهِدِ هِيَ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِآيَةِ « وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ » . وَأَمَّا اسْتَطَاعَةُ الْعَفْرِيتِ فَهِيَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « قَالَ عَفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ » . يَعْنِي عَرِشَ بَلْقِيسَ .

(٣) فِي ط : « وَمَا الَّذِي هُوَ ذَلِكَ الْعِلْمُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل .

وعبّنتي بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإنفاقات  
 [ وكيف أسباب الثمير والترقيح <sup>(١)</sup> ] ، وكيف يَحتلب <sup>(٢)</sup> التجار الحرفاء ،  
 وكيف الاحتيال للودائع ، [ وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذي يوجب  
 لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ  
 الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد مستروا وكشف  
 ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنتي برسائلي [  
 وبكلِّ ما كتبت [ به ] إلى إخواني وخلطائي ، من مزح وجِدِّ ، ومن إفصاح  
 وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح  
 لا يزال أثره نامياً ؛ ومن ملح تُضحك ، ومواعظ تُبكي .

٤

وعبّنتي برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ،  
 وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهاري لها في أتم حلية . وزعمت أني  
 قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال في  
 التشييع والاقتصاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أن مقالة  
 الزيدية خطبة مقالة الرافضة <sup>(٣)</sup> ، وأن مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية <sup>(٤)</sup> .  
 وزعمت أن في أصل القضية والذي جرَّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأولُه  
 صغير ، وأن كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [ مِنْ ] قليل ، وأنشدت قول  
 الراجز <sup>(٥)</sup> :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) في ط : « تجرد » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « خطبة مقالة الرافضة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط : « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما في ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز في المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ      وَإِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ  
وَسُحْقُ النَخْلِ      مِنْ الْفَسِيلِ

وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ      وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ  
وَقُلْتُ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٢) :

فَاعْلَمْ بُنَى فَإِنَّهُ      بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعِلْمُ  
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا      مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ  
وَقُلْتُ : وَقَالَ الْآخَرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ      رَبِّ جِدِّ سَاقَهُ اللَّعْبُ  
وَأَنشَدَتْ قَوْلَ الْآخَرِ (٣) :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ      تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبٍ (٤)  
قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ      حَتَّى تَظُلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّيْ  
وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدٍ يَكْرِبُ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشمارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عتي ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عترة » ، وعبارة « وهو قول عترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل . مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . . ماتنظرون : أي تنتظرون .

جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ آئُفَ<sup>(١)</sup> قَوْمِهِ بَنِي مَازَنَ أَنَّ سَبَّ رَاعِي الْمُحَرَّمِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٣)</sup> :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ  
وَتَقُولُ [ الْعَرَبُ ] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصَيَّةِ ، وَلَا تُلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً<sup>(٤)</sup> » .

وَعَبَّتْ كِتَابِي فِي خُلُقِ الْقُرْآنِ ، كَمَا عَبَّتْ كِتَابِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَشَبَّهَةِ  
وَعَبَّتْ [ كِتَابِي ] فِي الْقَوْلِ فِي أَصُولِ الْفِتْيَا وَالْأَحْكَامِ ، كَمَا عَبَّتْ كِتَابِي  
فِي الْإِحْتِجَاجِ لِنِظْمِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ وَبَدِيعِ تَرْكِيبِهِ . وَعَبَّتْ مَعَارَضَتِي  
لِلزَيْدِيَّةِ وَتَفْضِيلِي<sup>(٥)</sup> . الْإِعْتَزَالَ عَلَى كُلِّ نَحْلَةٍ ، كَمَا عَبَّتْ كِتَابِي فِي الْوَعْدِ  
وَالْوَعِيدِ ، وَكِتَابِي عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ<sup>(٦)</sup> ثُمَّ عَبَّتْ حِمْلَةَ كِتَابِي فِي الْمَعْرِفَةِ  
وَالْتَمَسَتْ تَهْجِينَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ، وَصَغَّرَتْ مِنْ شَأْنِهَا ، وَحَطَّطَتْ مِنْ قَدْرِهَا ،  
وَاعْتَرَضَتْ عَلَى نَاسِخِهَا وَالْمُنْتَفِعِينَ بِهَا ، فَعَبَّتْ كِتَابَ الْجَوَابَاتِ ، وَكِتَابَ  
الْمَسَائِلِ ، وَكِتَابَ أَصْحَابِ الْإِلَهَامِ ، وَكِتَابَ الْحُجَّةِ فِي تَثْبِيْتِ النُّبُوَّةِ ،  
وَكِتَابَ الْأَخْبَارِ ، ثُمَّ عَبَّتْ إِنْكَارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وَبَصِيرَةِ كُلِّ  
جَاهِدٍ وَمُلْحِدٍ ، وَتَفْرِيقِي بَيْنَ اعْتِرَاضِ الْغُمَرِ<sup>(٧)</sup> ، وَبَيْنَ اسْتِبْصَارِ الْحَقِّ ، وَعَبَّتْ

(١) فِي ط : « آئُفَ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَأُفٍّ يَجْمَعُ عَلَى أَنْوَفٍ  
وَأَنْفٍ وَأَنْوَافٍ .

(٢) فِي ط ، ل ، س ، ١٠ س : « الْمُحَرَّمِ » بِالْخَاءِ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْخَزَانَةِ  
بِضَبِّ الْبَغْدَادِيِّ ٣ : ٧٧ . وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْبَاتِ سِتَّةِ رَوَاهَا الْبَغْدَادِيُّ وَذَكَرَ لَهَا قِصَّةَ  
طَوِيلَةٍ طَرِيفَةٍ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَاشِمٍ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ ٣ : ١٩٨ .

(٤) فِي ط : « حَيَّةٌ » وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفٌ طَبْعٌ .

(٥) فِي ط : « تَفْضِيلٌ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٦) فِي ط : « النَّصْرَانِيَّ وَالْيَهُودِيَّ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل .

(٧) هَذَا مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَفِي ط : « الْقَمَرِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْغُمَرُ :

الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَجِرِبِ الْأُمُورَ .

كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات <sup>(١)</sup> ، وكتاب الفرق ما بين النّبىّ والمنبىّ ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق <sup>(٢)</sup> ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة <sup>(٣)</sup> . ثمّ قصدت إلى كتابى هذا بالتصغير لقدرة والتهجين لنظمه ، والاعتراض <sup>(٤)</sup> على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، فزريت على نختيه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في الغرض الذى إليه نزعنا ، والغاية التى إليها قصدنا <sup>(٥)</sup> . على أنّه كتابٌ معناه أُنْبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى <sup>(٦)</sup> ، ويحتاجُ إليه الرّيّض كما يحتاجُ إليه الحاذق : أما الرّيّض فللتعلّم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبة وطبقات معانيه منزلة . وأما الحاذقُ فللكفاية المؤنّة ؛ لأنّ كلّ من التقط كتاباً جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرّمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرّضه لمطاعن البُغاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضِه عقله المسكودّ على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفّر بمثله صاحبُ علم ، أو هجمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافه ، ونشيطُ جامّ ،

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « البصرة » وصوابها مافى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغتاض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا مافى ل . وفى ط : « كما يحتاجُ إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مؤوَنَةً جمعه وخزَنِه ، وطلبِه وتَبَّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلَّ الحدَّ ، وأدرك أقصى حاجته وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أن له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأمم ، وتشابهه فيه العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عَرَبِيًّا أَعْرَابِيًّا ، وإِسْلَامِيًّا جَمَاعِيًّا ، فقد أخذَ من طُرُقِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعلمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وجدانِ الحاسة ، وإحساسِ الغريزة . ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتكُ كما يشتهيه الناسكُ ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللّهُو كما يشتهيه المجدُّ (١) ذو الحِزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفطن .

وعبَتَنِي بحكاية قولِ العُثمانيَّة (٢) والضَّرَّارية ، وأنتَ تسمَعُنِي (٣) أقولُ في أوَّل كتابي : وقالتِ العُثمانيَّة والضَّرَّاريَّة ، كما سمعَتَنِي أقولُ : قالتِ الرافضة والزيدية ، فحكمتَ عليَّ بالنَّصب لحكايتي [قولِ العُثمانيَّة] ، فهلَّا حكمتَ عليَّ بالتشيع لحكايتي [قولِ الرافضة] !! وهلاكنتُ عندك من الغاليَّة لحكايتي حجج الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصبَةِ لحكايتي قولِ الناصبة !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفريَّة ، كما حكينا قولَ الأزارقة والزيدية . وعلى

(١) في ل : « الجدي » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُثمانيَّة » ، وكلمة « سر » هذه لا وجود لها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعُنِي » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . والأَكْثَرُ عِنْدَكَ مِنَ الخارجية ، كما صرنا عِنْدَكَ مِنَ الضَّرَاريَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرعَ من الشيعة ، أسرعَ إلى أعراضِ الناسِ من الخارجية<sup>(١)</sup> ، اللهم إلا أن تكون وجدتَ حكايتي عن العُمانيَّةِ والضَّرَاريَّةِ أشبعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [ وأحكم ] ، وأجود [ صنعةً ، وأبعدَ غايةً . ورأيتني قد وهَّنتُ حقَّ أوليائك ، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ما دعيت واضحاً ] .

وعبَّنتي بكتاب العباسية ، فهلاً عبَّنتني بحكايةِ مقالةٍ مَن أبي وجوب الإمامة ، ومَن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ النَّاسِ سُدىً بلا قيمٍ أرَدُّ عليهم ، وهملًا بلا راعٍ أربحُ لهم ، وأجدرُ أن يجمعَ لهم ذلك بين سلامةِ العاجل ، وغنيمةِ الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشْراً لا نظامَ لهم ، أبعَدُ من المفسادِ ، وأجمعُ لهم على المِراشدِ ! ! بل ليس ذلك بك ، ولِسَكْنَتِهِ بهرك ما سمعتَ ، وملاً صَدْرَكَ الذي قرأت ، وأبعَلَكَ وأبْطَرَكَ ، فلم تَتَّجِهْ للحجَّةِ وهي لك معرضة ، ولم تعرفِ المقاتل وهي لك بادية<sup>(٢)</sup> ، ولم تَعْرِفْ بابَ المخرجِ إذ جهلتَ بابَ المدخلِ ، ولم تعرفِ المصادرِ إذ جهلتَ المواردَ .

رأيتَ أن سبَّ الأولياءِ أشقى لدائك ، وأبلغَ في شفاءِ سَقَمِكَ ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسانِ أحضرُ لَذَّةً ، وأبعَدُ من النَّصَبِ ، ومن إطالةِ الفسكرة ، ومن الاختلافِ إلى أربابِ هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رضيتَ بأن تكون الشيعة إلى أعراضِ الناسِ أسرعَ من المارقة » .

(٢) في ط : « وهي لك معرضة ، ولم تعرفِ المقابل وهي لا بادية » .



ولو كنتَ فطِنتَ لعجزك ، [ و<sup>(١)</sup> ] وصلتَ نقصك بتمام غيرك ،  
 واستكفيتَ من هو موقوفٌ على كفايةٍ مثلك ، وحيسٌ على تقويم أشباهك ٧  
 كان ذلك أزينَ في العاجِل ، وأحقَّ بالثبوتِ في الآجل ، وكنتَ إنْ  
 أخطأتَكَ الغنيمةُ لم تُخطِطِ السلامة ، وقد سَلِمَ عليك المخالفُ بقدر ما ابتلى  
 [ به ] منك الموافق . وعلى أَنَّهُ لم يُبتَلِ منك إلا بقدر ما ألزمتَه من مؤنةٍ  
 تنقيفك ، والتشاغلِ بتقويمك . وهل كنتَ في ذلك إلا كما قال العربيُّ :  
 « هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الْكَلَابِ » .  
 وإلا كما قال الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا      أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 وهل حَالُنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ<sup>(٣)</sup> :  
 مَاضِرٌ تَغْلِبَ وَائِلٌ أَهْجَوْتَهَا      أَمْ بُلْتُ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ  
 وكما قال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ<sup>(٤)</sup> :

مَا أَبَالِي أَنْبً بِالْحَزَنِ تَيْسُ      أَمْ لِحَايِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيمُ  
 وما أَشْكُ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ طُولَ إِعْرَاضِنَا عَنْكَ مَطِيَّةً لَكَ ، وَوَجَّهْتَ حِلْمَنَا  
 عَنْكَ إِلَى الْخَوْفِ مِنْكَ ، وَقَدْ قَالَ زُفَرٌ بْنُ الْخَارِثِ لِبَعْضِ مَنْ لَمْ يَرْحَقْ  
 الصَّفْحَ ، فَجَعَلَ الْعَفْوَ سَبِيلاً إِلَى سُوءِ الْقَوْلِ :

(١) زيادةٌ ضروريةٌ لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنْ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ      مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ<sup>(١)</sup> الْغِرَارِينَ أَرْقَا  
فَإِنْ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلَى      وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرِقَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ الْأَوَّلُ :

وَضَعَايْنِ دَاوَيْتُهَا بِضَغَائِنِ      حَتَّى شَفَيْتُ وَبِالْحُقُودِ حُقُودَا  
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ      كَمِثْلٍ وَقَلَّكَ جُهَالًا بِجُهَاَلِ<sup>(٣)</sup>  
فَاقْعَسْ إِذَا حَدِثُوا وَاحِدَبْ إِذَا قَعَسُوا      وَوَاظِنِ الشَّرَّ مَثْقَالًا بِمِثْقَالِ  
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرٍ بِنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضُهُ هَوْلَاءِ الشَّرِّ  
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ ، وَالْحَقْدُ بِالْحَقْدِ ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ<sup>(٤)</sup> :  
فَمُسَّا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا      وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ  
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلِمَا      فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ<sup>(٥)</sup>

(١) في ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لا يوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه ( مسنون ) كما في ل وكما في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا  
هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلّى :  
الأعناق أو أصولها ، جمع ظلية أو طلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت :  
الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ      رَقْمَكَ جُهَالًا بِجُهَاَلِ  
وصحناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس  
ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى  
في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمالي : « فا حشى الأقوام » وفي جمع الجواهر : « فا حشى الإنسان » . وفي ل ، س :  
« ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ،  
كما في المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدلى<sup>(١)</sup> فيكما غير واحد      علانيةً أو قالَ عندى فى السرِّ  
فإنَّ أنا لم آمُرْ ولم أنه عنكما      ضحكْتُ له كيما يلجَّ ويسنْشِرِ<sup>(٢)</sup> ٨  
وقال النمر بن تولب :

جزى الله عني بجمرة ابنة نوفلٍ      جزاءً مُغلٍّ بالأمانةِ كاذبٍ<sup>(٣)</sup>  
بما خبرت عني الوشاةَ ليكذبوا      على وقد أوليتها فى النوائب  
يقول : أخرجتُ خبرها ، فخرج [ إلى<sup>(٤)</sup> ] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتُ أن نعارضك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أراً وأبى  
وسما ، وأصدقُ قبلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ من تركَ المعارضةَ فقد  
صفح ، كما أنه ليس من عارضَ فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن  
فهمته فقد كفيتهنا مئونةَ المعارضةِ ، وكفيتَ نفسك لزومَ العارِ ، وهو قوله<sup>(٥)</sup> :

إن كنتَ لا ترهبُ ذى لما      تعرفُ من صفحى عن الجاهلِ  
فاخشَ سكوتى إذ أنا منصت      فيك لمسموعٍ خناً القائلِ<sup>(٦)</sup>  
فالسامعُ الذمُّ شريكٌ له      ومُطعمُ المأكولِ كالآكلِ

(١) فى ط : «أولى» ، وصوابه ما فى ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه  
لو شئتُ اغتابكما عندى غير واحد .

(٢) فى ط «يلج» بالخاء ، وأثبت ما هو فى أمالى المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س . . . . . وغل وأغل بمعنى خان . . . . . وفى ط «مقل» وتحريفه ظاهر .  
وفى س : «مخل» . وجمرة بالجمع اسم زوجته ، كما فى الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة  
الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتاني فى الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل ما بين العداوة  
والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشى ٢ : ١٥٠ . وفى ل ، س  
«فاخش سكوتى آذنا منصتا» . وآذنا : مصغراً .

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلها أَسْرَعُ من مُنْحَدِرِ سائلٍ  
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل  
فلا تَهْجُ إن كنتَ ذا إِرْيَةِ حُرْبَ أَخِي التَّجْرِبةِ العاقلِ  
فإنَّ ذا العقلِ إذا هَجَّتْ به ذا خَبَلٍ خابل  
تُبْصِرُ في عاجلِ شِدَّاته عليك غِبَّ الضررَ الآجلِ  
وقد يقال : إنَّ العَفْوَ يُفْسِدُ من التَّيْمِ بقدرِ إِصلاحه من الكريمِ ، وقد  
قال الشاعر :

والعَفْوَ عندَ لبيبِ القومِ مَوْعِظَةٌ وبعضُهُ لَسْفِيهِ القومِ تَدْرِيبُ  
فإن كُنَّا<sup>(١)</sup> أَسْأَنًا في هذا التَّقْرِيعِ والتَّوْقِيفِ ، فالذي لم يأخذَ فينا بِحُكْمِ  
القرآنِ ولا بِأَدَبِ الرِّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ، ولم يَفْزَعْ إلى ما في الفِطَنِ  
الصَّحِيحَةِ ، وإلى ما توجَّبهُ المَقاييسُ المَطْرُودَةُ ، والأَمْثالُ المَضْرُوبَةُ ، والأَشْعَارُ  
السَّائِرَةُ ، أَوْلَى بِالإِسَاءَةِ وَأَحَقُّ بِاللَّأَمَةِ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَزِرُ  
وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . وقد قال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « لَا تَجْنِ  
يَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حَكْمُ اللهِ تعالى وآدَابُ رِسُولِهِ والذي أُنْزِلَ بِهِ الْكِتَابُ ودَلٌّ  
عليه من حُجَجِ الْعُقُولِ .

فأَمَّا ما قالوا في المثلِ المَضْرُوبِ [ « رَمَتْنِي بِدَأْهَا وَانْسَلَّتْ » ، وَأَمَّا ]  
قولُ الشعراءِ ، وَذَمُّ الْخَطْبَاءِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبِ غَيْرِهِ ، وما ضَرَبُوا في ذلك  
من الْأَمْثَالِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ حَيْثُ يَقُولُ في شعره :

وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُسْكَوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

(١) في ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرَّ كَوُوا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقمُوا  
الصحيحَ من غير أن يُبرِثُوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرَتْ إبلُ أحدهم فَبَلَغَتْ الألف ، ففَقَّثُوا عَيْنَ الفحل ،  
فإن زادت الإبلُ على الألف ففَقَّثُوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقَّثُ والمعَمَّى اللذان  
سمعتَ في أشعارِهِم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقَّى والمعَمَّى وبيتِ المُختَبِى والخافقات<sup>(١)</sup>

[ وكانوا يزعمون أن المفقَّأ يطرد عنها العين والسواف<sup>(٢)</sup> والغارة ،

فقال الأول :

فَقَّأْتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ عِيَافَةً وفيهِنَّ رَعْلَاءُ المَسَامِعِ والحامى<sup>(٣)</sup>

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به  
في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقَّأ » إلى قصيدته  
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن فقت عيئك واجدا أبالك إن عد المساعى كدارم  
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف  
و « بيت المختبى » إشارة إلى قوله :

بيتاً زارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل  
و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورهما بحق وأين الخافقات اللوامع  
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب ( عنى ) .  
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتى :

غلبتك ( بالمفقَّأ والمعَمَّى ) وبيت ( المختبى ) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعاء : التي تشقّ أذنّها وتترك مدلّاة ، لسكرها [ .

وكانوا يقولون في موضع السكفارة والأُمّنيّة ، كقول الرجل : إذا بلغتْ  
إيلي كذا وكذا وكذلك غنمى ، ذبحتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة .  
والعتيرة من نُسك الرّجبيّة والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغتْ  
إيلُ أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنّما قلتُ لئنّى  
أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربان  
شاء كلّهُ ممّا يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حلّزة الإشكريّ :  
عننّا باطلاً وظلماً كما تُعْـتَرُ عَنْ حَجَرَةِ الرّبيضِ الظّباء  
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَغْـنَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ  
وكانوا إذا أوردوا البقرَ فلم تشربْ ، إمّا لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ،  
ضربوا الثورَ ليقْتَحِمَ الماء ، لأنّ البقرَ تتبّعه كما تتبّع الشّولُ الفحل ، وكما  
تتبع أنثى الوحش الحمار . فقال في ذلك عَوْفُ بن الخَرَج (١) :  
كَمَنْتُ طَيِّئٌ جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَائِي (٢)  
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَامِي كَضَرْبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظَّمَاءِ  
وقال في ذلك أَنَسُ بن مُدْرِكٍ في قتله سُلَيْكُ بن السُّلَكَةِ :

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقْرُ (٣)  
أَنِفْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نَبِكَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ (٤)

(١) في ط : « عوض بن الخزع » ، وهو على الصواب الذي أثبتّه ، في ل ، س ١٠ .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهيثبان الفهمي<sup>(١)</sup> :

كما ضُربَ اليعسوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرٌ وما ذَنَبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ  
ولما كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سماه  
باسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أَنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الشَّيرانَ عن الماءِ حتى تُمسِكَ البقرُ  
عن الشربِ حتى تهلك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإننى وما كلَّفْتُمُونى - وربِّكم - لأعلمُ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا<sup>(٢)</sup>  
لكالثورِ والجنِّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وما ذَنَبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا  
وما ذَنَبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ وما إِن تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهُ قال : إذا كان يُضْرَبُ أبداً لأنها عافت الماء ، فكأنَّها إنما عَافَتِ المَاءَ لِيُضْرَبَ .

وقال يحيى بن منصور الذُهَلِيُّ فى ذلك :

لكالثورِ والجنِّ يَضْرِبُ وَجْهَهُ وما ذَنَبُهُ إِنْ كَانَتِ الجنُّ ظَالِمَةً  
وقال نهشلُ بْنُ حَرَّيٍّ<sup>(٤)</sup> :

أَتُرَكُّ عَارِضٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَتَغْرَمُ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاءٌ  
كَدَابِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوَى إِذَا مَا عَافَتِ الْبَقَرُ الظَّمَاءَ<sup>(٥)</sup>  
وكيف تسكِّفُ الشَّعْرَى سُهَيْلاً وَبَيْنَهُمَا الْكُوكَبُ وَالسَّمَاءُ

(١) فى الأصل : « الهيثبان » . وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » . وفى ط ، س :

« الفقى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . وما أثبتته عن ل .. يقال حاب بكذا :

أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقر وببقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزائن البغدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من جملة البحرى ٣٥٣ .

وقال أبو نُؤيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العَطْرَق<sup>(١)</sup> :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعْلَمُ طاعِيً ونُصْحِي إِذْنُ ما بَعْتَنِي بِالْمَلْحَقِ<sup>(٢)</sup>

ولا ساقَ سَرَّاقِ العِرَافَةِ صالِحٍ<sup>(٣)</sup> بَنِيٍّ ولا كَلَّفْتُ ذَنْبَ العَطْرَقِ<sup>(٤)</sup>

وقال خِدَاش<sup>(٥)</sup> بن زُهَيْر حين أُخِذَ بِدِماءِ بَنِي مَحَارِبٍ<sup>(٥)</sup> :

أَكْلَفُ قَتَلِي مَعْشَرَ لَسْتُ مِنْهُمْ ولادارُهُمْ دَارِي ولانصرُهُمْ نَصْرِي

أَكْلَفُ قَتَلِي العِصْيَ عِصْيَ شَواحِطٍ وذلك أَمْرٌ لَمْ تُشَفِّ لَهُ قِدْرِي<sup>(٦)</sup>

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكَتْ عِجْلُ بَنَّا ذَنْبَ طِيٍّ عَرَكَنا بَتِيمَ اللَّاتِ ذَنْبَ بَنِي عِجْلٍ

ولما وَجَدَ الْيَهُودِيُّ أَخا حَنْبُضَ<sup>(٧)</sup> الضَّبَّانِيَّ في مَنزِلِهِ فَخَصَّاهُ فَمَاتَ ، وَأَخَذَ

حَنْبُضُ بْنُ عَبْسٍ بِجَنَائَةِ الْيَهُودِيِّ ، قال قيسُ بن زُهَيْرٍ : أتاخذُنا بذَنْبِ

غَيْرِنا ، وتَسألُنا العَقْلَ والقاتِلُ يَهُودِيٍّ من أَهلِ تِمْاءَ ؟ فقال : واللهُ أَن لو

قَتَلْتَهُ الرِّيحَ ، لَوَدِيتُمُوهُ ! فقال قيسُ لبني عَبْسٍ : الموتُ في بَنِي ذُبْيَانَ

خَيْرٌ من الحَيَاةِ في بَنِي عامِرٍ ! ثم أَنشأ يقول :

أَكْلَفُ ذا الْخَصِيَيْنِ إِنْ كانَ ظالِماً

وإِنْ كُنْتُ مَظْلوماً وإِنْ كُنْتُ شاطِئاً<sup>(٨)</sup>

(١) في ط « العَطْرَف » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إِذْنُ هادِيتِي » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمَلْحَقُ الضَّبِّيُّ ولأه الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سَرافُ العِرافَةِ » ونصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خِراش » وما هنا عن ل . وخدّاش شاعر جاهلي ، من أشرف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عِصْيَ شَواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يَكْلَفْ لَهُ » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وثق القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حَنْبُض » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩

(٨) شاطئنا : بعيدا نائيا .



خصاه امرؤ من آلِ تيماء طائر  
ولا يَعدُّمُ الإنسىُّ والجنُّ كائنا<sup>(١)</sup>  
فَهَلَّا بنى ذُبيانَ - أُمِّكَ هَابِلُ -  
رَهَنْتَ بِفَيْفِ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا قُلْتَ قَدْ أَفْلُتُ مِنْ شَرِّ حَنْبُضٍ  
أَتَانِي بِأُخْرَى شَرَّهُ مُتَبَاطِنًا  
فَقَدْ جَعَلْتَ أَكْبَادُنَا تَجْتَوِيكُمْ  
كَمَا تَجْتَوِي سُوقَ الْعِضَاهِ الْكَرَازِنَا<sup>(٣)</sup>

### ( قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته )

ولما قَتَلَ لُقْمَانُ بَنُ عادِ ابنتَه - وهى صُخْرَأُخْتُ لُقَيْمٍ - قال حين قَتَلَهَا :  
أَلَسْتُ امْرَأَةً ! وذلك أَنَّهُ قد كان زَوْجَ عِدَّةَ نِساءَ ، كُلُّهُنَّ خُتَّةً فى أَنْفُسِهِنَّ ،  
فلَمَّا قَتَلَ أُخْرَاهِنَّ وَزَلَ مِنَ الجَبَلِ ، كان أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُخْرُ ابنته ، فوثَبَ  
عَلَيْهَا فقتَلَهَا وقال : وأنتِ أيضاً امْرَأَةٌ ! وكان قد ابْتُلِيَ بِأَنَّ أُخْتَهَ كانتِ  
مُحْمِقةً<sup>(٤)</sup> وكذلك كان زَوْجُهَا ، فقالت لِإِحدى نِساءِ لُقْمَانَ : هذه لَيْلَةُ  
طُهْرِي وهى لَيْلَتُكَ ، فدَعَيْنِي أَنَا فى مَضْجَعِكَ ، فَإِنَّ لُقْمَانَ رَجُلٌ مُنْجِبٌ ،

(١) فى ل : « من آلِ تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .

(٢) فى الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح فى الأغاني ١٥ : ٧٠  
وأمثال الميدياتى ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .

(٣) الكرزن وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .

(٤) المحمقة والمحق أيضاً : المرأة تلد الحمق . قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧ :  
وكانت تحت رجل أحق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَى فُأْنَجِبَ . فُوقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَحَمَلَتْ بِلَقِيمٍ . فهو قولُ  
النَّمِرِ بْنِ تَوَلَبٍ <sup>(١)</sup> :

لُقَيْمُ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ      فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَإِنَّمَا  
لِيلِيَّ حَقٌّ فَاسْتَحْصَنَتْ      عَلَيْهِ فَعَرَّ بِهَا مُظْلِمًا <sup>(٢)</sup>  
فَأُحْبِلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ      فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا <sup>(٣)</sup>  
فَضْرِبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَّافُ  
ابْنِ نَذْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَّاشُ يُدِبُّ لِي الْمَنَايَا      وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ <sup>(٤)</sup>  
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أُذَيْنَةَ <sup>(٥)</sup> :

أَتَجْمَعُ تَهِيَّامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ      وَهَجَرَانَهَا ظُلْمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحْرُ <sup>١٢</sup>  
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبَادٍ :

قَرَّبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِئْنَى      لَقِحتْ حَرْبًا وَائِلِيَّ عَنْ حِيَالٍ <sup>(٦)</sup>  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـهُ      هُوَ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي  
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأَظْنُهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ :

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .  
(٢) في ط « فعريه » . وغربها : خدع بها . ومظلمًا : في الظلام .  
(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكيما ، ويقابله المحقق : الذي يلد الحق .  
(٤) في ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهّد لي المنايا » وفي ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها :  
جعلها تلب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة  
ويعد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة في الأغاني  
٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حِيَالٍ : أي بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد  
جد الجدد .

فلا تَلَمْ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ  
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَائِمٌ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ<sup>(١)</sup>

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض الملوك<sup>(٢)</sup> لِسِنَارِ الرومي ؛ فإنه لما  
علا انْخَوَرُنْقٍ ورأى بُنياناً لم ير مثله ، ورأى في ذلك المستشرف ، وخاف  
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيانَ لرجُلٍ آخرَ من الملوك ،  
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك السكبي<sup>(٣)</sup> في شيء كان بينه وبين  
بعض الملوك :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنَارٍ وما كان ذا ذنبٍ  
سِوَى رَصِّهِ البنيانَ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ<sup>(٤)</sup>  
فلما رأى البُنيانَ تَمَّ سُحُوقُهُ

وَأَصَّ كَمِثْلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ<sup>(٥)</sup>  
وظَنَّ سِنَارٌ به كُلَّ حَبْوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمُوَدَّةِ وَالْتِمَرِ<sup>(٦)</sup>

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الميثم بن عدي : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن علي. وقال ابن الكلبي :  
هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبي . وفي أمالي ابن الشجري ١ : ١٠٢  
أنه عبد العزيز بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمد كجعفر وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، ويحرك .  
وفي ثمار القلوب « عشرين حجة » وفي معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) في معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) في ل : « حبرة » بمعنى المرور .

فقال اقدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فذاك لِعَمْرُ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخُطْبِ  
وجاء المسلمون ، يروى خَلْفٌ عَنْ سَلَفٍ ، وَتَابِعٌ عَنْ سَابِقٍ ، وَآخِرٌ عَنْ  
أَوَّلٍ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ زِيَادٍ<sup>(١)</sup> : « لَأَخْذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ،  
وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :  
إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَبَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ  
قال : وَقِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ : إِنَّ فُلَانًا لَمَّا قَدَّمَ رَجُلًا لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ ،  
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا نَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ :  
فَقَالَ عَمْرٍو : مَا خَلَقَ اللهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

١٣

وَلَمَّا قَالَتِ التَّغْلِيْبِيَّةُ لِلْجَحَّافِ ، فِي وَقْعَةِ الْبِشْرِ<sup>(٢)</sup> : فَضَّ اللهُ فَالَكَ  
وَأَعْمَاكَ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللهُ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهِنَّ  
ثُدَيٍّ ، وَأَسَافِلُهُنَّ دُمَيٍّ ! فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا نَخَلَيْتُ  
سَبِيلَهَا ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : أَمَّا الْجَحَّافُ فَجَذْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .  
قال : وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسِ السَّكَمَاءَةِ بِالسَّمَنِ ، فَقَالَ  
عِنْدَ ذَلِكَ الْأَحْنَفِ : « رَبُّ مَذْمُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ<sup>(٣)</sup> » .

فِيهِذِهِ السَّيْرَةِ سَرَتْ فِينَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ<sup>(٤)</sup> :

وَإِنَّ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه . والكلام في خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر

المعجم والأغاني ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

### ( غزاية العلماء بالملح والفكاهات )

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، وأصحاب الفسك والعبر ، وأرباب التحل ، والعلماء وأهل البصر بمخارج الملل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الخلفاء ، يكتبون كتب الطرْفاء والمَلْحاء ، وكتب الفراغ والخلفاء ، وكتب الملاهي والفكاهات ، وكتب أصحاب الخصومات ، وكتب أصحاب المراء ، وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية ! ! ألا أنهم لا يحاسبون أنفسهم ، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ، ولا يخافون تصفح العلماء ، ولا لأئمة الأرباء<sup>(١)</sup> ، وشنف الأَكْفاء ، ومَشْنَأَة<sup>(٢)</sup> الجلساء ؟ !

فهلّا أمسكت - يَرْحَمَكَ اللهُ - عَنْ عَيْبِهَا وَالطَّعْنِ عَلَيْهَا ، وعن المشورة والموعظة ، وعن تخويف مافي<sup>(٣)</sup> سوء العاقبة ، إلى أن تبلغ حال العلماء ، ومراتب الأَكْفاء ؟ !

فأما كتابنا هذا ، فسنذكرُ جُمْلَةَ المذاهب<sup>(٤)</sup> فيه ، وسنأتي [ بعد ذلك ] على التفسير ، ولعل رأيك عند ذلك أن يتحوّل ، وقولك أن يتبدل ، فتُثْبِتَ أو تكون قد أخذت من التوقُّفِ بنصيب ، [ إن شاء الله ] .

---

(١) كذا في ل . وفي ط « ولأئمة الأدباء » .

(٢) في ط : « شنأة » وصوابه شناعة ، وأثبت مافي ١٠ س وأما في ل فهي « مساء » . والشنف . بالتحريك وكذا المشنأة بمعنى ، هو البغض .

(٣) في ل : « مافي » .

(٤) في ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل ، س .

### (أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها في جملة القول جمادٌ ونامٌ . وكان حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة ، أن يقال : نامٌ وغيرُ نامٍ . ولو أنّ الحكماء وضعوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعوا للناسِ اسماً ، لاتبّعنا أثرهم ؛ وإنما ننتهى إلى حيث انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولهم جماد ، كدلالة قولهم مَوَات . وقد يفتَرِقان في مواضع بعض الافتراق . وإذا أخرجت (١) من العالمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والتمرَ ، وجدتها غيرَ نامية ، ولم تجدهم يسمّون شيئاً منها بجمادٍ ولا مَوَات ، وليس لأنها تتحرّك من تلقاء أنفسها لم تُسمَّ مَوَاتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبرة غير مدبرة ، ويجعلونها مسخرة غير مسخرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوان إنّما يحيى بإحيائها له ، وبما تعطيه وتعيّره . وإنما هذا منهم رأى ، والأُمُّ في هذا كلّهُ على خلافهم ، ونحنُ في هذا الموضع إنّما نعبرُ عن لغتنا ، وليس في لغتنا إلّا ما ذكرنا .

والناسُ يسمّون الأرضَ جماداً ، وربما يجعلونها مَوَاتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تَنْبِئُ قَدِيمًا ، وهى مَوَاتِ الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أرضاً مَوَاتاً  
فهى له .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمونها  
حيواناتاً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النماء والحس .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماء والأرضُ والهواءُ  
والنار ، والاسمانِ لا يتعاورانِ عندهم إلّا الأرض .

### ( تقسيم النامى )

ثمَّ النامى على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام :  
شئٌ يمشى ، وشئٌ يطير ، وشئٌ يسبحُ ، وشئٌ ينساحُ <sup>(١)</sup> . إلّا أن كلَّ  
طائرٍ يمشى ، وليس الذى يمشى ولا يطير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يمشى  
على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أن الحشراتِ  
راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلكِ طباعِ البهائمِ والسباع . إلّا أننا فى هذا كله  
نتبع الأسماء القائمة <sup>(٢)</sup> المعروفة ، البائِئات بأنفسِها ، المتميِّزاتِ عند سامعِها ،  
مِنْ أَهْلِ هذه اللغةِ وأصحابِ هذا اللسان ، وإنَّما نُفَرِّد ما أَفَرَّدوا ،  
ونَجْمَع ما جَمَعوا <sup>(٣)</sup> .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنَّما يفرد ما أفردوا ويجمع ما جمعوا » .

### (تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وبهيمة وهمج . والسباعُ من الطير على ضربين :  
ففي العِناقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البغاث<sup>(١)</sup> وهو كلُّ ماعظمَ من  
الطير : سباعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب  
المعقّفة ، كالنُسور والرّخم والغربان ، وما أشبهها من لثام السباع .  
ثم الحشاش ، وهو ما لطف جرمه وصغر شخصه ، وكان عديم السلاح  
[ ولا يكون<sup>(٢)</sup> ] كالزُرَق<sup>(٣)</sup> واليؤيؤ<sup>(٤)</sup> والبادنجار<sup>(٥)</sup> .

فأما الهمج فليس من الطير ، وليكنه مما يطير . والهمج فيما يطيرُ ،  
كالحشرات فيما يمشى .

والحياتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أدخلُ في معنى السَّبُعِيَّةِ مِنَ  
الأفاعي والثعابين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذوات  
الأنياب وأكالة اللحوم وأعداء الإنس وجميع البهائم ، ولذلك تأكلها  
الأوعال<sup>(٦)</sup> والخنازيرُ والقنأفُ والعقبان<sup>(٧)</sup> والشاهمرك<sup>(٨)</sup> والسنانير ، وغير  
ذلك من البهائم والسباع . فمن جعلَ الحياتِ سباعاً ، وسماها بذلك عند  
بعض القول والسبب فقد أصاب ، ومن جعلَ ذلك لها كالاسم الذي هو العلامةُ

(١) في القاموس ، البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط وس و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر

الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) في ط « الغربان » .

(٨) الشاهمرك : الفتي من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه

ملك الطير . الدميري .



كالكلب والذئب والأسد فقد أخطأ :

ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه المخالب كالعقاب وما أشبهها ، ١٥  
وشئى يكون سلاحه المناقير كالنُصُور والرخم والغربان ، وإنما جعلناها سباعاً  
لأنها أكالة لحوم .

ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير كالسكرانكى وما أشبهها ، ومنه  
ما يكون سلاحه الأسنان كالبوم والوطواط وما أشبهها ، ومنه ما يكون  
سلاحه الصياصى كالديبكة ، ومنه ما يكون سلاحه السلح (١) كالخبارى (٢)  
والثعلب أيضاً كذلك .

والسبع من الطير : ما أكل اللحم خالصاً ، والبهيمة : ما أكلت الحب  
خالصاً . وفي الفن الذى يجمعها من الخلق المركب والطبع المشترك ، كلام  
سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشارك عندهم كالعصفور ؛ فإنه ليس بذى مخالب معقف ولا منسر (٣)  
وهو يلقط الحب ، وهو مع هذا يصيد النمل (٤) إذا طار ، ويصيد الجراد ،  
ويأكل اللحم ، ولا يزق فراخه كما تزق الحمام ، بل يلقمها كما تلقم  
السباع من الطير فراخها . وأشباه العصافير من المشارك كثير ، وسندكر  
ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) السلاح والسلاح كغراب : النجو .

(٢) فى ط « كالجارى » والصواب « كالجبارى » كما فى ل . وهى من الطيور التى  
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كجلس ومنبر : منقار الطير الجراح .

(٤) فى ط « النحل » والصواب « النمل » كما فى ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض  
له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجعلانُ والجحَلُ واليعاسيبُ والذبابُ والزنايرُ والجراذُ والنملُ والفراشُ والبَعوضُ والأَرْضَةُ والنحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكر والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجراذُ أَطِيرُ<sup>(١)</sup> ، والمثلُّ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تطيرُ ، ولها أجنحةٌ وليست من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس بالريش والقوادم<sup>(٢)</sup> والأباهر<sup>(٣)</sup> والخوافي<sup>(٤)</sup> ، يسمَّى طائراً ، ولا بعده يسقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمرطين ليس لهما ريشٌ ولا زغبٌ ولا شكيرٌ ولا قصب<sup>(٥)</sup> وهما مشهوران بالحمل والولادة ، وبالرضاع ، وبظهور حُجْمِ الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذات ريشٍ ومنقارٍ وبَيْضٍ وجناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه . ألا ترى أنَّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعنزَ الماء ، وخِزيرَ الماء ؛ وفيه الرُّقُّ<sup>(٦)</sup> والسُّلْحَفَةُ ، وفيه الضَّفْدَعُ وفيه السرطان ، والبَيْنَبُ<sup>(٧)</sup> ،

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرنا .

(٢) القوادم والقدامى - كجبارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) قال الدميري : بكسر الراء وبالقفاف : ضرب من دواب الماء يشبه التمساح . والرقة أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهو في ط « الثبتل » وفي ل « البنيل » وفي س « الثبتل » وصوابه في الدميري قال : « على وزن فيعيل سمك بحري معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المملوف ٢٥١ .

والتَّمَسَّاحُ والدُّخْسُ والدُّلْفَيْنِ واللَّحْمُ والبَنْبُكُ<sup>(١)</sup> ، وغيرُ ذلك من الأصناف .  
والكُوسَجُ والدُّ اللُّحْمُ ، وليس للكُوسَجِ أبٌ يُعرَفُ . وعامَّةُ ذَا يَعِيشُ في الماء ،  
ويبيت خارجاً من الماء ، وَيَبْيِضُ في الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْضُ  
وِغْرِقِيٌّ ، وهو مع ذلك ممَّا يكون في الماء مع السمك .

### ( تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم )

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك  
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمناً قطُّ ولا يجوز عليه  
خلافه ، والناطق لما لم يتكلَّم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويثغو ، ويَنهَقُ ،  
ويَصْهَلُ ، ويَشْحَجُ ، ويَحْجُرُ ، ويَبْغَمُ ، ويعَوِي ، ويَنْبَحُ ، ويَرْقُو ،  
ويَضْغُو ، ويَهْدِرُ ، ويَصْفِرُ ، ويُصَوِّصِي ، ويُقَوِّقِي ، ويَنْعَبُ ، ويَزْأَرُ ،  
ويَنْزِرِبُ<sup>(٢)</sup> ، ويَكْشُ ، ويعِجُ<sup>(٣)</sup> ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .  
ولذلك أشباهُ ، كالدُّكُورِ والإناث إذا اجتمعا ، وكالْعِيرِ التي تسمَّى لَطِيْمَةً ،

(١) في الأصل : « البلب » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المثلوف  
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنيك » كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع  
الرجل نصفين فيبلعه .

(٢) في ط « يترب » وفي ل « ينبر » وهو تحريف مأثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاء ، والنبهق للحمير ، والصهيل للخيول ، والشحج  
للبغال ، والحوار لثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،  
والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للسنور ،  
والصوصاة للجرء ، والتوقاة للدجاج ، والنغيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ،  
والزئيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدته بجلودها .  
والعجيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفتح » والفتح صوت الأفاعى  
تحدثه بأنواها .

وكالطَّعْن ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِذَا وَجَدَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، أَوْ أَخَذَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، سُمِّيَتْ بِأَنْبِهِ النَّوَاعِينَ ذِكْرًا ، وَبِأَقْوَاهِمَا . وَالْفَصِيحُ هُوَ الْإِنْسَانُ ، وَالْأَعْجَمُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ لَا يَفْهَمُ إِرَادَتَهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جَنْسِهِ . وَلِعَمْرَى إِنَّا نَفْهَمُ <sup>(١)</sup> عَنْ الْفَرَسِ وَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ وَالسَّنَّوْرِ وَالْبَعِيرِ ، كَثِيرًا مِنْ إِرَادَتِهِ وَحَوَائِجِهِ وَقَصُودِهِ <sup>(٢)</sup> ، كَمَا نَفْهَمُ إِرَادَةَ الصَّبِيِّ فِي مَهْمَدِهِ وَنَعْلَمُ <sup>(٣)</sup> - وَهُوَ مِنْ جَلِيلِ الْعِلْمِ - أَنَّ بَكَاءَ يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ضَحِكُهُ . وَحَمَمَةُ الْفَرَسِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْخِلَاطَةِ <sup>(٤)</sup> ، عَلَى خِلَافٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَمَمَتُهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْحِجَرِ ، وَدُعَاءُ الْهَرَّةِ الْهَرَّ خِلَافُ دُعَائِهَا لَوْلَدِهَا ، وَهَذَا كَثِيرٌ .

وَالْإِنْسَانُ فَصِيحٌ ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ أَوْ بِالْهِنْدِيَّةِ أَوْ بِالرُّومِيَّةِ ، وَلَيْسَ الْعَرَبِيُّ أَسْوَأَ فَهْمًا لِطَمَطَمَةِ الرُّومِيِّ [ مِنَ الرُّومِيِّ ] لِبَيَانِ لِسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ يُقَالُ لَهُ فَصِيحٌ ، فَإِذَا قَالُوا : فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ ، فَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِهِمْ أَعْجَمٌ ، وَإِذَا قَالُوا الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ وَلَمْ يُلْفِظُوا بِفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ ، فَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى يَرِيدُونَ ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَفْهَمُ عَنْهُ . وَقَالَ كَثِيرٌ :

فَبُورِكَ مَا أُعْطِيَ ابْنُ لَيْلَى بِنْدِيَّةً وَصَامَتْ مَا أُعْطِيَ ابْنُ لَيْلَى وَنَاطِقُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . . وَفِي ط « إِنْ التَّعْمِيمِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ « وَقَصُودِهِ » بِالرَّاءِ وَلَمْ يَظْهَرْ مَعْنَاهُ ، فَكُتِبَتْ مَكَانَهُ « قَصُودِهِ » جَمْعُ قَصَدَ .

(٣) فِي ط : « وَنَفْهَمُهُ » . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ١ : ١٦٢ .

(٤) فِي ط « الْفَحْصَل » وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ . وَالْوَجْهُ مَا فِي ل ، وَوَرَدَ فِي ط زِيَادَةُ

« مِنْ » قَبْلَ « حَمَمَةِ » وَإِثْبَاتُهَا يَفْسِدُ التَّرْكِييبَ .

ويقال « جاء بما صأى <sup>(١)</sup> وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى <sup>(١)</sup> يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شئ سيوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشئ العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدل ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال <sup>(٢)</sup> ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً . ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

### (وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد <sup>(٣)</sup> ، وإشارة ،

- 
- (١) فى ط « صأى » بالصاد ، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .  
 (٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .  
 (٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى ( العقد ) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمْكِينُهُ الْمُسْتَدِلُّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ  
 مِنْ (١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا اسْتُخْزِنَ مِنَ الْبَرَهَانِ ، وَحُشِيَ (٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ،  
 وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْحُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةٍ  
 الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرَبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ  
 وَالْحِكْمَةِ ، نَجَبٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْهَزَالُ  
 وَكُشُوفُ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّضْرَةِ ، عَنْ  
 حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [ وَهُوَ نَصِيب ] :

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ      وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ  
 وَقَالَ آخَرُ :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ      تُتَخَبَّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ  
 وَقَدْ قَالَ الْعُكْلِيُّ (٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذُّبِّ وَفِي شِدَّةِ حَسَّةِ وَاسْتِرْوَا حِهِ :  
 يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ      بِمِثْلِ مَقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ (٤)  
 وَقَالَ عَنَتَرَةُ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :  
 حَرَقَ الْجَنَاحَ كَأَنَّ لَحْيَ رَأْسِهِ      جَلَمَانٍ بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ (٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَكُل » وَأَصْلَحَتِ الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفُ ظَاهِرِ تَوْجِيهِهِ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدْيِيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانْظُرِ اللَّسَانَ (نَجْر) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمَقْرَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْقِعُ : الْمَحْدَدُ .

(٥) فِي ط « حَرَقَ » بِالْخَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفُ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْحَرَقُ : الْأَسْوَدُ » ، شَبَّهَ لَحْيَيْهِ بِالْجَلَمَيْنِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يُخْبِرُ

بِالْغُرْبَةِ وَالْفَرْقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلَمَانِ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقْمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدِي

أَحَدٌ بَعْدَهُمْ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه <sup>(١)</sup> : سَلَّ الْأَرْضَ ، فَقُلْ : مَنْ شَقَّ  
أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثِمَارَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً ،  
أَجَابَتْكَ عَتَاباً .

فموضوعُ الجسم ونَصَبته ، دليلٌ على ما فيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة <sup>(٢)</sup> عليه .  
فالجمادُ الأَبَكُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارك في البيان الإنسان الحيُّ  
الناطق . فَبَنَ جَعَلَ أقسامَ البيانِ خمسة ، فقد ذهبَ أيضاً مذهباً له جوازُ في اللغة ،  
وشاهدٌ في العقل . فهذا أحدُ قِسَمَي الحكمة ، وأحدُ مَعْنَي <sup>(٣)</sup> ما استخزنها <sup>(٤)</sup> ١٨  
اللهُ تعالى من الودِعة .

### ( ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان )

والقسمة الأخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان ، مِنْ ضُرُوبِ <sup>(٥)</sup>  
المعارف ، وفَطَرها عليه من غريب <sup>(٦)</sup> الهدايات ، وسَخَّرَ حَتَا جَرَهَا لَهُ مِنْ  
ضُرُوبِ النَّعْمِ الموزونة ، والأَصْوَاتِ المَلْحَنَةِ ، والمَخَارِجِ الشَّجِيئَةِ ،  
والْأَغَانِيِ المطربة ، فقد يقالُ إِنَّ جَمِيعَ أَصْوَاتِهَا مَعْدَلَةٌ ، وموزونة مَوْقَعَةٌ ،  
ثُمَّ الَّذِي سَهَّلَ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ العَجِيبِ فِي الصَّنْعَةِ ، مِمَّا ذَلَّلَهُ اللهُ تَعَالَى  
لِمُنَاقِبِهَا وَأَكْفَهَا ، وَكَبَفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى قَدَرِ مَا هَيَّأَ لَهَا  
مِنَ الْآلَةِ ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثِيراً مِنْهَا مِنَ الْحَسَنِ اللَّطِيفِ ، وَالصَّنْعَةِ  
الْبَدِيعَةِ ، مِنْ غَيْرِ تَأْدِيبٍ وَتَثْقِيفٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَقْوِيمٍ وَتَلْقِينٍ ، وَمِنْ غَيْرِ  
تَدْرِيجٍ وَتَمْرِينَ ، فَبَلَّغَتْ بِعَفْوِهَا وَبِمَقْدَارِ قُوَى فِطْرَتِهَا ، مِنَ الْبَدِيعَةِ

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) في الأصل « استخزنها » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدَرُ عليه حَدَّاقُ رجالِ  
الرأى ، وفلاسفةُ علماء البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ  
أَكْمَلُهُمْ خصالاً وأَتَمُّهُمْ خلالاً ، لا مِنْ جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من  
جهة التعسف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأثُّي فيه ، والتأثُّي له .  
والترتيب لمقدِّماته ، وتمكين الأسباب المُعِينَةِ عليه . فصار جهد<sup>(١)</sup> الإنسانِ  
الثاقبِ الحسِّ ، الجامعِ القُوَى ، المتصرِّفِ في الوجوه ، المقدِّمِ في الأمور ،  
يَعْجِزُ عن عَفْوِ كَثِيرٍ منها ، وهو ينظرُ إلى ضروب ما ينجى منها ، كما  
أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطيت السُّرْفَةُ ، وكما عُلِّمَ النحلُ ، بل<sup>(٢)</sup>  
وعُرِّفَ التَّنَوُّطُ مِنْ بَدِيعِ المعرفة ، وَمِنْ غَرِيبِ الصنعة ، في غير ذلك مِنْ  
أَصْنَافِ الخلق . ثم لم يوجب لهم<sup>(٣)</sup> العجزَ في أَنْفُسِهِمْ في أكثر ذلك ،  
إِلَّا بما قَوَى عليه الهمَجُ والخشاشُ وصِغارُ الحشرات ، ثم جعل الإنسانِ  
ذا العقلِ والتمكينِ<sup>(٤)</sup> ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجربة ،  
وذا التأثُّي والمنافسة ، وصاحبَ الفهمِ والمسابقة<sup>(٥)</sup> ، والمتبصِّرَ شأْنَ العاقبة ،  
متى أَحْسَنَ شيئاً كان كلُّ شَيْءٍ دُونَهُ في الغُمُوضِ عليه أَسهلَ ، وجَعَلَ  
سائرَ الحيوانِ ، وإن كان يُحَسِّنُ أحدها ما لا يُحَسِّنُ أَحَدُكُمُ النَّاسِ متى  
أَحْسَنَ شيئاً عجيباً ، لم يَمَكِّنْهُ أَنْ يُحَسِّنَ ما هو أَقْرَبُ منه في الظنِّ ، وأَسْهَلُ  
منه في الرأى ، بل لا يُحَسِّنُ ما هو أَقْرَبُ منه في الحقيقة . فلا الإنسانُ جَعَلَ

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجبهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجه ما في ل لَتَمَّ المقارنة بقوله بعد :

« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .



نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ  
بلا تعلُّم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩  
لا يطعم فيه ، ولا يحسُّدها ؛ إذ لا يؤمِّل اللِّحاقَ بها . ثمَّ جعل تعالى وعزَّ ،  
هاتين الحكمتين بإزاء عُيُونِ الناظرين ، ومُجَاهِ أَسْمَاعِ الْمُعْتَبِرِينَ ، ثمَّ حثَّ  
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتِّعَاضَ والازدِجَارَ ، وعلى التَّعَرُّفَ والتَّبَيُّنَ ،  
وعلى التَّوَقُّفَ والتَّذَكُّرَ ، فَجَعَلَهَا مَذَكَّرَةً مُنَبِّهَةً ، وَجَعَلَ الْفِطْرَ تَنْشِئَةً (١)  
الْحَوَاطِرَ ، وَتَجَوَّلُ بِأَهْلِهَا فِي الْمَذَاهِبِ . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

### (مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقهٍ وتنبيه . وأراك قد عبته قبل أن  
تقفَ على حُدُودِهِ ، وتنفكَّرَ في فصوله ، وتعتبرَ (٢) آخرَه بأوله ، ومَصَادِرَهُ  
بموارده ، وقد غلَّطك فيه بعضُ ما رأيتَ [ في أثنائِهِ ] من مزجٍ لم تعرف  
معناه ، ومن بَطَالَةٍ لم تَطَّلِعْ على غَوَرِهَا ؛ ولم تدبِّرْ اجْتِلِبَ ، ولا لَأَى  
عَلَّةً تُكَلِّفُ ، وأَيَّ شَيْءٍ أُرِيعَ بها ، ولَأَى جِدًّا احْتُمِلَ ذلك الهزل ،  
ولَأَى رِيَاضَةٍ تُجَشِّمُ تلك البَطَالَةَ ؛ ولم تدبِّرْ أَنَّ المَزَاحَ جِدٌّ إِذَا اجْتَلِبَ  
ليكون عَلَّةً لِلجِدِّ ، وَأَنَّ البَطَالَةَ وَفَارٌ وَرَزَانَةٌ ، إِذَا تُكَلِّفُ لتلك العاقبة .  
ولمَّا قال الخليلُ بنُ أَحَدٍ : لا يصل أَحَدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما في ل . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تنفكر » والوجه : « تعبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ مِثْلُ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مَنْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ ، وَفَهَمَ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ مِنْ عَزَّةٍ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطُّوْلُ مِنَ السَّكَدِ ، وَالسَّكَرَةِ مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادَ إِلَى حَظِّهِ بِالسَّوَاجِيرِ <sup>(١)</sup> ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ، وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

### ( نَعْتُ الْكِتَابِ )

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِينُهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَبْتَ وَضَعَ الْكُتُبِ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفْتَ <sup>(٢)</sup> بِهَا الْوُجُوهَ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِمَا عَلِمَ ، حَتَّى عِبْتَ السَّكْلَ بِمَا عَلِمَ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصَبِ الْحَرْبِ فَعَبْتَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّخِرُ وَالْعَقْدَةُ <sup>(٣)</sup> هُوَ ، وَنَعِمَ الْجُلَيْسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ النَّشْرَةُ وَالنَّزْهَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأَنْيَسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ الْمَعْرِفَةُ بِلِلَادِ الْغُرْبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالْدَخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ .  
٢٠ وَالْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) السَّاجُورُ : خَشَبَةٌ تَمْلُقُ فِي عُنُقِ الْكَلْبِ . وَسَجَرُهُ : شَدَهُ بِهِ كَسُوجَرِهِ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٣ : ٥٠ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصَرَّفَ » .

(٣) الْعَقْدَةُ ، بَضْمُ الْعَيْنِ : مَا فِيهِ بِلَاغُ الرَّجُلِ وَكِفَايَتُهُ .

إِنْ شئتَ كَانَ أَبْيَنَ مِنْ سَحَابٍ وَائِلٍ ، وَإِنْ شئتَ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَإِنْ  
شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَإِنْ شئتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِنْ  
شئتَ أَهْتَكِ طَرَائِفُهُ ، وَإِنْ شئتَ أَشَجَّتْكَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظِ مُلِهِ ،  
وَبَزَاجِرِ مُغْرٍ ، وَبِنَاسِكِ فَاتِكِ ، وَبِنَاطِقِ أَخْرَسٍ ، وَبِبَارِدِ حَارٍّ . وَفِي الْبَارِدِ  
الْحَارُّ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانٍ<sup>(١)</sup> :

قُلْ لَزُهُيرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلٍ أَوْ أَكْثَرٍ فَأَنْتَ مِهْدَارُ<sup>(٢)</sup>  
سَخْنَتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَا - سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ<sup>(٣)</sup>  
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلَاجُ بَارِدٌ حَارُّ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ لَكَ بِطَيِّبِ<sup>(٥)</sup> أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارَسِيٍّ<sup>(٦)</sup>  
يُونَانِيٍّ ، وَبِقَلْدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ<sup>(٧)</sup> ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ  
الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،  
وَالرَّفِيعَ وَالرَّضِيعَ ، وَالْغَتَّ وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ .  
وَبَعْدَ : فَتَنِي رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ<sup>(٨)</sup> ، وَرَوْضَةً تُقَلُّ<sup>(٩)</sup>

- 
- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .  
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط  
« مهذار » بالذال .  
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أخذته أبو نواس من مذاهب حكماء  
الهند ، فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حاراً . وقالوا :  
إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .  
(٤) خفف راء ( حار ) لضرورة الوزن .  
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .  
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .  
(٧) في ط « ممتنع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتنع » .  
(٨) الرذن : أصل السكم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في السكم نفسه .  
(٩) في ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتلازم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي  
المحاسن « تنقل » .

في جِجْرٍ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك  
بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمِنُ مِنَ الأرض ،  
وأَكْتَمُ للسِّرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،  
وأحفظُ لما استُحْفِظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المعربين <sup>(١)</sup> ، بل مِنْ  
الصَّيَّانِ قَبْلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بتمييز الأشخاص ،  
حينَ العنايةِ تامَّةٌ لم تَنْقُصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تَنْقَسِمْ ، والإرادةُ وافرةٌ  
لم تَنْشَعِبْ ، والطَّيْنَةُ لَيِّنَةٌ ، فهي أَقْبَلُ ما تكون للطبايعِ ، والقضيبُ  
رطبٌ ، فهو أَقْرَبُ ما يكون من العلوق ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلُقْ  
جديدها ، ولم يُوَهِّنْ غَرْبُهَا ، ولم تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وكانت كما قال الشاعر <sup>(٢)</sup> :  
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا  
وقال عبدة بن الطبيب <sup>(٣)</sup> :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِيبُ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ <sup>(٤)</sup>  
ومن كلامهم : التعلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وقد قال جِرَانُ الْعَوْدِ <sup>(٥)</sup> :  
[ تُرْكَنَ رِجْلَةَ الرُّوحَاءِ حَتَّى تَنْكَرَتِ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ ]  
كُوْخِي فِي الْحِجَارَةِ أَوْ وُشُومِ بَائِدِي الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّثُورِ  
وقال آخر ، وهو صالح بن عبد القدوس :

وإِنَّ مَنْ أَدَّبَتْهُ فِي الصَّبِيِّ كَالْعَوْدِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

(١) في ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) هو مجنون بن عامر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .

(٣) البيت ساقط من ل . وفي ط « نيرة بن الطبيب » والتصحيح من س .

(٤) نشع الصبي وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .

(٥) شاعر نمري اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :

خذوا حذرا يا جارق فإني رأيت جران العود قد كاد يصلح  
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا      بَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي يُبْسِهِ <sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدِّبُ      وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أُشِيبُ  
وقال آخر :

وَتَلْوُمُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ      وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَهْرَمِ  
وقد قال ذو الرُّمَّة <sup>(٢)</sup> لعيسى بن عمر <sup>(٣)</sup> : أَكْتُبْ شِعْرِي ؛ فَالْكِتَابُ أَحَبُّ  
إِلَيَّ مِنَ الْخَفْظِ . لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسِي الْكَلِمَةَ وَقَدْ سَهَرَ فِي طَلَبِهَا لَيْلَتَهُ ،  
فِيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا ، ثُمَّ يُنْشِدُهَا النَّاسَ ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسِي  
وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ .

، وَعَبَتِ الْكِتَابَ ، وَلَا أَعْلَمُ جَارًا أَبْرَّ ، وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ ، وَلَا رَفِيقًا  
أَطْوَعَ ، وَلَا مَعْلَمًا أَخْضَعَ ، وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كَفَايَةً ، وَلَا أَقْلًا جِنَايَةً ، وَلَا  
أَقْلًا إِمْلَالًا وَإِرَامًا ، وَلَا أَحْقَلَ أَخْلَاقًا ، وَلَا أَقْلًا خِلَافًا وَإِجْرَامًا ، وَلَا  
أَقْلًا غَيْبَةً ، وَلَا أَبْعَدَ مِنْ عَضِيهِة <sup>(٤)</sup> ، وَلَا أَكْثَرَ أَعْجُوبَةً وَتَصَرُّفًا ، وَلَا أَقْلًا

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولى خالده بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ،  
إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن  
البحري والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفًا  
ذهبت كلها ، وكان يتقعر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،  
أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالي أراكم تكأكم على  
كتكأكم على ذى جنة ؟ ! افرنقوا عني » . وأتمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه  
نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها  
عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) المضية : الكذب والإفك والبهتان .

تصلُّفاً وتكلفاً، ولا أبعدَ من مراءٍ ، ولا أتركَ لشعَبٍ ، ولا أزهَدَ في جدالٍ ،  
ولا أكفَّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ قريناً أحسنَ موافاةً ، ولا أعجلَ  
مكافاةً ، ولا أحضرَ معونةً ، ولا أخفَّ مئونةً ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا  
أجمعَ أمراً ، ولا أطيَّبَ ثمرةً ، ولا أقربَ مُحتنى ، ولا أسرعَ إدراكاً ، ولا  
أوجدَ في كلِّ إِبَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلمُ نتائجاً في حدائِثِ سنَّه وقرُب  
ميلاده ، ورُخصِ ثمنه ، وإمكانِ وجوده ، يجمعُ من التدابيرِ العجيبةِ  
والعلومِ الغريبةِ ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحةِ ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفةِ ،  
ومِنَ الحِكمِ الرفيعةِ ، والمذاهبِ القويمةِ <sup>(١)</sup> ، والتجاربِ الحكيمةِ ، ومِنَ  
الإخبارِ عن القرونِ الماضيةِ ، والبلادِ المتنازحةِ ، والأمثالِ السائرةِ ، والأممِ  
البائدةِ ، ما يجمعُ لك الكتابُ . قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه عليه الصلاة  
والسلام ﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فَوَصَفَ نَفْسَهُ ،  
تبارك وتعالى ، بأنَّ عِلْمَهُ بِالْقَلَمِ ، كما وصفَ نفسه بالكرمِ ، واعتدَّ بذلك  
٢٢ في نِعَمِهِ الْعِظَامِ ، وفي أيادِيهِ الْجِسَامِ . وقد قالوا : الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ ، وقالوا :  
كُلُّ مَنْ عَرَفَ النُّعْمَةَ فِي بَيَانِ اللِّسَانِ ، كان بفضلِ النُّعْمَةِ فِي بَيَانِ الْقَلَمِ  
أَعْرَفَ . ثُمَّ جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ قَرَأْنَا ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي أَوَّلِ التَّنْزِيلِ  
وَمُسْتَفْتَحِ الْكِتَابِ .

### (كون الاجتماع ضرورياً)

ثُمَّ اعْلَمْ ، رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّ حَاجَةَ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ ، صِفَةٌ  
لَازِمَةٌ فِي طَبَائِعِهِمْ ، وَخِلْقَةٍ قَائِمَةٌ فِي جَوَاهِرِهِمْ ، وَثَابِتَةٌ لَا تُزِيلُهُمْ ، وَمُحِيطَةٌ  
بِجَمَاعَتِهِمْ ، وَمَشْتَمِلَةٌ عَلَى أَدْنَاهُمْ وَأَقْصَاهُمْ ، وَحَاجَتُهُمْ إِلَى مَا غَابَ عَنْهُمْ -

(١) فِي الْأَصْلِ « الْقَدِيمَةُ » بِالذَّالِ .

مَّا يُعِيشُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ ، وَيُمْسِكُ بِأَرْوَاقِهِمْ ، وَيُصْلِحُ بِهِمُ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وإلى التعاونِ في دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه - كَحَاجَتِهِمْ إلى التعاونِ على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازُرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التي لم تَغِبْ عنهم ، فحاجةُ الغائبِ مَوْصُولَةٌ بِحاجةِ الشاهدِ ، لاحتياج الأَدْنَى إلى معرفةِ الأَقْصَى ، واحتياجِ الأَقْصَى إلى معرفةِ الأَدْنَى ، معانٍ متضمنةٌ ، وأسبابٌ متصلةٌ ، وحوالٌ منعقدةٌ . وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلنا ، كحاجةٍ [ من كان قبلنا إلى أخبارِ مَنْ كان قبلهم ، وحاجةٍ ] من يَكُونُ بعدنا إلى أخبارنا ؛ ولذلك تقدَّمت في كتب الله البشارات بالرُّسل ، ولم يسخرْ لهم جميعَ خلقه ، إلَّا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه . وجعلَ الحاجةَ حاجتين : إحداها قِوَامُ وقُوت ، والأخرى لَذَّةُ وإمْتاعٌ وازديادٌ في الآلَةِ ، وفي كُلِّ ما أَجْذَلَ النفوسَ ، وجمع لهم العتاد<sup>(١)</sup> . وذلك المقدارُ مِنْ جميعِ الصَّنَافِينِ وفقٌ لسكرةِ حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساعِ معرفتهم وبُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وعلى قَدْرِ احتمال<sup>(٢)</sup> طبع البشرية وفِطْرَةِ الإنسانيَّةِ . ثم لم يقطع الزيادةَ إلَّا لعجزِ خلقهم عن احتمالها ، ولم يَجْزَ أن يفرق بينهم وبين العجزِ ، إلَّا بعدم الأعيان ، إذ كان<sup>(٣)</sup> العجزُ صفةً من صفاتِ الخلق ، ونعتاً من نُعُوتِ العبيد .

لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيعُ بلوغَ حاجتهِ بنفسه<sup>(٤)</sup> دون الاستعانة

(١) في ط : « المتعاد » وصوابه في ل .

(٢) في ط : « اعتبار » وتصحيحه من ل .

(٣) في ط : « إذا » وهو تحريف يقع كثيراً في مواضع تشبه هذا .

(٤) في ط : « بنفسه » والوجه ما أثبت عن ل .

ببعض من سخر له ، فأذنهم مسخر لأقصاصهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم .  
وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوق في باب ، وأحوج السوقة إلى الملوك  
في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده . ثم جعل الله تعالى كل  
شيء للإنسان خولاً ، وفي يده مذللاً ميسراً<sup>(١)</sup> . إما بالاحتياج له والتلطف  
في إراغته واستمالته ، وإما بالصولة عليه ، والفتك به ، وإما أن يأتيه  
سهواً ورهواً . على أن الإنسان لولا حاجته إليها ، لما احتال لها ، ولا صال  
عليها . إلا أن الحاجة تفرق في الجنس والجهة والجيلة ، وفي الحظ والتقدير .  
ثم تعبد الإنسان بالتفكير فيها ، والنظر في أمورها ، والاعتبار  
بما يرى ، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة ، وتلك  
الحاجات اللازمة ، بالنظر والتفكير ، وبالتنقيب<sup>(٢)</sup> والتنقيب ، والتثبت<sup>(٣)</sup>  
والتوقف ؛ ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم إليها ، وتشاعرهم بمواضع  
الحكم فيها بالبيان عنها .

### (البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائق  
حاجاتهم ، ومعرفاً لمواضع سد الخلة ورفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن  
أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة ، والأجسام  
الجامدة ، والأجرام الساكنة ، التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكمة

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقيب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : « والتثبت » .



وكنوز الآداب ، وينايع العلم ، إلا بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر التام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه الفكر ، والاحتباس من وجوه الخدع ، والتحفظ من دواعي الهوى ؛ ولأن الشكّل أفهم عن شكله ، وأسكن إليه وأصب به . وذلك موجود في أجناس البهائم ، وضروب السباع . والصبي عن الصبي أفهم له ، وله آلف وإليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لأن الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه .

ثم لم يرض لهم من البنيان بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرق ، وكثر ولم يقلل ، وأظهر ولم يخف ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون معانيهم ، والثر جمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛ وفي خصلة خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد تبدل بجنسها الذي وضعت له وصرفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ، والخط ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجد من صحة الدلالة ، وصدق الشهادة ووضوح البرهان ، في الأجرام الجامدة والصامته ، والساكنة التي لا تتبين<sup>(١)</sup> ولا تحس ، ولا تفهم ولا تتحرك إلا بداخل يدخل عليها ، أو عند ممسك خلى عنها ، بعد [ أن ] كان تقييدها .

ثم قسم الأقسام ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك الناظر واللامس في معرفة

(١) في ل : « لا تتبين » ، أى تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إِلَّا بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ نَصِيبَ النَّاظِرِ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِ اللّامِس . وَجَعَلَ الْخَطَّ دَلِيلًا عَلَى مَا غَابَ مِنْ حَوَائِجِهِ عَنْهُ ، وَسَبَبًا مَوْصُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْوَانِهِ ؛ وَجَعَلَهُ خَازِنًا لِّمَا لَا يَأْمَنُ نَسْيَانُهُ ، مِمَّا قَدْ أَحْصَاهُ وَحَفِظَهُ ، وَاتَّقَنَهُ وَجَمَعَهُ ، وَتَسَكَّلَ الْإِحَاطَةَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلشَّامِّ وَالذَّائِقِ نَصِيبًا .

### ( خطوط الهند )

ولولا خطوطُ الهندِ لضاع من الحسابِ الكثيرُ والبسيطُ ، ولبطلت (١) معرفةُ النضاعيفُ ، ولعَدِمُوا الإحاطةَ بالباوراتِ وباوراتِ الباوراتِ (٢) ، ولو أَدْرَكُوا ذَلِكَ لَمَا أَدْرَكُوهُ (٣) إِلَّا بَعْدَ [ أَنْ ] تَغْلُظَ الْمَثُونَةُ ، وَتَنْقِصَ الْمُنَّةُ ، وَلَصَارُوا فِي حَالِ مَعْجَزَةٍ وَحُسُورٍ ، وَإِلَى حَالِ مَضِيعَةٍ وَكَلَالٍ حَدٍّ ، مَعَ التَّشَاغُلِ بِأُمُورٍ لَوْلا فَقْدُ هَذِهِ الدَّلَالَةِ لَسَكَانَ أَرْبَحَ لَهُمْ ، وَأَرَدَّ عَلَيْهِمْ ، أَنْ يُصَرِّفَ ذَلِكَ الشَّغْلُ فِي أَبْوَابِ مَنَافِعِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

### ( نفع الحساب )

ونفع الحساب معلوم ، وَالْخَلَّةُ فِي مَوْضِعِ فَقْدِهِ مَعْرُوفَةٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وَبِالْبَيَانِ عَرَفَ النَّاسُ الْقُرْآنَ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بحذفها .

(٣) في ط : « ولو أَدْرَكُوا ذَلِكَ لَمَا أَدْرَكُوهُ » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فَأَجْرَى الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَسْكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ <sup>(١)</sup> ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلِكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلِكِ الْأَقْدَارُ .

### (ففضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوّنة والأخبارُ المخلّدة ، والحكمُ المخطوطة التي تُحَصِّنُ الْحِسَابَ وَغَيْرَ الْحِسَابِ ، لَبْطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ ، وَلَغَلَبَ سُلْطَانُ النَّسْيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْزَعٌ إِلَى مَوْضِعِ اسْتِذْكَارٍ . وَلَوْ تَمَّ ذَلِكَ لَحَرَمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْدَارَ حِفْظِ النَّاسِ لِعَوَاجِلِ حَاجَاتِهِمْ وَأَوَائِلِهَا ، لَا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا مَذْكُورًا وَلَا يُغْنِي فِيهِ غَنَاءُ <sup>(٢)</sup> مَحْمُودًا . وَلَوْ كُلِّفَ عَامَّةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَصْطَنِعُ الْكُتُبَ ، أَلَّا يَزَالَ حَافِظًا لِفَهْرَسْتِ كُتُبِهِ لِأَعْجَازِهِ ذَلِكَ ، وَلِكُلِّفَ شَطَطًا ، وَلَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ . وَفَهْمُكَ لِمَعَانِي كَلَامِ النَّاسِ ، يَنْقَطِعُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فَهْمِ عَيْنِ الصَّوْتِ مُجَرَّدًا ، وَأَبْعَدُ فَهْمِكَ لَصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامِلِكَ وَالْمَعَاوِينَ لَكَ ، مَا كَانَ صِيَاحًا صَرَفًا ، وَصَوْتًا مَصْمِتًا وَنِدَاءً خَالِصًا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفَاهِمَةِ ، وَعُطِّلٌ مِنَ الدَّلَالَةِ . فَجَعَلَ الْفِظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وضواؤه المدك في ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح  
 ٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رفع الحواجب ، وكسر  
 الأجنان ، ولئ الشفاه وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها  
 أن تلوى بثوب على مقطع جبل ، تُجَاهَ عَيْنِ الناظر ، ثم ينقطع عملها ويدرس  
 أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعد كل شيء فضل عن انتهاء مدى الصوت  
 ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب . فأى نفع أعظم ،  
 وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !! وليس للعقد حظ  
 الإشارة في بُعد الغاية .

### ( فضل القلم )

فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونوّه بذكره  
 في المنصب الشريف حين قال ﴿ ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بالقلم  
 كما أقسم بما يُخطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشق  
 غباره ولا يجرى في حلبته ، ولا يتسكلف [ بُعد ] غايته . لكن لما أن  
 كانت حاجات الناس بالحضرة <sup>(١)</sup> أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ،  
 وكانت الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة واکدة ، وراهنّة ثابتة ،  
 وكانت الحاجة إلى بيان القلم أمراً يكون في الغيبة وعند النائية ، إلا  
 ما خصّت به الدواوين ؛ فإن لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قَدَّمُوا اللِّسَانَ عَلَى الْقَلَمِ . فَاللسانُ الآنَ إِنَّمَا هُوَ فِي مَنَافِعِ الْيَدِ<sup>(١)</sup> وَالْمُرَافِقِ الَّتِي فِيهَا ، وَالْحَاجَاتِ الَّتِي تَبْلُغُهَا .

### ( فَضْلُ الْيَدِ )

فَمِنْ ذَلِكَ حَظُّهَا وَقِسْطُهَا مِنْ مَنَافِعِ الْإِشَارَةِ ، ثُمَّ نَصِيبُهَا فِي تَقْوِيمِ الْقَلَمِ ، ثُمَّ حَظُّهَا<sup>(٢)</sup> فِي التَّصْوِيرِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الصَّنَاعَاتِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الْعَقْدِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، ثُمَّ حَظُّهَا فِي إِيْصَالِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى الْفَمِ ، ثُمَّ التَّوَضُّؤُ وَالِامْتِسَاحُ<sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ انْتِقَادُ الدَّنَانِيرِ وَالْدَرَاهِمِ وَلُبْسُ الثِّيَابِ ، وَفِي الدَّفْعِ عَنِ النَّفْسِ ، وَأَصْنَافِ الرَّمِيِّ ، وَأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وَأَصْنَافِ الطَّعْنِ ، ثُمَّ التَّقْبِيرُ بِالْعُودِ وَتَحْرِيكِ الْوَتْرِ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَبْطَلَ الضَّرْبُ كُلُّهُ أَوْ عَامَّتُهُ . وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَهَا ضَرْبُ الطَّبْلِ وَالذَّفِّ ، وَتَحْرِيكِ الصِّفَاقَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> ، وَتَحْرِيكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ الْمَزَامِيرِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِطْلَاقِ وَالْحَبْسِ . وَلَوْلَا مَا يَكُنُ فِي الْيَدِ إِلَّا إِمْسَاكُ الْعِنَانِ وَالزِّمَامِ وَالْخَطَامِ ، لَسَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْحِظُوظِ .

وَقَدْ اضْطَرَبُوا فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْعَقْدِ وَالْإِشَارَةِ ، وَلَوْلَا أَنَّ مَغْزَانَا فِي هَذَا السِّكِّتَابِ سِوَى هَذَا الْبَابِ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا مِمَّا أُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ إِخْوَانُنَا

(١) فِي ل « إِنَّمَا يُوْفَى مَنَافِعِ الْيَدِ » .

(٢) هَذِهِ السَّكَّةُ وَمُكَرَّرَاتُهَا هِيَ فِي ط : « خَطُّهَا » وَهُوَ تَصْحِيفُ أَصْلَحَ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « وَالتَّمْسَحُ » .

(٤) الظَّاهِرُ أَنَّهَا آلَةُ مُوسِيقِيَّةٌ تُشَبِّهُ تِلْكَ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا أَهْجَابُ الْمَوْسِيقِ النَّحَاسِيَّةِ : قَرَصِينَ نَحَاسِيَّينَ يَضْرِبُ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ .

وخطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد  
٢٦ الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتبي ، من طريق  
فضل<sup>(١)</sup> ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما  
قصدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

### ( فضل الكتاب )

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين<sup>(٢)</sup> ، وحساب الدواوين  
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكته ، وبلغ ما استنطقته . ومن  
لك بمسامر لا يبتدئك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،  
ولا يحوجك إلى التجميل له والتدثيم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل  
زيارته غيباً ، ووروده خمساً ، وإن شئت لزمك لزوم ظلك ، وكان منك  
مكان بعضك .

والقلم مكتف بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدّ لبيان اللسان  
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك<sup>(٣)</sup> خاص الخاص  
إذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أدنى طبقاته ؛ وليس  
يكتفي خاص [ الخاص ] باللفظ عمّا أدّاه ، كما اكتفى عام العام والطبقات  
التي بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو المجلس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يغريك ،

---

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيق الذي لا يملك ، والمستميج الذي لا يسترئيك <sup>(١)</sup> ، والجار الذي لا يستبطنك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالسكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب . والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك ، وشحذ طبعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بَنَانك ، وفحّم ألفاظك ، وبجّج <sup>(٢)</sup> نفسك ، وعمرّ صدرك ، ومنحك تعظيم العوامّ وصداقة الملوك ، وعرفت به في شهر ، ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من الغرم ، ومن كدّ الطلب ، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ، ومن الجلوس بين يديّ مَنْ أنت أفضل منه خلقاً ، وأكرم منه عرقاً ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغبياء . والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتلّ بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر . وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يُخفرك ، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عزّلت لم يدع طاعتك ، وإن هبّت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلّقاً بسبب أو معصماً بأذى حبل ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تضطرّك [ معه ] وحشة الوحدة إلى جليس السوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلّا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى ٢٧ المارة بك ، مع ما في ذلك من التعرّض للحقوق التي تُلزم ، ومن فضول

(١) المستميج : طالب العرف . واسترأته : استبطأه . وفي ط : « يشتريك » . وفي ل :

« يسترذك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البجج محرّكة : الفرح ، وبجج به كفرح ، وبججته تبجيحاً فتبجح : أي أفرحته وفرح .

النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك <sup>(١)</sup> ، ومن ملابسة صغار الناس ، وحضور ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ، وجهالاتهم المذسومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ، مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخْفِ المنى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه أَسْبَغَ النعمة وأعظمَ المِنَّة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفُكاهات ساعات ليلهم ، السكتاب . وهو الشيء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروعة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح دين ، ولا في تثير مال ، ولا في ربّ صنعة <sup>(٢)</sup> ولا في ابتداء إنعام .

### ( أقوال لبعض العلماء في فضل السكتاب )

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبنيه في وصيته : يَا بَنِي لَا تَقُومُوا فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَّاقٍ <sup>(٣)</sup> .

وحدثني صديق لي قال : قرأتُ على شيخٍ شامئٍ كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلا من السكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى <sup>(٤)</sup> يقول : غَبَرَتِ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قِلْتُ

---

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الخرص » .

(٢) رب الصنعة : تعهدها .

(٣) الزرَاد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤى » والصواب ما أثبتته . والحسن هذا هو ابن =



ولا بُتُّ [ ولا اتسكأت ] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى <sup>(١)</sup> .

وقال ابن الجهم : إذا غشيته النعاس في غير وقت نوم - وبئس الشيء النومُ الفاضلُ <sup>(٢)</sup> عن الحاجة - قال : فإذا اعتراني ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحكم ، فأجدُ اهتزازي للفوائد ، والأريحية <sup>(٣)</sup> التي تعتريني عند اللظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين <sup>(٤)</sup> أشدَّ إيقاظاً من نهيق الحمير وهدة الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه - فلو تراني وأنا ساعةً بعد ساعة أنظرُكم بقى من ورقه مخافةً استنفاده ، وانقطاع المادّة من قلبه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق ، كثير العدد - فقد تمَّ عيشي وكُمِّلَ سروري .

وذكر العتي <sup>(٥)</sup> كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرة ورقه

= زياد اللؤلؤى السكوفي ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلي . . وقد روى الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان في بعض الليالي بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده ! ! (١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقييل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط : « الفاصل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحية » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التين » .

(٥) في ل : « القيني » وهو تصحيف ما في ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان قاضياً وتوفي سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة الإنشاء في خراسان والعراق وتوفي سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يعنيه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : اسكتي ما رغبتى فيه إلا الذى زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلافى من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه<sup>(١)</sup> في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرٌ مخير ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأننى سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال<sup>(٢)</sup>] : إنما رغبتى<sup>(٣)</sup> فى العلم أتى ظننت أنى أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس فى يدي إلا المواعيد ، فأنتى لا أريد العلم بشيء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبي سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحبن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشى البيان ٢ : ١٨٢ .

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألقى به ، لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره من يستنصحه ، وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتى »

## ( السماع والكتابة )

فالإنسان لا يعلم حتى يكثُر سماعه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبه أكثر من سماعه ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَف [ إليه ] <sup>(١)</sup> ، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهزين بالبيان <sup>(٢)</sup> ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيّاً . وليس ينتفع بإنفاقه ، حتى يؤثر اتِّخاذ الكتب إيثاراً الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابي في فرسه .

## ( حرص الزنادقة على تحسين كتبهم )

وقال إبراهيم بن السندی مرة : ودَّتُ أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة <sup>(٣)</sup> بالورق النقي الأبيض ، وعلى تخير <sup>(٤)</sup> الحبر الأسود المشرق البراق ، وعلى استجادة الخط والإرغاب لمن يخط ، فأني لم أركورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتُ مالاً عظيماً — مع حبِّي للمال وبُغْضِ الغُرم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهزئ : المولع بالشيء المنهك فيه . وفي ط : « ألدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستهزئين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل لتصح .

(٣) في ط « حرصي على المقالات » وصوابه ما في ل . وحرصيص إنما يجمع على حرص — كرماع ،

وحرصاص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكر الآفات .  
قلت لإبراهيم : إنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على  
البيع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ  
وُسُننٍ [و] تبيينٍ وتبيين<sup>(١)</sup> ، أو لو كانت كتبُهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصناعات ،  
أو سُبُلَ التكسُّبِ والتجارات ، أو كتبَ ارتفاعاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعض  
ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنَّ كان ذلك لا يقربُ من غنى  
ولا يُبعدُ من مآثم — لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ  
٢٩ في التبيين<sup>(٢)</sup> ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الديانة ، [و] على طريقِ تعظيم  
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق الخجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ  
النصارى على صُلْبِان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سَدَنَةِ البِدَّةِ . ولو كانوا  
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحِكْمَةِ لهم مبدولةً ، والطرقُ إليها سهلةً  
معروفةً . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلَّا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى  
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون  
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلغُوا في ذلك بعفْوهم ،  
ما لا تبلغُه النصارى بغاية الجُهد .

### (مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشقَ ، حين استجاز هذا السبيل ملكٌ من  
ملوكها ، ومن رآه فقد علم أنَّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوا أنفسهم

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصححه بما ترى .

(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلمّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بالجلال ، وغطّاه بالسكرابيس<sup>(١)</sup> ، وطبخَ سلاسلَ القناديلِ حتّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريقُ ؛ وذهب إلى أن ذلك الصنيعَ بجانبُ لسنة الإسلام ، وأنّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحسنَ الدِّقّاقَ ، مَدْحَلَةٌ للقلوبِ ، وَمَشْغَلَةٌ دونَ الخشوعِ ، وأنّ البالَ لا يكونُ مجتمعاً وهناك شيءٌ يفرِّقه ويعترض عليه .

### (صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس في كتبهم مثلُ سائرٍ ، ولا خبرٌ طريفٍ ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبةٌ ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميّةٌ ، ولا تعريفٌ صناعةٌ ، ولا استخراجٌ آلةٌ ، ولا تعليمٌ فلاحَةٍ ، ولا تدبيرٌ<sup>(٢)</sup> حربٍ ، ولا مقارعةٌ<sup>(٣)</sup> عن دينٍ ، ولا منازلةٌ عن نَحْلَةٍ ، وجُلُّ ما فيها ذكرُ النورِ والظلمةِ ، وتناكُحُ الشياطينِ ، وتسافدُ العفاريتِ ، وذكرُ الصنديدِ ، والتهويلِ بعمودِ السِّنخِ<sup>(٤)</sup> ، والإخبارِ عن شَقْلونٍ ، وعن الهامةِ [والهامة] . و [كلُّه] هَذَرٌ وعِىٌّ وخُرَافَةٌ ، وسُخْرِيَةٌ وتسكُذُبٌ ، لا ترى فيه موعظةً حسنةً ، ولا حديثاً مُونِقاً ، ولا تدبيرَ معاشٍ ، ولا سياسةَ عامةٍ ، ولا ترتيبَ خاصّةٍ<sup>(٥)</sup> . فأىُّ كتابٍ أَجْهَلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أَفْسَدُ من كتابٍ

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزة : فعلال . والنسبة كرابيسي ، كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) في ط : « تدبر » والوجه ما في ل .

(٣) ماعدا ل : « منازعة » .

(٤) في ط « الصبح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصية » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع<sup>(١)</sup> بالديانة ، [ لا<sup>(٢)</sup> ] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دينٍ ! ؟ والناس لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامة سرقها [ وإحضار نفعها . وأما الدين فأقل ما يُطمع في استجابة العامة ] ، واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورة مغلفة ، ويموه تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [ الزائف ] الذى لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل<sup>(٣)</sup> . فليس إنفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر [ اختلافاً وأكثر ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه<sup>(٤)</sup> ، ومن الاحتشاد له والتغليظ<sup>(٥)</sup> فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

### ( فضل التعلم )

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لى : اكتب كل ما تسمع ، فإن أحسن ما تسمع خيراً من مكانه أبيض<sup>(٦)</sup> .

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه ( الدنيا والبهرج ) والدرهم الذى ( لا ) يغلط فيه الكثير

ويعرف ( حقيقة ) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بهد أن حذفت ( لا ) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما فى ل . ويطابقه ما فى المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خيراً من مكانه أبيض » لكن فى ط : « من مكان » .

وقال الحليل بن أحمد : تسكَّرتُ من العلم لتعرف ، وتقلَّل منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير <sup>(١)</sup> :

أما لو أعى كلَّ ما أسمعُ وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ  
ولم أستفدْ غيرَ ما قد جمعتُ لقليلِ هو العالمِ المصقعُ <sup>(٢)</sup>  
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نو عٍ من العلم تسمعه تنزعُ  
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ  
وأحصر بالعيِّ في مجلسي وعلمي في الكتبِ مستودعُ  
فمن يكُ في علمه هكذا يكنْ دهره القهقرى يرجعُ  
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعك للكتبِ لا ينفع

### (التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّف ابنُ يسيرِ الكتبَ ما ليس عليها . إن

الكتبَ لا تحي الموتى ، ولا تحوِّل الأحمقَ عاقلاً ، ولا البليدَ ذكياً ،  
ولكنَّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قبُول ، فالكتبُ تشحذُ وتفتِّقُ ،  
وترهِّفُ وتشنِّقُ . ومن أرادَ أن يعلمَ كلَّ شيءٍ ، فينبغي لأهله أن يداووه !

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي  
الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، مثقلاً ، لم يفارق البصرة ،  
ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،  
وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الملاحظ  
في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يتركه - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو  
يكون نسبة في المحاسن والمساوي ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإنَّ ذلك إنما تصوَّر له بشيءٍ اعتراه !! فَمَنْ كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصِّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائر ما يجري فبه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلاَّ نسيَ ما هو أكثرُ منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

### ( جمع الكتب )

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتبٍ يحبى ، وفي بيت مدرسه<sup>(١)</sup> كتابٌ إلاَّ وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُه ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ اليد ، إلاَّ اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إنَّ في دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سوءةٍ ، وهم جلوسٌ على خيرةٍ لهم<sup>(٢)</sup> ، وعندهم طنبورٌ . فأسورنا عليهم<sup>(٣)</sup> في جماعةٍ من رجالِ الحىِّ ، فإذا فتى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس ككتب ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر ( بعد تصغيرها ) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٧٤ ، والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالبدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان ( دمر ) وما سيأتى في ص ٢٩٦ .



الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفترًا فيه شعر . فقال الذي سعى بهم : السَّوءَةُ في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتى أصحابه شيوخ ، وفي يده دفترُ علم ، ولو كان في ثوبه دمُ يحيى بن زكرياء ! !

وأشدد رجلُ يونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً      فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنانتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانتَه له ، إنَّ علمَكَ من روحِكَ ، ومالكَ من بدنِكَ ، فضعه منك بمكان الروح ، وضعْ مالكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحية - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود كوفية ، ودفتين طائفيتين<sup>(١)</sup> ، بخطٌ عجيب - فقيل له : لقد أُضيعَ من تجوّدَ بشعر<sup>(٢)</sup> أبي الشمقمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيكُم على حسابِ ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودعَه سُويداءَ قلبي ، أو أجعله محفوظاً على ناظري ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيتُ السَّاطِنَ والرجالَ مُثُولاً كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فِرْشَتَه وِزْرَتَه ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقماطُ والدفاترُ والمساطرُ والمخابرُ ، فما رأيته قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) في ط : « طائفين » والصواب ما في ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) في ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة  
الحلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحية : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بن عبد الله بن عمر  
ابن الخطّاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ  
يُرى إلّا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال :  
لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أَمْنَعُ<sup>(١)</sup> من كتاب ، ولا أَسْلَمَ من الوحدة .  
ف قيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدَها للجاهِل [ وأصلحها  
للعاقل ! ] .

### (ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوط بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعة الخطِّ . قال  
الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله  
عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾  
وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ  
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولولم تكتب أعمالهم لكانت محفوظة لا يدخلُ ذلك الحفظ نسيانُ ،  
ولكنه تعالى وعزَّ ، علم أنَّ كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كدُّ وأبلغُ  
في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ما هنا « أمتنع » من الإمتناع .

وخط آخر ، وهو خطُ الحازي والعراف<sup>(١)</sup> والزَّاجِر . وكان فيهم  
 حليس<sup>(٢)</sup> الخطَّاط الأسديّ ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :  
 فَأَنْتُمْ عَضَارِيطُ الْحَمِيرِ إِذَا غَزَوْا غَنَاؤُكُمْ تِلْكَ الْأَخَاطِيطُ فِي التَّرْبِ<sup>(٣)</sup>  
 وَخُطُوطُ آخَرَ ، تكون مستراحاً للأسيرِ والمهمومِ والمفكر ، كما يعترى المفكرُ  
 من قرع السنِّ ، والغضبان من تصفيق اليد وتحييط العين . وقال تأبَّطُ شراً :  
 لَتَقَرَّعَنَّ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي  
 وَفِي خُطِّ الْحَزِينِ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ ذُو الرُّمَّةِ<sup>(٤)</sup> :  
 عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي بِلِقْطِ الْحَصَى وَالْخُطِّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعٌ<sup>(٥)</sup>  
 أَنْحُطُّ وَأَمْحُو الْخُطَّ ثُمَّ أُعِيدُهُ بِكَفِّي وَالْغِرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَّعُ  
 وَذَكَرَ النَّابِغَةُ صَنِيعَ النِّسَاءِ ، وَفَرَعَهُنَّ إِلَى ذَلِكَ ، إِذَا سُبِينِ وَاغْتَرَبِنِ  
 وَفَكَّرِنِ ، فَقَالَ :

- (١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة  
 في العرب . والراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :  
 جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إن هما شفياني
- (٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . وورد في ل برسم  
 « حليس » وفي ط برسم « جلس » .
- (٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملابط ، وعضروط كمصفور ، قال في  
 القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، واللثيم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه  
 ١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .
- (٤) قال الثعالبي في الثمار ٢١٤ : ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في  
 في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرع البيان ! ! ثم يجزب بما  
 يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :  
 عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنِي بِلِقْطِ الْحَصَى وَالْخُطِّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعٌ «  
 وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .

- (٥) في الثمار كما كتبت « بليقت » بالقفاء بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وانظر  
 تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَخْطُطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَنَانِ رُمَّانَ الثُّدِيِّ النَوَاهِدِ  
وقد يفزع إلى ذلك الْحَجَلُ والمُتَعَلِّلُ ، كما يفزع إليه المَهْمُومُ وهو قولُ القاسمِ  
ابن أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا يَنْقَرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَلْمُسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ<sup>(١)</sup>  
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ الْإِقَاءِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ  
وقال الحارث بن السَّكِنْدِيُّ ، وذكرَ رجلاً سألَهُ حَاجَةً فَاعْتَرَاهُ الْعَبْثُ  
بأسدانه ، فقال :

وَأَضَرَ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضِرْساً يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعُ بَضْرُسٍ  
وربما اعتَرَى هؤلاءُ عَدُوَّ الْحَصَى ، إِذَا كَانُوا فِي مَوْضِعِ حَصَى ، وَلَمْ يَكُونُوا  
فِي مَوْضِعِ تَرَابٍ ، وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِداً أَعْدُوَّ الْحَصَى مَا تَنْقَضِي حَسْرَاتِي  
وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ :

نَهْرًا جَارِيًا وَبَيْتًا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ  
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْمَكَارِمِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَلْهُمْ بِلَقْطِ حَصَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وقال الآخر ، وهو يَصِفُ أَمْرَأَةً قُتِلَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ مَحْزُونَةٌ تَلْقُطُ الْحَصَى :  
وَبِيضَاءَ مَكْسَالٍ كَأَنَّ شَاحَهَا عَلَى أُمِّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَذُولِ<sup>(٣)</sup>

(١) في ط : « يَنْكُتُونَ » ، وهو تصحيف ، وفي س « يَنْكُتُونَ » ، وفي ل وكذلك عيون  
الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزباني ٣٣٢ « لا يَنْقَرُونَ » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب  
١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تَرَاخٍ » لعلها « بَرَاخٍ » كسحاب ، وأصل معناه الفسح من الأرض . و « تَعْلَلْهُمْ »  
هي في ط : « تَعْلَقْهُمْ » وليس بشيء . وفي ل « تَعْلَلْهُمْ » وهو خطأ كتابي .

(٣) في ط : « الْمُقْلَتَيْنِ » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقتلتين يعني به الطلبي .  
والخذول من وصف أمه ، وهي التي خذلت أصحابها فأنفردت عنهم قائمة على ولدها ،  
فهى فزعة ولهة على خشفها ، وهي تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلَتْ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى  
مع الصُّبْح ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ  
يقول : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلاً عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورِثْهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاءِ  
الْحَصَى . يَخْبِرُ أَنَّه لَمَنْعَتْهُ ، لَا يُوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قُوْدَ .

### (أَقْوَالُ الشُّعْرَاءِ فِي الْخَطِّ)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ  
قال : قال المُنْعَعُ الْكَنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :  
كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغِلَامِ أَجَادَهُ <sup>(١)</sup> بِمَدَادِهِ ، وَأَسَدٌ مِنْ أَقْلَامِهِ <sup>(٢)</sup>  
قَلَمٌ كَخَرْطُومِ الْحِمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ  
يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءَهَا لِيَبَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أَرْسَامِهِ  
مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادُ سُخَامِهِ حَتَّى تَغْيِرَ لَوْنُهَا بِسُخَامِهِ  
يَحْنَى فَيَقْصِمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ <sup>(٣)</sup> كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ  
وَبِأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاعَمَ فَاسْتَوَى سُقَى الْمَدَادَ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ  
مُسْتَعْجِمٌ وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا <sup>(٤)</sup> نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) فِي ط : « كَتَفَ » وَفِي ل « كَفَ » وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ س .

(٢) فِي ط : « بِمَدَادِهِ » وَهُوَ تَصْحِيفُ ظَاهِر .

(٣) فِي ط : « يَحْنَى » وَإِنَّمَا هُوَ « يَحْنَى » بِالْخَاءِ كَمَا فِي ل ، أَيْ يَرِقُ سَنَهُ ، فَيَتَعَثَّرُ فِي الْكِتَابَةِ .  
وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَفَا الْقَدَمَ وَالْحَفَ وَالْخَافِرَ .

(٤) فِي ط : « مُسْتَعْجِمٌ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل ؛ لِأَنَّهُ الْوَجْهَ . وَاسْتَعْجِمَ : سَكَتَ ،  
وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

فَاسْتَعْجِمْتَ دَارَ نَعَمٍ مَا تَكَلَّمْنَا وَالِدَارَ لَوْ كَلَّمْتَنَا ذَاتَ أَخْبَارٍ

وَاهُ تَرَاجِمُهُ بِالْأَسْنَةِ لَهُمْ      تَبْيَانُ مَا يَتَلَوْنَ مِنْ تَرْجَامِهِ  
 مَا خَطُّ مِنْ شَيْءٍ بِهِ كِتَابُهُ      مَا إِنْ يَبُوحُ بِهِ عَلَى اسْتِكْتَامِهِ  
 وَهَجَاؤُهُ قَافٌ وَلَا مَ بَعْدَهَا      مِمَّ مَعْلَقَةٌ بِأَسْفَلِ لَامِهِ  
 ثُمَّ قَالَ :

قَالَتْ لَجَارَتَهَا الْغَزِيلُ إِذْ رَأَتْ      وَجَهَ الْمُقَنَّعِ مِنْ وَرَاءِ لُثَامِهِ  
 قَدْ كَانَ أَبْيَضَ فَاغْتَرَاهُ أَذْمَةُ      فَالْعَيْنُ تُنْكِرُهُ مِنْ أَذْهِمَامِهِ  
 كَمْ مِنْ بُيُوزِلٍ عَامِهَا مَهْرِيَّةً      سُرُوحِ الْيَدَيْنِ وَمِنْ بُيُوزِلٍ عَامِهِ  
 وَهَبَ الْوَلِيدُ بَرَحْلَهَا وَزَمَامَهَا <sup>(١)</sup>      وَكَذَاكَ ذَاكَ بَرَحْلِهِ ، وَزَمَامِهِ  
 وَقَوِيرِحٍ عَتَدَ أَعْدَ لِنِيَّهِ      لِبْنُ الْقُوحِ فَعَادَ مِلَّةَ حِزَامِهِ <sup>(٢)</sup>  
 وَهَبَ الْوَلِيدُ بَسْرَجَهَا وَلِجَامَهَا      وَكَذَاكَ ذَاكَ بَسْرَجِهِ ، وَلِجَامِهِ  
 أَهْدَى الْمُقَنَّعَ لِلْوَلِيدِ قَصِيدَةً      كَالسَيْفِ أَرْهَفَ حُدَّهُ بِحُشَامِهِ  
 وَلَهُ الْمَأْثَرُ فِي قَرِيشٍ كُلِّهَا      وَلَهُ الْخِلَافَةُ بَعْدَ مَوْتِ هِشَامِهِ  
 وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ جَمَاعَةَ الْجَذَامِيُّ <sup>(٣)</sup> فِي الْخَطِّ :

(١) فِي ط : « وَزَمَاعَهَا » وَالصَّوَابُ مَا كَتَبْتُ مِنْ ل .  
 (٢) الَّتِي بِالْكَسْرِ : الشَّحْمُ . الْقَوِيرِحُ : مُصْفَرُّ قَارِحٍ ، وَهُوَ مِنْ ذِي الْخَافِرِ ، بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ  
 مِنَ الْإِبِلِ . الْعَتَدَ مَحْرَكَةً وَكَكْتَفَ : الْمَعْدَ لِلْجَرَى ، أَوْ الشَّدِيدَ التَّامَ الْخَلْقَ . الْقُوحُ :  
 النَّاقَةُ قَدْ لَقِحَتْ . . . وَكَانَ الْعَرَبُ يَسْقُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ أَلْبَانَ الْإِبِلِ . قَالَ الْأَعْرَجُ  
 الْمَعْنَى ( الْحَمَاسَةُ ١ : ١٣٠ ) :

أَرَى أَمْ سَهْلٌ مَا تَزَالُ تَفْجَعُ تَلُومَ وَمَا أَدْرَى عِلَامَ تَوْجَعِ  
 تَلُومَ عَلَى أَنْ أَمْنَحَ الْوَرْدَ لِقَعَةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعِ  
 إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مَشْمَعَةً نَخِيبَ الْفَوَادِ رَأْسَهَا مَا يَقْنَعِ  
 وَقَمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مِيسِرًا هُنَاكَ يَجْزِينِي بِمَا كُنْتُ أَصْنَعِ  
 وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ النُّصْرَانِيِّ الْجَرْمِيُّ ( الْحَمَاسَةُ ١ : ٢٤٦ ) :

هَاجَرْتَنِي يَا بَنْتَ آلِ سَعْدِ أَأَنْ حَلَيْتَ لِقَعَةَ الْوَرْدِ  
 جَهَلْتُ مِنْ عَنَانِهِ الْمَتَدِ وَنَظَرْتَنِي فِي عَطْفِهِ الْأَلَدِ

(٣) كَذَا فِي ل وَ س . . . وَقَدْ وَرَدَ « جَمَاعَةُ » بِالْخَاءِ فِي ط .

إِلَيْكَ بِسِرِّي بَاتَ يُرْقِلُ عَالَمٌ

أَصَمُّ الصَّدَى مُحَرَّوْفُ السَّنِّ طَائِعٌ<sup>(١)</sup>

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالَهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ

كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحٌ بِسِرِّهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حَشَحَتْهُ الْأَصَابِعُ

لَهُ رِيْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرِثٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعٍ صَدَقَتْهَا الْأَضَالِعُ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ الطَّائِيُّ ، يَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :

وَمَا بَرِحَتْ صُورًا إِلَيْكَ نَوَازِعًا أَعْنَتْهَا مَذُّ رَاسَلَتِكَ الرِّسَالِ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ<sup>(٣)</sup>

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا لَمَّا احْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلِ<sup>(٤)</sup>

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ

لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلِ

إِذَا مَا امْتَطَى الْحَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لَنَجْوَاهِ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلِ<sup>(٥)</sup>

(١) في ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : جمد الآدمى بعد موته . فهو

بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ،

فكان القلم ينطق في القِرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنها » . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط : « بشباهه » موضع بشباهته ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا نجيتها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استغزر الذهن المجلى » وأثبت ما في ل .

وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل<sup>(١)</sup>  
 رأيت جليلاً شأنه وهو مُرهَفٌ ضنى وسميناً خطبته وهو ناحل<sup>(٢)</sup>  
 أرى ابنَ أبي مروانَ أمّا لِقَاؤُهُ فدانٍ وأمّا الحكمُ فيه فعادل  
 ٣٥ وقد ذكر البُحْثَرِيُّ في كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكر<sup>(٣)</sup> ، ومن أنبلِ أبناءِ  
 كتابهم<sup>(٤)</sup> الجِلَّةُ فقال :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيحُ الدُّجَى في كتبه

### (الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخلقة  
 مَرَكَبَةً في البُنْيَانِ ؛ فربّما كان الكتابُ هو النَّاتِي ، وربّما كان  
 الكتابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ،  
 أو مَوْعِظَةً يُرْتَجَى نفعُها ، أو إحياءٌ شرفٍ يريدون تخليد ذكره ،  
 [ أو تطويل مدته ] ، كما كتبوا على قُبَّةِ غُمْدَانَ<sup>(٥)</sup> ، وعلى باب القَيْرُوانِ<sup>(٦)</sup> ،

(١) في ط : « وقد رمزته الخنصران وشدت » وهو تحريف ما أثبتته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة  
 إلى الحسن بن وهب ، في مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرها منها عبيد الله  
 ابن حسان ، في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت  
 المذكور من قصيدة في ديوان البُحْثَرِيِّ ٦٧ مغلطها :

من سائل المعذل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) في ط : « أنيل ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمندان : قصر بين صنعاء وطبوة ، واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة  
 في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .



وعلى باب سَمَرْقَنْد<sup>(١)</sup> ، وعلى عمود مأرب<sup>(٢)</sup> ، وعلى ركن المشقر<sup>(٣)</sup> ، وعلى الأبلق الفرد<sup>(٤)</sup> ، وعلى باب الرها<sup>(٥)</sup> ؛ يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، والمواقع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدُّثُور ، وأمنعها من الدُّروس ، وأجدر أن يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

### ( فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالقات )

وأقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكلُّ إقطاع ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهد وعقد ، وكلُّ جوارٍ وحلف . ولتعظيم ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهلية مَنْ يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعداً عن النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة ، في شأن بكرٍ وتغلب<sup>(٦)</sup> :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قُـدِّمَ فيه العهود والكفلاءُ

(١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروى أنه كتب على بابها بالخميرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفي ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عادياة اليهودي ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البنتان من معلقة الحارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا ببيئتها أسماء رب ثاور يمل منه الفواء

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الحون : الخيانة . ويروى : الجور » .

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْفُذُ قَضَ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ !  
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ وَالسُّكُتُ ، وَلَا يُقَالُ لِلْكِتَابِ مَهَارِقٌ حَتَّى  
تَكُونَ كِتَابَ دِينٍ ، أَوْ كِتَابَ عَهْدٍ ، وَمِيثَاقٍ ، وَأَمَانٍ .

### ( الرقوم والخطوط )

وَلَيْسَ بَيْنَ الرُّقُومِ وَالْخَطُوطِ فَرْقٌ ، وَلَوْلَا الرُّقُومُ لَهَلَكَ أَصْحَابُ الْبَرِّ  
وَالْغُزُولِ ، وَأَصْحَابُ السَّاجِ وَعَامَّةُ الْمَتَاجِرِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْوُسُومِ <sup>(١)</sup> الَّتِي تَكُونُ  
عَلَى الْخَافِرِ كُلِّهِ وَالْخَفِّ كُلِّهِ وَالظَّلْفِ كُلِّهِ ، وَبَيْنَ الرُّقُومِ فَرْقٌ ، وَلَا بَيْنَ  
الْعُقُودِ وَالرُّقُومِ فَرْقٌ ، وَلَا بَيْنَ الْخَطُوطِ وَالرُّقُومِ كُلُّهَا فَرْقٌ ، وَكُلُّهَا خَطُوطٌ ،  
وَكَلُّهَا كِتَابٌ ، أَوْ فِي مَعْنَى الْخَطِّ وَالْكِتَابِ ، وَلَا بَيْنَ الْحُرُوفِ الْمَجْمُوعَةِ  
وَالْمَصُورَةِ مِنَ الصَّوْتِ الْمَقْطَعِ فِي الْهَوَاءِ ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الْمَجْمُوعَةِ الْمَصُورَةِ مِنَ  
السَّوَادِ فِي الْقَرطَاسِ فَرْقٌ .

٣٦ وَاللِّسَانُ : يَصْنَعُ فِي جَوْبَةِ <sup>(٢)</sup> الْفَمِ [ وَهَوَائِهِ الَّذِي فِي جَوْفِ الْفَمِ ]  
وَفِي خَارِجِهِ ، وَفِي لَهَاتِهِ ، وَبَاطِنِ أَسْنَانِهِ ، مِثْلَ مَا يَصْنَعُ الْقَلَمُ فِي الْمَدَادِ وَاللِّقْمَةِ  
وَالْهَوَاءِ وَالْقَرطَاسِ ، وَكُلُّهَا صُورٌ وَعَلَامَاتٌ وَخَلْقٌ مُوَائِلٌ ، وَدَلَالَاتٌ ،  
فَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ فِي تِلْكَ الصُّورِ لِكثَرَةِ تَرْدَادِهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَيَعْرِفُ مِنْهَا مَا كَانَ مَصُورًا مِنْ تِلْكَ الْأَلْوَانِ لَطَوِيلِ تَكَرُّرِهَا عَلَى الْأَبْصَارِ ،  
كَمَا اسْتَدْلُّوا بِالضَّحْكِ عَلَى السُّرُورِ ، وَبِالْبَسَاءِ عَلَى الْأَلَمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ  
عَرَفُوا مَعَانِيَ الصَّوْتِ ، وَضُرُوبَ صُورِ الْإِشَارَاتِ ، وَصُورَ جَمِيعِ الْهَيْئَاتِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « الرُّسُومُ » بِالرَّاءِ وَإِنَّمَا هِيَ « الْوُسُومُ » جَمْعٌ وَهِيَ .

(٢) مَا عَدَا : « جَوْبِيَّةٌ » .

(٣) كَذَا فِي ل . وَوُرِدَتْ مَحْرُفَةً فِي ط بِرِسْمِ « الْأَسْمَاءِ » .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهديد<sup>(١)</sup> ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابة مع رفع الصوت ، حتَّى إذا رأى سائسه حمحم . وإذا رأى الحمامَ القيمَّ عليه انحطَّ للقطِّ الحبَّ ، قبل أن يُلقَى له مايلقطه . ولولا الرسومُ<sup>(٢)</sup> ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموالِ الخللُ الكثير ، وعلى خزائن الناس الضررُ الشديد .

### (الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرْق<sup>(٣)</sup> أو لها مُسَكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسط ، إلّا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والجباية ، والدِّبَانَة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحسابُ المحكم ، ولا يخرج الخطُّ من الجزم والمسند المنعم والسُمون<sup>(٤)</sup> كيف كان ، قال [ ذلك ] الهيمُ [ ابن عدى ] ، وأبنُ السكبي .

### (تخليد الأمم لماثرها)

[ قال ] : فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاء مآثرها ، وتخصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهديد » وفي ط : « وودع المجنون الوعيد والتهديد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع « ردع » لتتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .  
(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الرسوم » .  
(٣) للطرق بالكسر : معناه هنا القوة .  
(٤) بدله في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسي .

## (تخليد العرب لماثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعر يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعر الراغبِ ، والمادح ، وفضيلةَ المأثرة ، على السيّد المرغوبِ إليه ، والممدوحِ به . وذهبت العجمُ على أن تقيّد ماثرها بالبُنيانِ ، فبنوا مثلَ كرد بيداد<sup>(١)</sup> ، وبنى أردشير بيضاءِ إصطخر ، وبيضاء المدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنَّ العربَ أحبَّت أن تشاركَ العجمَ في البناءِ ، وتنفردَ بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبةَ نَجْران<sup>(٢)</sup> ، وقصرَ مارد ، وقصر مَارب ، وقصر شعوب<sup>(٣)</sup> والأبلى الفرد ؛ و [ فيه وفي <sup>(٤)</sup> ] مارد ، قالوا : « تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَى » وغيرَ ذلك من البُنيانِ . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيحُ شريفَ البُنيانِ ، كما لا تبيحُ شريفَ الأسماءِ ، إلّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقِباب الخضر ، والشُرَف ٣٧ على حيطان الدار ، وكالعقد على الدّهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاةً للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر بالين معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم ( مارد ) قال في مارد : « حصن بلومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتها ، فامتعا عليها : تمرّد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلاً لكل عزيز متنع .

حضر « كُتِبُ الحكماء وما دَوَّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق <sup>(١)</sup> » ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقيةٌ ومن لا بقية له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثرُ رداً ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحدثنة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل .

### (طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحجارة وحيطان المدر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم ، وأن يُميتوا ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب [ أكثر ] المدن وأكثر الحصون ، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام ؛ كما هدم عثمانُ ضومعةَ عُمدان ، وكما هدم الآطام <sup>(٢)</sup> التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادُ كلَّ قصر ومصنَّع كان لابن عامر <sup>(٣)</sup> ، وكما هدم أصحابنا بناء مدن الشامات <sup>(٤)</sup> لبني مروان .

---

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمة وبضمين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا ، وصولا لقومه ، رحبا بحبا للعمران . وتوفي سنة ٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فسرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحصن ، وقنسرين ومدينتها حلب .

## ( تاريخ الشعر العربي )

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نَهَجَ سبيلَه ،  
وسَّهَلَ الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلِّهْل بن ربيعة . وكتبُ  
أرسطاطاليس ، ومعلِّمُه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس<sup>(١)</sup> ، وفلان  
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعرِ بالدهور قبلَ الدهور<sup>(٢)</sup> ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .  
ويدلُّ على حداثة الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضَيَّعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا<sup>(٣)</sup>  
أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِعْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا<sup>(٤)</sup>  
لَا حِمِيرِيٌّ وَفِي وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتَعِيرَ بِحِكْمِهَا الثَّنَرُ<sup>(٥)</sup>  
لَسَكْنٌ عُوَيْرٌ وَفِي بَذْمَتِهِ لَا قِصْرَ عَابَةٍ وَلَا عَوْرُ<sup>(٦)</sup>

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارة ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبي عليه الصلاة  
والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام —  
خمسَين ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فثانيَ عام<sup>(٧)</sup> .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تسكَّم بلسان

(١) في ط : « ذى بقراط » ، وما أثبتته في ل . . وانظر القفطى ( حرف الدال المهملَة ثم  
حرف الذال المعجمة ) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت ( حسنا ) بالنون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح ما في الديوان ١٥٩ . والمراد به  
المعروف والجميل . والدخل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والهاء مثناة .

(٥) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجار هنداً بنت حجر أخت امرئ القيس ،  
فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزّهه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل  
تقطّع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [ لا ]  
كالكلام المنثور . والكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من  
المنثور [ الذى تحوّل من ] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى  
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاش وبوّب لهم أبواب الفطن ،  
وعرفهم وجوه المرافق ؛ حديثهم كقديهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم  
كقريبهم ، والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

### ( صعوبة ترجمة الشعر العربى )

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ  
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة  
العرب ، لبطلَ ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوّلوه لم يجدوا فى  
معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفطنهم  
وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى  
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها  
ونظرَ فيها . فقد صَحَّ أنَّ الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البُنيان والشعر .

### ( قِعة الترجمة )

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجُمانَ  
لا يؤدّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفیات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيه حقوقها ،  
ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجرى<sup>(١)</sup> ،  
وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ،  
إلا أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال تصارييف ألفاظها ، وتأويلات  
مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فتى كان رحمه الله تعالى  
أبن البطريق ، وأبن ناعمة ، وأبن قرّة ، وأبن فهرز ، وثيفيل<sup>(٢)</sup> ،  
وأبن وهيل ، وأبن المقفع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد<sup>(٣)</sup>  
مثل أفلاطون ؟ !

### ( شرائط الترجان )

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة ، فى وزن علمه  
فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،  
حتى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا  
أنه قد أدخل الضميم عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى  
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين  
فيه ، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة ، وإلّا لما له قوة واحدة ، فإن تكلم

(١) فى الأصل « المجرى » وإنما هو « الجرى » وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس .

(٢) ابن فهرز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهرز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .  
وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . . وقد قام بأول  
نقل فى الإسلام ، قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية  
خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم  
كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفى خالد سنة ٨٥ هـ .



بلغته واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوةُ عليهما ، وكذلك إن تكلمَ بأكثرَ من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلّما كان البابُ من العلم أعمَرَ وأضيقَ ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتةَ مترجماً يفنى بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

### ( ترجمة كتب الدين )

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله — عزَّ وجلَّ — بما يجوز عليه ممَّا لا يجوز عليه ، حتَّى يريد أن يتكلَّم على تصحيح المعاني في الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلَّم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لا يجوز ، وبما يجوز على الناس ممَّا لا يجوز ، وحتَّى يعلم مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلات التي تلقى الأخبار العامية المخرَج فيجعلها خاصية ؛ وحتَّى يعرف من الخبر ما يخصُّه الخبر الذي هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصُّه العقل ممَّا تخصُّه العادة أو الحال الرائدة له عن العموم ؛ وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرف اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المحال من الصحيح ، وأى شئ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأى القولين أفحشُ : المحال أم الكذب ، وفي أى موضع يكون المحالُ أفظع<sup>(١)</sup> ، والكذب أشنع ، وحتَّى يعرف المثل والبديع ، والوحي

(١) في الأصل « أفظع » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر ، والمقصود المبسوط والاختصار ، وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهمهم ، والذي ذكرناه قليل من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجم خطأً في تأويل كلام الدين . والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والسياسة ، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرفة لبعض المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لابد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن تكون مرتبة ، وكالحيط الممدود<sup>(١)</sup> . وابن البطريق وابن قرة<sup>(٢)</sup> لا يفهمان هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلم رقيق ، ومن حاذق طب ، فكيف بكتاب قد تداولته اللغات واختلاف الأقلام ، وأجناس ٤٠ خطوط الملل والأهم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ، ثم كان العربي مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل التقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية بدءاً من الاعتقار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ، وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالحيط المنثور » وقد كتبت بدله ما في ل .

(٢) في الأصل : « وأبو قرة » .

مَنْ يَزِيدُهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي يَجِدُهُ فِي النُّسخة ، ثُمَّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَعْارِضُ  
بِذَلِكَ مَنْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْخَطَا عَلَى حَالِهِ ، إِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ طَاقَتِهِ  
إِصْلَاحُ السَّقَطِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ فِي نُسْخَتِهِ .

### ( مَشَقَّةُ تَصْحِيحِ الْكُتُبِ )

وَلَرَّبَّمَا أَرَادَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ أَنْ يَصْلِحَ تَصْحِيفًا ، أَوْ كَلِمَةً سَاقِطَةً ،  
فَيَكُونُ إِنْشَاءً عَشْرَ وَرَقَاتٍ <sup>(١)</sup> مِنْ حَرِّ اللَّفْظِ وَشَرِيفِ الْمَعْنَى ؛ أَيْسَرَ عَلَيْهِ  
مِنْ إِتِّمَامِ ذَلِكَ النِّقْصِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ اتِّصَالِ الْكَلَامِ ؛  
فَكَيْفَ يُطَبِّقُ ذَلِكَ الْمَعَارِضَ الْمُسْتَأْجِرَ ، وَالْحَكِيمُ نَفْسُهُ قَدْ أَعْجَزَهُ هَذَا  
الْبَابُ ! وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَمْرَيْنِ : قَدْ أَصْلَحَ الْفَاسِدَ وَزَادَ الصَّالِحَ  
صَلَاحًا . ثُمَّ يَصِيرُ هَذَا الْكِتَابُ بَعْدَ ذَلِكَ نُسْخَةً لِإِنْسَانٍ آخَرَ ، فَيَسِيرُ فِيهِ  
الْوَرَقَاتُ الثَّانِي سِيرَةَ الْوَرَقَاتِ الْأَوَّلِ ؛ وَلَا يَزَالُ الْكِتَابُ تَتَدَاوَلُهُ الْأَيْدِي  
الْجَانِيَّةُ ، وَالْأَعْرَاضُ الْمَفْسِدَةُ <sup>(٢)</sup> ، حَتَّى يَصِيرَ غَلَطًا صَرَفًا ، وَكَذِبًا مُصَمَّتًا ،  
فَظَنُّكُمْ بِكِتَابٍ تَتَعَابَقُهُ الْمُتَرْجِحُونَ بِالْإِفْسَادِ ، وَتَتَعَاوَرُهُ الْخَطَاطُ بِشَرٍّ مِنْ  
ذَلِكَ أَوْ بِمِثْلِهِ ، كِتَابٍ مُتَقَادِمِ الْمِيلَادِ ، دُهِرَى الصَّنْعَةِ !

### ( بَيْنَ أَنْصَارِ الْكُتُبِ وَأَنْصَارِ الشُّعْرِ )

قَالُوا : فَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْكُتُبُ أَنْفَعَ لِأَهْلِهَا مِنَ الشُّعْرِ الْمَقْفِيِّ ؟  
قَالَ الْآخَرُ : إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتُمْ ، وَالشَّأْنُ عَلَى مَا تَزَلُّتُمْ ، أَلَيْسَ

(١) فِي ط : « أَنْشَأَ عَشْرَ وَرَقَاتٍ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط : « الْأَعْرَاضُ الْمَفْسِدَةُ » وَتَوْجِيهِهِ مِنْ ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُهُ وسُورُهُ وصُبابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّةِ الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداولِ النقص ، حرىٌ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتمُّضيلِ على البنيان<sup>(١)</sup> ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حوَّلَ تهافتَ ، ونفعه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدبِ المقصور ، وليسَ بالمبسوط ؛ ومن المنافعِ الاصطلاحيةِ وليست بحقيقةِ بيِّنة<sup>(٢)</sup> : وكلُّ شَيْءٍ في العالمِ من الصناعاتِ والأرفاقِ والآلاتِ ، فهي موجودات<sup>(٣)</sup> في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب أقليدس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسطي<sup>(٤)</sup> ، ممَّا تولاه الحجاج<sup>(٥)</sup> ، وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة ٤٦ مظلومة ومغيَّرة<sup>(٦)</sup> ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تسكيلاً لتسلُّطِ الطبائعِ الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى بنا القول<sup>(٧)</sup> .

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بيِّنة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المجسطي » بالشين ، وإنما هو « المجسطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيراً من حسابه وأقيسته لحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام ، وسموا بمجموع أرسادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومغمرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ،  
والهندسة ، ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ،  
والعطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في  
الحمامات وفي الأصرطلابات ، والقرسطونات <sup>(١)</sup> وآلات معرفة الساعات ،  
وصناعة الزجاج والفُسَيْفِساء <sup>(٢)</sup> ، والأسرنج <sup>(٣)</sup> والزنجفور <sup>(٤)</sup> واللازورد <sup>(٥)</sup>  
والأشربة ، والأنبجآت <sup>(٦)</sup> ، والأيارجات <sup>(٧)</sup> ولكم المينا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك ( هامش  
الكامل ١ : ٢٦٢ ) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ  
ووجدته في كتاب الترييع والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع السامى قال : « وخبرني  
عن القرسطون كيف أخرج أحد راسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن  
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة ( القبان ) وهي الميزان  
ومن وصفه في العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذي يسميه العامة عندنا  
في مصر ( القبانى ) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسفساء : ألوان من الخرز تتركب في حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار  
حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :  
صبغ معروف . . وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في  
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا  
من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمي ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجآت : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند ، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ،  
محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ . وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤ : فن  
هنا تسمى الانبجآت ، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اهـ  
وهي في ط « الأنبجآت » بالشاء وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « الافشارجات » وإنما هي « الأيارجات » قال في القاموس : والأيارجة  
بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إيّاره ، وتفسيره البواء  
الإلهي . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ س ٤ .

والشَّبه<sup>(١)</sup> وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَاسْتَج<sup>(٢)</sup> ، وتعليق الخيش ، واتِّخاذ الجمَّازات<sup>(٣)</sup> ، وعمل الحَرَاقَات<sup>(٤)</sup> ، واستخراج شراب الداذي<sup>(٥)</sup> وعمل الدِّبَابَات<sup>(٦)</sup> .

### ( ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل )

وكان الحَجَّاجُ أوَّلَ مَنْ أَجْرَى فِي الْبَحْرِ السَّفْنَ الْمَقْمِرَةَ الْمَسْعَرَةَ غَيْرَ الْخَزْرَةَ ، والمدهونة والمسطحة ، وغيرَ ذَوَاتِ الْجَوْجُو ؛ وكان أوَّلَ مَنْ عَمِلَ الْحَامِلَ ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ رُجَّازِ الْأَكْرِيَاءِ<sup>(٧)</sup> :

أَوَّلَ خَلَقِي عَمِلَ الْحَامِلَا أَخْزَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَأَجَلًا  
وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهِنَّ بِيضُ مَحَامِلُ لِقَدْهَا نَقِيضُ<sup>(٨)</sup>  
وقال آخر<sup>(٩)</sup> :

(١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .

(٢) في ط : « النستاستج » وهو تحريف ما في ل . قال في القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريباً .

(٤) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفساق .

(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابه ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه في البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان ( فرض ) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِي فَهِنْ بَيَّضُ مُحَامِلٌ فِيهَا رِجَالٌ قَبَّضُ

لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات <sup>(١)</sup> لم تعرفوا صنعة الشبه ،  
ولولا غضار الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أَنَّ الَّذِي  
عَمِلْتُمْ <sup>(٢)</sup> ظاهرٌ فيه التوليد ، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينِيَّ . وعلى أَنَّ  
الشَّبهَ لم تستخرجوه ، وإِنَّمَا ذلك من الأمور التي وقعت اتفاقاً ، لسقوط  
الناطف <sup>(٣)</sup> من يد الأجير في الصُّفْر الذائب ، فَخِفْتُمْ إفساده ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ  
ما أعطاه من اللون عَمِلْتُمْ <sup>(٤)</sup> في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ  
ما تهياً لكم ، ولستم تخرجون في ذلك من أحدٍ أمرين : إمَّا أَنْ تكونوا  
استعملتم الاشتقاق من علم ما أورثوكم ، وإمَّا أَنْ يكون ذلك تهياً لكم من  
طريق الاتفاق !!

### (الجمازات)

وقد علمتم أَنَّ أَوَّلَ شَأْنِ الْجَمَازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ أَمَرَتِ الرَّحَّالِينَ  
أَنْ يَزِيدُوا فِي سِيرِ النَجِيَّةِ <sup>(٥)</sup> الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، وَخَافَتْ فَوْتَ الرَّشِيدِ ، ٤٢  
فَلَمَّا حُرِّكَتْ مَشَتْ ضَرْوباً مِنَ الْمَشْيِ ، وَصَنُوفاً مِنَ السَّيْرِ <sup>(٦)</sup> ، فَجَمَزَتْ فِي

(١) في القاموس : الحملان في اصطلاح الصاغة : ما يحمل على الدراهم من الغش .

(٢) في ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشي ٣ : ٣٧٦ .

(٤) في ط : « علمتم » .

(٥) في ل : « البختية » .

(٦) في ل : « وضروباً من المرفوع » .

تحلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت  
لذلك الجمرَ راحةً ، ومع الراحة لذةً ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ،  
فما زالوا يقربون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى في كل ذلك تصوّبهم  
وتخطئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدوا من معرفة ذلك ما شدوا ، ثمّ إنّها  
فرغتهم لإتمام ذلك حتى تمّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمركم ، من أن  
يكون اتفاقاً ، أو اتّباع أثر .

### ( الترغيب في اصطناع الكتاب )

ثم رجع بنا القول إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج  
على مَنْ زَرَى<sup>(١)</sup> على واضع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة  
في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُحْتَمَلَ ثَقُلُ  
مئونتهم في تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما يُسَدَّى  
إليهم ؛ فلن يُصَانَ العلمُ بمثل بذله ، ولن تُسْتَبَقِ النعمة فيه بمثل نشره .  
على أنّ قراءة الكتبِ أبلغُ في إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التّلاقى  
يشتدُّ التصعُّع ، ويكثرُ التّظالم ، وتُفرطُ العصبية ، وتقوى الحميّة ؛ وعند  
المواجهة والمقابلة ، يشتدُّ حبُّ الغلبة ، وشهوةُ المباهاة والرياسة ، مع  
الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث  
الضغائن ، ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصّفة وعلى هذه

---

(١) أثبت ما في ل ، وهى في ط : « ذرى » مصحفة . . وزرى عليه كآزرى : عابه ،  
والأول أكثر .



الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية ، وإصابة الحجة ؛ لأن المتوحد بدرسها (١) ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عديم من له يُباهى ومن أجله يغالب .

### ( الكتاب قد يفضل صاحبه )

والكتاب قد يفضل صاحبه ، ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه بأمور : منها أن الكتاب يُقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان ، على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمتنازع (٢) في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان (٣) مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدركتنا ما لم نكن ندركه إلا بهم ، لقد حس (٤) حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرننا ، ومنتهى تجاربنا

(١) في ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمتنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلّت المعرفة ، وسقطت الهمة ،  
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عقيماً ، والخطر فاسداً ؛ ولسكلّ الحدّ  
وتبلّد العقل .

### (أفضل الكتب)

وأكثرُ من كتب نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسنُ موقعا ، كتبُ  
الله تعالى ، فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلّ حكمة ، وتعريفُ كلّ سيئةٍ  
وحسنة . وما زالت كتبُ الله تعالى في الألواح والصُّحف ، والمهارق<sup>(١)</sup>  
والمصاحف . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿الم ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .  
وقال ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ . ويقال لأهل التَّوراة والإنجيل :  
أهلُ الكتاب .

### (مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكونَ سبيلُنا لمنْ بعدنا ، كسبيلِ مَنْ كان قبلنا فينا . على  
أنَّا وقد وجدنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا ، كما أنَّ مَنْ بعدنا يجدُ من العبرة  
أكثرَ ممَّا وجدنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصرَ للحقِّ  
من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القولُ وصلح الدهرُ وخوى نجم التَّقِيَّة<sup>(٢)</sup> ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التقيّة » وفي ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى .  
وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقيّة : الخذر  
والخوف .

وَهَبَتْ رِيحُ الْعِلْمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعَيْثُ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ؟ !  
وَلَيْسَ يَجْدُ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ حِينٍ إِنْسَانًا يَدْرِبُهُ ، وَمَقْوَمًا يَثْقُقُهُ .  
وَالصَّبْرُ عَلَى إِفْهَامِ الرِّیْضِ شَدِيدٌ ، وَصَرْفُ النَّفْسِ عَنْ مَغَالِبَةِ الْعَالَمِ أَشَدُّ  
مِنْهُ ، وَالْمَتَعَلِّمُ يَجْدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ السَّكَنَاءَ عَتِيدًا ، وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَائِمًا  
وَمَا أَكْثَرَ مَنْ فَرَطَ فِي التَّعْلِيمِ أَيَّامَ حُمُولِ ذِكْرِهِ ، وَأَيَّامَ حَدَائِقِ سُنَّتِهِ ! !  
وَلَوْلَا جِيَادُ السَّكَنَاءِ وَحُسْنُهَا ، وَمُبَيَّنَاتُهَا وَمُخْتَصَرَاتُهَا ، لَمَّا تَحَرَّكَتْ هُمُ هَوْلَاءِ  
لَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَنَزَعَتْ إِلَى حُبِّ الْأَدَبِ ، وَأُنْفَتَتْ مِنْ حَالِ الْجَهْلِ ، وَأَنْ  
تَكُونَ فِي غِمَارِ الْحَشْوِ ، وَلَدْخَلَ عَلَى هَوْلَاءِ مِنَ الْخَلَلِ وَالْمُضَرَّةِ ، وَمِنْ الْجَهْلِ  
وَسُوءِ الْحَالِ ، مَا عَسَى أَلَّا يُمْكِنَ الْإِخْبَارُ عَنْ مَقْدَارِهِ ، إِلَّا بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ ،  
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا » .

### ( كِتَابُ أَبِي حَنِيفَةَ )

وَقَدْ تَجَدَّدَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ الْآثَارَ وَتَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَيَجَالِسُ الْفُقَهَاءَ خَسِينِ  
عَامًّا ، وَهُوَ لَا يُعَدُّ فَقِيهًا ، وَلَا يُجْعَلُ قَاضِيًا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِ  
أَبِي حَنِيفَةَ ، وَأَشْبَاهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَحْفَظَ كِتَابَ الشُّرُوطِ فِي مَقْدَارِ سَنَةٍ  
أَوْ سَنَتَيْنِ ، حَتَّى تَمُرَّ بَابُهُ فَتُظَنَّ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ الْعُمَمَالِ <sup>(١)</sup> ، وَبِالْحَرَاءِ <sup>(٢)</sup> ٤٤  
أَلَّا يَمُرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا الْبَسِيرُ ، حَتَّى يَصِيرَ حَاكِمًا عَلَى مَصْرِ مِنَ الْأَمْصَارِ ،  
أَوْ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادَانِ .

(١) فِي ل : « بَابُ بَعْضِ الْعَمَالِ » وَالْعِبَارَتَانِ سَلِيمَتَانِ .

(٢) وَسَمَتْ هَذِهِ السَّكَنَاءُ بِالْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ فِي الْمَطْبُوعَةِ وَهُوَ خَطَأٌ . . وَإِنَّمَا هِيَ « الْخَرَاءُ »

بِالْأَلْفِ . قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ « وَالْخَرَاءُ : الْخَلِيقُ . وَمِنْهُ بِالْخَرَاءِ أَنْ يَكُونَ ذَاكَ ، وَإِنَّهُ لَحَرَى

بِكَذَا وَحَرَى كَفَنَى وَحَر ، وَالْأَوَّلَى لَا تُنْفَى وَلَا تَجْمَعُ » .

## ( وجوب العناية بتنقيح المؤلفات )

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لا ابتداء الكتابِ فتنةً وعُجباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقفُ عند فصوله توقفَ من يكونُ وزنُ طمعه<sup>(١)</sup> في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قولِ الشاعر<sup>(٢)</sup> :

إِنَّ الحديثَ تَغَرُّ القومَ خلوتهُ    حَتَّى يَلِجَ بهم عِيٌّ وإكثارُ  
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجَرٍّ في الخلاءِ يُسرُّ<sup>(٣)</sup> » فيخاف أن يعتريه ما اعتري مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهل المنزلة من أهل صناعته .

## ( تداعى المعانى فى التأليف )

وليعلم أن صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

(١) فى الأصل : « طمعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ :

٢٠٣ وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ . وقد رواء الصوى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر » ولم يقولوا

مسرور . وكل صواب . « والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣

وانظر أصل المثل فيه .

فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْزِمُ عَلَى خَمْسَةِ أَسْوَاطٍ فَيَضْرِبُ مِائَةً ؟ ! لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ الضَّرْبَ وَهُوَ سَاكِنٌ الطَّبَاعَ ، فَأَرَاهُ السَّكُونَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي الْإِقْلَالِ ، فَلَمَّا ضَرَبَ تَحَرَّكَ دُمُهُ ، فَأَشَاعَ فِيهِ الْحَرَارَةَ فَزَادَ فِي غَضَبِهِ ، فَأَرَاهُ الْغَضَبُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْإِكْثَارِ . وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْقَلَمِ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَبْتَدِئُ الْكِتَابَ وَهُوَ يُرِيدُ مَقْدَارَ سَطْرَيْنِ ، فَيَكْتُبُ عَشْرَةَ ! وَالْحَفْظُ مَعَ الْإِقْلَالِ أَمْكَنُ ، وَهُوَ مَعَ الْإِكْثَارِ أَبْعَدُ .

### (مقايسة بين الولد والكتاب)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمُنْتَبِعِ ، فَكَثِيرًا مَا يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَنَّ يُحْسِنَ فِي عَيْنِهِ مِنَ الْمَقْبَحِ فِي عَيْنِ غَيْرِهِ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَفْظَهُ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ ابْنِهِ ، وَحَرَكَتُهُ أَمْسُّ بِهِ رَحْمًا مِنْ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّ حَرَكَتَهُ شَيْءٌ أَحْدَثُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَبِذَاتِهِ ، وَمِنْ عَيْنِ جَوْهَرِهِ فَصَلَّتْ (١) ، وَمِنْ نَفْسِهِ كَانَتْ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَدُ كَالْمَخْطَةِ يَتِمَّخَطُهَا ، وَالنُّخَامَةُ يَقْدِفُهَا ، وَلَا سِوَاهُ إِخْرَاجُكَ مِنْ جِزْئِكَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ ، وَإِظْهَارُكَ حَرَكَتًا لَمْ تَكُنْ حَتَّى كَانَتْ مِنْكَ . وَلِذَلِكَ تَجِدُ فِتْنَةَ الرَّجُلِ بِشِعْرِهِ ، وَفِتْنَتَهُ بِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ ، فَوْقَ فِتْنَتِهِ بِجَمِيعِ نِعَمَتِهِ .

### ( ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب )

وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى إِفْهَامِ مَعَانِيهِ ، حَتَّى لَا يَحْتَاجَ

---

(١) في ط : « وبذاته من عين جوهرة فصلت » . وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ  
 ٤٥ ألفاظ السُّفْلَةِ والحَشْوِ<sup>(١)</sup> ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيّ الكلام ،  
 وليس له أَنْ يَهْدِبَهُ جَدًّا ، وَيَنْقَحَهُ وَيَصْنِفِيهِ وَيُرَوِّقَهُ ، حتى لا ينطقَ  
 إِلَّا بِلَبِّ اللَّبِّ ، وباللفظ الذي قد حذف فُضُولُهُ ، وأسقطَ زوائده<sup>(٢)</sup> ،  
 حتّى عاد خالصاً لا شوب فيه ؛ فَإِنَّهُ إِنْ فعل ذلك ، لَمْ يُفْهِمَ عنه إِلَّا بَأْنَ  
 يحدّد لهم إفهاماً مِرَاراً وتَسْكَرَاراً ، لأنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قد تعودُوا المبسوطَ من  
 الكلام ، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إِلَّا بَأْنَ يعكس عليها  
 ويؤخذ بها . ألا تَرَى أَنَّ كتاب المنطق الذي قد وُسم بهذا الاسم ،  
 لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أكثره ،  
 وفي كتاب أَقْلِيدِسَ كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صُنِّي ، ولو سَمِعَهُ بعضُ  
 الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنَّه يحتاج إلى  
 أن يكون قد عرَفَ جهةَ الأمر ، وتعودَ اللفظ المنطقي<sup>(٣)</sup> الذي استُخرج  
 من جميع الكلام .

### ( قول صحار العبدي في الإيجاز ، ونقده )

قال معاويةُ بن أبي سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَّارِ العبدي<sup>(٤)</sup> :

(١) في ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) في ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) في ط : « وتعود للفظ المنطقي » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدي من بني عبد القيس .

خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نساباً ، توفي

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز ؟ قال : أن تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . تمال معاوية :  
أو كذلك تقول !! قال صحرار : أقلني يا أمير المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .  
فلو أن سائلاً سألَكَ عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ ،  
وبحضرتك خالد بن صفوان<sup>(١)</sup> ، لما عرَفَ بالبديهة وعند أول وهلة ،  
أن قولك « لا تخطئ » متضمنٌ بالقول ، وقولك « لا تبطئ » متضمنٌ  
بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُّوه ، ولو أن قائلًا قال لبعضنا :  
ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنه يقول : الاختصار .

### ( حقيقة الإيجاز )

والإيجاز ليس يُعنى به قلةُ عددِ الحروفِ واللفظِ ، وقد يكونُ البابُ من  
الكلامِ مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار<sup>(٢)</sup> فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ،  
وإنما ينبغى له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردد وهو  
يكتفى في الإفهام بشطره<sup>(٣)</sup> ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل .

### ( استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش )

وقلتُ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلمُ الناس بالنحو ، فلم لا تجعلُ

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التيمي المنقري ، كان يجالس  
عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ،  
ولم يتزوج ، توفي نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) في ط : « ولا ترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من ل .

كتبك مفهومة كلها ، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك  
تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجل لم أضع كتبى  
هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع <sup>(١)</sup> الذى  
تدعونى إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايتى المنة ،  
فأنا أضع بعضها هذا الوضع <sup>(١)</sup> المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى  
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت فى هذا التدبير ، إذ كنت إلى  
النكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،  
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذوها مثلى فى موافقتها <sup>(٢)</sup> ، وحسن  
نظره ، وشدة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

وأقول : لو أن يوسف السمتى ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلمان  
أبن ربيعة <sup>(٣)</sup> شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة  
والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خطأ ولغوًا ؛ ولو كتب فى دهره  
شروط سلمان ، لكان ذلك غرارة ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلح  
فى كل دهر .

### (مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا فى صلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

(١) بدها فى ط : « الموضع » والوجه ما أثبت من ل .  
(٢) فى ط : « موافقتها » والوجه ما فى ل . والموافقة : الخصومة والجدال .  
(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على  
الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .



الشعر بين السَّماطين في مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك  
بخطئ ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجَز .

ولولا أني أتَّسكل على أنك لا تملُّ بابَ القولِ في البعير حتَّى تخرجَ إلى  
القبيل ، وفي الدَّرة<sup>(١)</sup> حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتَّى تخرجَ  
إلى الحية ، وفي الرجلِ حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبان والنحل<sup>(٢)</sup> حتَّى  
تخرجَ إلى الغرَّبان والعقَّبان ، وفي السَّكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفي  
الغُثبِ حتَّى تخرجَ إلى السَّبع ، وفي الظِّلِّفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفي الحافرِ  
حتَّى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخُفِّ حتَّى تخرجَ إلى البرُّثنِ ، وفي البرُّثنِ حتَّى  
تخرجَ إلى المخلَبِ ، وكذلك القول في الطيرِ وعامةِ الأصناف ، لرأيتُ أن  
جملة الكتاب<sup>(٣)</sup> ، وإن كثر عددُ ورقه ، أن ذلك ليس مما يُميلُّ ، ويُعتدُّ  
عليَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبُ كثيرة ، وكلُّ  
مُصحفٍ منها فهو أمٌّ على حدة ، فإن أرادَ قراءةَ الجميع لم يطُلْ عليه الباب  
الأوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو  
أبدأً مستفيدٌ ومستطرف ، وبعضه يكون جأماً لبعض ، ولا يزالُ نشاطه  
زائداً . ومتى خرجَ من آي القرآن صارَ إلى الأثر ، ومتى خرجَ من أثر  
صارَ إلى خبر ، ثم يخرجَ من الخبر إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن  
النوادر إلى حكمٍ عقليةٍ ، ومقاييسٍ سداد<sup>(٤)</sup> ، ثم لا يترك هذا الباب ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الدرة » بالذال وإنما هي « الذرة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من  
النمل صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيتُ أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقل ، والملا لُ إليه أسرع ، حتَّى يفضيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ،  
وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفاً ، إذ كنتُ إنما استعملتُ  
سيرة الحكماء ، وآداب العلماء .

### ( مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم )

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ ، أخرجَ  
السلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحيِ والحذفِ ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ  
أو حكى عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في الكلام . فأصوبُ العملُ اتِّباعُ  
آثار العلماء ، والاحتذاء على مثالِ القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة . ٤٧

### ( أقوال لبعض الشعراء في الكتب )

قال ابن يسير<sup>(١)</sup> في صفة الكتب ، في كلمة له :  
أقبلتُ أهرُبُ لا آلو مُباعدةً في الأرض منهم فلم يُحصِنِي الهربُ  
بقصر أوسٍ فما والت خنادقُهُ ولا النواويسُ فالماخورُ فالخرب<sup>(٢)</sup>  
فأيمًا موئلٍ منها اعتصمتُ به فمن ورائي حثيثاً منهمُ الطلبُ  
لَمَّا رأيتُ بأني لستُ معجزهمُ فوتاً ولا هرباً ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهي بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها  
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد  
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيت مسروراً بهم جدلاً  
فرداً يحدّثني الموتى وتنطقُ لي  
هم مؤنسون وألأف غنيتُ بهم  
لله من جلساء لا جليسهم  
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم  
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها  
فأئما آدب منهم مددتُ يدي  
إن شئتُ من مُحكم الآثار يرفعها  
أو شئتُ من عربٍ علماً بأولهم  
أو شئتُ من سيرِ الأملاك من عجم  
حتى كأنّي قد شاهدتُ عصرهم  
يا قاتلاً قصرتُ في العلم نهيتُهُ (٦)  
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم  
جَار البراءة لا شكوى ولا شغب (١)  
عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ  
فليس لي في أنيسٍ غيرهم أربُ  
ولا عشيرهم للشوء مرتقبُ  
ولا يُلاقيه منهم منطِقُ ذربُ (٢)  
أخرى آلائي على الأيام وانشعبوا (٣)  
إليه فهو قريبٌ من يدي كُتِبُ (٤)  
إلى النبي ثقاتٌ خيرةٌ نُجِبُ  
في الجاهليّة أنبتني به العرب (٥)  
تُذبي وتُخبرُ كيف الرأى والأدبُ  
وقد مضتْ دونهم من دهرهم حَقَبُ  
أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسبُ  
خلاف قولك قد بانوا وقد ذهبوا (٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما في الأبيات الأولى . وأما « جَار البراءة » فهي ماصح لي من مقارنة ما في الأصول فهي في ط : « جَار البوأة » وفي س « جَار البوأة » وفي ل « حاز البراءة » .

(٢) منطِق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشعب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف ما في ل . وكتب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهي : العقل . وقد تستعمل النهي جمعاً للنهية .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا  
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

ما مات منا امرؤ أبقي لنا أدباً نكونُ منه إذا ما مات نكتسبُ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو وجزة<sup>(٢)</sup> وهو يصف صحيفةً كُتبَ له فيها بستينَ وسقاً :

راحتُ بستينَ وسقاً في حقيبتها ما حُمِلَتْ حِمْلَهَا الأدنى ولا السُّدَا  
ما إن رأيتُ قلوصلاً قبلها حَمَلَتْ ستينَ وسقاً وما جابت به بلدًا<sup>(٣)</sup>

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ الدَّوَاءَ وَالْقَلَمَ تَبَقَى وَيُفْنِي حَدَثُ الدَّهْرِ الْغَنَمَ<sup>(٤)</sup>

يقول : كتابك الذي تكتبه علىَّ يبقى فتأخذني به ، وتذهب غنمي  
فيما يذهب .

### ( نشر الأخبار في العراق )

ومما يدلُّ على نفع الكتاب ، أنه لولا الكتابُ لم يُجزَّ أن يعلمَ أهل  
الرَّقَّةِ والموصلِ وبغدادَ ووَاسطَ ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفةِ

(١) في ط : « ما مات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني  
سعد بن بكر بن هوازن ، أظنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان شاعرا مجيدا ،  
وهو أول من شبَّ بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي  
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧  
ليسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت  
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقاً ، لأن الناقة حملت ستين وسقاً » . وحديث  
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستين  
وسقاً من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط : « تعلَّمْ أَنْ » وصوابه في ل .

في بياض يوم ، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة ، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

[ وذلك مشهور في الحمام الهدى ، إذا جعلت برءدا<sup>(١)</sup> ، قال الله جل وعز  
- وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤت أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَا ذَبْحَتَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلم يلبث أن قال الهُدْهُدُ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها ، من عِفْرِيت ، ومن بعض من عنده علم من الكتاب ، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ ، وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سبأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

### ( استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا )

وقد يريد بعض الجُلَّةِ الكبار ، وبعض الأدباء والحكماء ، أن يدعو بعض من يجرى مجراه في سلطان أو أدب ، إلى مآذبة أو نِدام<sup>(٢)</sup> ، أو خروج إلى منزله ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، جمع للتدب . ولكنه ليس مرادا هنا .

إرادته ومعناه ، لأصاب مَنْ يُحَسِّنُ الأداء ، ويصدق في الإبلاغ ، فيرى  
أنَّ الكتاب في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ .

ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا يكتب الكتاب إلى كسرى ،  
وقيصر ، والنجاشي ، والمقوقس ، وإلى ابني الجَلَنْدِي<sup>(١)</sup> ، وإلى العباهلة من  
حمير ، وإلى هودّة بن علي ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ،  
ولو جد المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ،  
علم أنَّ الكتاب أشبه بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم  
ما حواه الكتاب .

ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها  
الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزّ ، علم أن ذلك أتمّ ، وأكمل ،  
وأجمع ، وأنبّل .

وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة ، إلى بعض من  
يشاكله ، أو يجري مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه ،  
وربما لم يرض بذلك حتى يُعْتَوِنَه ويعظمه . قال الله جلّ وعزّ ﴿ أَمْ لَمْ  
يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ وَفَّى ﴾ فذكر صحف موسى  
الموجودة ، وصحف إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدار النفع ،  
والمصلحة في الكتب .

### ( نظام التورث عند فلاسفة اليونانية )

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العين ، وتورث البنين  
الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجَلَنْدِي : اسم ملك كان . وفي الأصل « بني الجَلَنْدِي » والصواب ما أنبته عن  
الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وأبنا الجَلَنْدِي هما جيفر - بوزن جعفر -  
وعباد ( أوعباد ) .

لا تورثوا الابن من المال ، إلا ما يكون عوناً له على طلب المال ، واغذوه بحلاوة العلم ، واطبعوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال ، وليرى أنه العُدَّة والعتاد ، وأنه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة ، ويكون له عوناً على درك الفضول ، إن كان لأبد من الفضول ؛ فإنه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساد ، وإن كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم وبقيم له من الكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأن المال لم يزل قابلاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول بعرض فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحنكة ، واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع غرارة<sup>(١)</sup> الخدانة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة ، وعجل لك حلاوة المحبة ، وبقي لك الأحدثنة الحسنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة ، المشتعلة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ، ومعرف الصناعات ، وفوائد الإرفاق ، وحجج الدين الذي بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتثلج الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والعز راسخاً ، والأصل فسيحاً<sup>(٢)</sup> .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحنه ، وتداويه وتصلحه ، وتهذبه ، وتنفي الخبث عنه ، وتقيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجة ، وتموّدك الأخذ بالثقة ، وتجلب الحال ، وتكسب المال .

(١) الفرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفي الأصل الفرارة وهو تحريف .

(٢) كذا .

## ( وراثۃ الكتب )

ووراثۃ الكتب الشریفة ، والأبواب الرفیعة ، منبہة للمورث ، وکنز عند الوارث ، إلا أنه کنز لا تجب فیہ الزکاة ، ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت السکنوز جامدة ، ینقصها ما أخذ منها ، کان ذلك الكنز مائعا یرزده ما أخذ منه ، ولا یزال بها المورث مذكوراً فی الحکماء ومنوَّها باسمه فی الأسماء ، وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوباً ، فلا یزال الوارث محفوظاً ، ومن أجله محبوباً ممنوعاً ، ولا تزال تلك المحبَّة نامیةً ، ما كانت تلك الفوائد قائمةً ؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظیمها فی القلوب أثر ، ما کان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من <sup>(١)</sup> ورثته کتاباً ، وأودعته علماً ، فقد ورثته ما یُغَل ولا یَسْتَغَل ، وقد ورثته الضیعة التي لا تحتاج إلى إثارة <sup>(٢)</sup> ، ولا إلى سقى ، ولا إلى إسجال بلیغار <sup>(٣)</sup> ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أکار <sup>(٤)</sup> ، ولا إلى أن تُثار <sup>(٥)</sup> ، وليس علیها عشر ، ولا للسلطان علیها خراج . وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم ، وسواء دفَعك إلیه الکفایة ، أو ما یجلب الکفایة . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان ، فمن لم یقدر إلا على دفع السبب ، لم یجب علیه إحضار المسبَّب . فکتُب الآباء ، تحیب للأحیاء ، ومحی لذكر الموتی .

(١) فی الأصل : « متی » والوجه ما أثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غیر خراج .

(٤) الأکار هنا بمعنى الخبیر من المخابرة ( والمخابرة أن یزرع للرجل أرض غیره ، على أن یکون له النصف ونحوه مما تغل الأرض ) .

(٥) قد سبق قوله « لا تحتاج إلى إثارة » فهو تکرار ، أو فی الكلام تحریف .



وقالوا : ومتى كان الأديب <sup>(١)</sup> جامعاً بارعا ، وكانت موارثته كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلم خطأ ، وأجدر أن يسرع التعليم إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نجله ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب <sup>(٢)</sup> ، للنظر في السكتب ، فلا يأتى عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع السكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنما تُفسد الكفاية من [ له ] <sup>(٣)</sup> تمت آلاته <sup>(٤)</sup> ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدث للغير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثته الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ ورث كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرق ، ويصّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذي ليس للسلطان فيه حق ، والركاز <sup>(٥)</sup> الذي ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمة التي ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصَّوص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك حجة ، ولا على الجار فيه مئونة .

### ( قول ديمقراط في تأليف كتب العلم )

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكلِّ كتاب علمٍ وضعه أحدٌ من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها المهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنّف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) في الأصل : « الأديب » .

(٢) في الأصل : « السكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإنما هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تسكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .  
فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى ( أفوريسمو ) ، تفسيره كتاب الفصول .

### ( مقالة في شأن الكلب )

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأثم كلها على استسقاطه ، واستسفالته ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حالة التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن<sup>(١)</sup> تمنعها وتشرّفها ، وتوحّشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلق المركّب والطبائع المفلّقة ، والأخلاق المختلطة ، كالبعول المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة<sup>(٢)</sup> ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه .  
وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشَحْوُ<sup>(١)</sup> حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة  
إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح الخالب . وفي الراعي أنه مُسرَّوَل  
مثقل ، وحدث له عِظْمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش  
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة  
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيما ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيد  
في قوتهما ، وأتمَّ لشدهما ؛ ففع البغل من الشَّبَق والنَّعْظ ما ليس مع أبيه ،  
ومع البغلة من السَّوْس<sup>(٢)</sup> ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمها . وذلك كله قدح  
في القوَّة ، ونقص في البنية<sup>(٣)</sup> . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه  
وأخواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج  
أطول عمراً من أبيه ، وأصبرَ على الانتقال من أبيه .

أو كابن المذكَّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أنخبث  
نتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السَّمْع ، وأكثر عيوباً من العِسابر ،  
ومن كلِّ خلقٍ خلق إذا تركب من ضِدِّ ، ومن كل شجرة مُطْعَمَةٌ بخلاف .  
وليس يعترى مثل ذلك الخِلاسى من الدجاج ، ولا الورداني<sup>(٤)</sup>  
من الحمام .

(١) الشحو : الاتساع . وفي الأصل « وشجى » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلمت ، كما في كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « السَّوْس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في البنية » .

(٤) الديرى : طائر متوله بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعف دخل على الحلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب .  
 وزعم الأصمعي ، أنه لم يسبق الحلبة فرسٌ أهضم قط .  
 وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء<sup>(١)</sup> .  
 والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية<sup>(٢)</sup> ، إنما هي للمصمتة من الخضر<sup>(٣)</sup> .

### (الشيآت في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أَنَّ الشَّيَآتِ كُلَّهَا ضعف ونقص - والشَّيَّةُ : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلَّ وعزَّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

### (ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم<sup>(٤)</sup> أَنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظام الدواهي ، وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يطمع في علاجه طيب ، وأنه رأى في دور ثقيف ، فتى اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يومٌ ، إلَّا وهم يتحدثون عنه بشيءٍ ، يصغر في جنبه أكبرُ ذنبٍ كان يُنسب إليه !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصمتة : التي لا يتخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني ( ٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧ ) .

وَزَعَمْتَ أَنَّ السَّكْبَ فِي ذَلِكَ كَالْحَنَى ، الَّذِي هُوَ لَا ذَكَرَ وَلَا أُنْثَى ،  
أَوْ كَالْخَصَى الَّذِي لَمَّا قُطِعَ مِنْهُ مَا صَارَ بِهِ الذَّكَرُ فَحَلَا ، خَرَجَ مِنْ حَدِّ كَمَالِ  
الذَّكَرِ بِفَقْدَانِ الذَّكَرِ ، وَلَمْ يَكْمَلْ لِأَن يَصِيرَ أُنْثَى ، لِلغَرِيزَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،  
وَبَقِيَّةِ الْجَوْهَرِيَّةِ .

وَزَعَمْتَ أَنَّهُ بِصِيرِ كَالنَّبِيدِ الَّذِي يَفْسُدُهُ إِفْرَاطُ الْحَرِّ ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّ  
الْخَلِّ ، وَلَا يَدْخُلُهُ فِي حَدِّ النَّبِيدِ .

وَقَالَ مَرْدَاسُ بْنُ خُذَامٍ <sup>(١)</sup> :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوِيَّةِ <sup>(٢)</sup> شَرِبَةً      قَالَتْ بُلْبُ السَّكَاهِلِيِّ عِقَالِ  
فَقُلْتُ اصْطَبَحِهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا      هِيَ الْخَمْرُ خَيَّلْنَا لَهَا بِخَيَالِ  
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ      فَلَمْ يَنْتَعَشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ  
فَجَعَلَ الْخَمْرُ أُمَّ الْخَلِّ قَدْ يَتَوَلَدُ عَنْهَا .      وَقَدْ يَتَوَلَدُ عَنِ الْخَلِّ - إِذْ كَانَ خَمْرًا  
مَرَّةً - الْخَمْرُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ <sup>(٣)</sup> :

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهِكَ تُشْتَهَى      رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْعَارِضِ !  
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَذِّكَ لِحْيَةً      ذَهَبَتْ بِمَلْحِكَ مِثْلَ كَفِّ الْقَابِضِ  
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا      بَعْدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ خَمْرُ حَامِضِ  
وَيَصِيرُ أَيْضًا كَالشَّعْرِ الْوَسْطِ ، وَالْغَنَاءِ الْوَسْطِ ، وَالنَّادِرَةِ الْفَاقِرَةِ ، الَّتِي لَمْ

(١) فِي الْأَغَانِي ( ١٠ : ٨٧ ) جُذَامُ . فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٠٧ : « جُزَام » وَانْظُرْ قِصَّةَ الشَّعْرِ  
فِي الْمَخَصَصِ ١٣ : ١٨٩ وَالْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ١٠٩ وَمَعْجَمِ الْمَرْزَبَانِي ٣٧٠ .

(٢) الثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِالسَّكُوفَةِ أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا . وَانْظُرْ نِسْبَةَ الْبَيْتِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٣) سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ ، هُوَ أَبُو عُثْمَانَ مَوْلَى بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَى ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ ، أَكْثَرَ شَعْرِهِ

فِي الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْمَذْكَرِ ، وَكَانَ مِنْ كِتَابِ الْبَرَامِكَةِ ، مُتَقَدِّمًا عَنْهُمْ ، قَالُوا :

وَكَانَ ذَا فَجُورٍ وَبُجُونٍ ، ثُمَّ تَابَ وَأَقْلَعَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ . انْظُرْ الْأَغَانِي

٢١ : ٦٩ - ٧٢ وَفَهْرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ١٧٨ ، ٢٣٦ مِصْرَ .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السنُّ ، ولم تخرج من البرد إلى الحرِّ  
فتضحك السنُّ <sup>(١)</sup> ] .

## باب

ذكر ما يعتري الإنسان بعد الخلاء

وكيف ما كان قبل الخلاء

قالوا : كلُّ ذى ریح مُتَنِّةٌ ، وكلُّ ذى دَفِرٍ وصُنَانٍ كَرِيهٍ المَشْمَةِ <sup>(٢)</sup> ،  
كالذَّسَرِ وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِي نَقَصَ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ  
الإنسان ، فَإِنَّ الْخُصْيَ يَكُونُ أَتْنًا ، وصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيْضًا خَبَثُ الْعَرَقِ  
سَائِرَ جَسَدِهِ ، حَتَّى لَتَوْجَدَ لِأَجْسَادِهِمْ رَائِحَةً لَا تَسْكُونُ لِغَيْرِهِمْ . فِهَذَا هَذَا .  
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَدِيقُ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ  
اسْتَرْخَى لَحْمُهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخَصًا رَطْبًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَصِلاً <sup>(٣)</sup>  
صُلْبًا ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرُضَ ، فَخَالَفَ أَيْضًا جَمِيعَ  
الْحَيَوَانِ مِنْ هَذَا الْبَرَجِ .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج في أصابع اليد ،  
والتواء في أصابع الرَّجُلِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ طَعْنِهِمْ فِي السِّنِّ . وَتَعْرِضُ لَهُمْ  
سُرْعَةُ التَّغْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ ، وَانْقِلَابُ مِنْ حَدِّ الرُّطُوبَةِ <sup>(٤)</sup> وَالبَضَاضَةِ وَمَلَأَسَةِ  
الجلد ، وَصَفَاءُ اللَّوْنِ وَرَقَّتِهِ ، وَكَثْرَةُ الْمَاءِ وَبَرِيقِهِ ، إِلَى التَّسْكُرْشِ وَالسَّكْمُودِ ،

(١) هذه نهاية السقط الذي ابتداء من ص ٩٧ .

(٢) في ط : « وقيل ذى دفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) في ل : « غصلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد<sup>(١)</sup> ، وإلى الهزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض  
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجة النبات من الأكرة<sup>(٢)</sup> من أهل الزرع  
والنخل ، لأنَّكَ ترى الخصىَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع في لونه<sup>(٣)</sup> ، وكأنَّه مِرْآةٌ  
صينيةٌ ، وكأنَّه وذيلةٌ مجلَّوةٌ ، وكأنَّه بُحَّارَةٌ رَطْبَةٌ ، وكأنَّه قضيبُ فضَّةٍ قد  
مَسَّهُ ذهبٌ ، وكأنَّه في وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْثَاتٍ<sup>(٤)</sup>  
يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصبٍ ، وفي عيش  
رَغْدٍ ، وفي فراغٍ بالٍ ، وقَلَّةٍ نَصَبٍ .

### (من طرائف عبد الأعلى القاصِّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصِّ ، قوله في الخصى ،  
وكان لغلبة السلامة عليه يُتَوَهَّمُ عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقيرَ مرة  
في قصصه فقال : الفقير مرقته سُلْفَةٌ ، ورداؤه عِلْمَةٌ ، وجَرْدَقَتُهُ فِلْقَةٌ ،  
وسمكته شَلْقَةٌ<sup>(٥)</sup> ، [ وإزاره خرقة ] .

قالوا : ثُمَّ ذَكَرَ الْخَصْيَّ فَقَالَ : إِذَا قُطِعَتْ خُصْيَتُهُ ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ  
وَسَخُنَتْ مَعِدَتُهُ ، وَلَانَتْ جِلْدَتُهُ ، وَانْجَرَدَتْ شَعْرَتُهُ ، وَاتَّسَعَتْ فَمَحْجَتُهُ ، ٤٩  
وَكَثُرَتْ دَمْعَتُهُ ! !

(١) في الأصل : « التحدُّد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبُّض .

(٢) في ط : « ويعرض أيضاً لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) في مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع في وجهه » .

(٤) النساءُ بالضم والنسيئةُ بمعنى النظرة - بكسر الظاء - وتصغر النساءُ وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسمى العامة اليوم « تصيرة » . . وأما

(العلقة) فهو قميص بلا كين ، أو ثوب يحجب ولا يخط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى

الحجزة . . وأما (الفلقة) فيمعنى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده .

وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب

من صفار السمك .

وَقَالُوا ، الْخَصِيُّ لَا يَصْلَعُ كَمَا لَا تَصْلَعُ الْمَرْأَةُ ، وَإِذَا قُطِعَ الْعَضْوُ الَّذِي  
كَانَ بِهِ فَحَلًّا تَامًا ، أَخْرَجَهُ ذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ مَعَانِي الْفَحُولِ وَصِفَاتِهِمْ ،  
وَإِذَا أَخْرَجَهُ مِنْ ذَلِكَ السَّكَمَالِ ، صَيَّرَهُ كَالْبَغْلِ الَّذِي لَيْسَ هُوَ حِمَارًا وَلَا فَرَسًا ،  
وَتَصِيرُ طِبَاعُهُ مَقْسُومَةً عَلَى طِبَاعِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، وَرَبَّمَا لَمْ يَخْلُصْ لَهُ الْخَلْقُ  
وَلَمْ يَصْفُ ، حَتَّى يَصِيرَ كَالْخَلْقِ مِنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ ، أَوْ يَلْحَقَ بِمِثْلِهِ مِنْ  
أَخْلَاقِ النِّسَاءِ ، وَلَسَكِنَّهُ يَقَعُ مِمَزُوجًا مَرْكَبًا ، فَيَخْرُجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَذْبَذِبًا ،  
لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ . وَرَبَّمَا خَرَجْتَ النَتِيجَةُ وَمَا يُولِّدُهُ التَّرَكِيبُ ،  
عَنْ مَقْدَارِ مَعَانِي الْأَبْوِينَ ، كَمَا يَجُوزُ عَمْرُ الْبَغْلِ عَمْرَ أَبْوِيهِ ، وَكَذَلِكَ مَا عَدَدْنَا  
فِي صِلْرِ هَذَا السَّكَلَامِ (١) .

### ( طَلَبُ الذَّسَلِ )

وَقَالُوا (٢) : وَلِلْإِنْسَانِ قُوَى مَعْرُوفَةٌ الْمِقْدَارِ ، وَشَهَوَاتٌ مَصْرُوفَةٌ فِي  
وَجْهِ حَاجَاتِ النُّفُوسِ ، مَقْسُومَةٌ عَلَيْهَا ، لَا يَجُوزُ تَعْطِيلُهَا وَتَرْكُ اسْتِعْمَالِهَا ،  
مَا كَانَتْ النُّفُوسُ قَائِمَةً بِطِبَائِعِهَا وَمِزَاجَاتِهَا وَحَاجَاتِهَا . وَبَابُ الْمُنْكَحِ مِنْ  
أَكْبَرِهَا ، وَأَقْوَاهَا ، وَأَعْمَاهَا .

وَيَدْخُلُ فِي بَابِ الْمُنْكَحِ مَا فِي طِبَائِعِهِمْ مِنْ طَلَبِ الْوَلَدِ ، وَهُوَ بَابٌ مِنْ  
أَبْوَابِهِمْ عَظِيمٌ ؛ فَفَنَّهُمْ مِنْ يَطْلُبُهُ لِكَثْرَةِ وَالنُّصْرَةِ ، وَلِلْحَاجَةِ إِلَى الْعَدَدِ  
وَالْقُوَّةِ ، وَلِذَلِكَ اسْتَلْطَطَ الْعَرَبُ الرِّجَالَ ، وَأَغْضَتْ (٣) عَلَى نَسَبِ الْمَوْلُودِ

(١) فِي ط : « الْكِتَابِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي ط : « قَالَ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٣) أَغْضَى عَلَى الشَّيْءِ : سَكَتَ . وَفِي ط : « وَأَغْضَبْتُ » وَالْوَجْهُ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ ل .



على فراش [ أبيه ] <sup>(١)</sup> ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول. قال الأشهب  
ابن رُميلة <sup>(٢)</sup> :

قال الأقاربُ لا تغرُّكَ كثرُتُنا      وأغنَ نفسَكَ عَنَّا أيها الرجلُ  
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرَهم      والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا فيكتهل <sup>(٣)</sup>  
وقال الآخر <sup>(٤)</sup> :

إِنَّ بَنِيَّ صِيبِيَّةٌ صَيْفِيُّونَ      أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّونَ  
يشكو كما ترى صِغَرَ البنين ، وضعف الأسر <sup>(٥)</sup> .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسةً بماله على بني عمه ، ولإشفاقه من  
أن تليه القضاة وترتع فيه الأمناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضى  
الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكْر ، وللرغبة في العقب ،  
أو على جهة طلبِ الثواب <sup>(٦)</sup> في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،  
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،  
ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبِّ الذُرِّيَّةِ وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل: « على فراشه » وذلك لا يكون للضمير في كلمة ( علمه ) اتية مرجع .

وعلى الأصل أيضا لانجد للضمير ( فراشه ) مرجعا مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حري كما في البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) في البيان : « أعظمهم » بدل « كثرهم » . وفي ط « النبع » بالعين ، والصواب ما أثبت  
من ل والبيان . والنبع : شجر تحمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صيق ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل  
إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده صيفيون . . .  
والربعيون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هي في ط « عسى »  
وتصححه من ل : والنوادر .

(٥) في ط : « السن » .

(٦) في ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنابير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه ، وفي جبينه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَدُ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل في الولد المؤمن المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شيء قصده له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، ونزوع النفس إلى ذلك . وذكر أبو الأنخز الحمانى غير العانة <sup>(١)</sup> بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سفاذه :

لَا مُبْتَغَى الذَّرءُ وَلَا بِالْعَازِلِ <sup>(٢)</sup>

لأنَّ الإنسان من بين الحيوان المزاوج ، إذا كره الولد عزل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلب الذرء <sup>(٣)</sup> والولد . لذلك سُخِّرَتْ ، وله هيئت ، لما أراد الله تعالى من إتمام حوائج الإنسان . والحمار لا يطلب الولد ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الإنسان ، غير أنَّ غايته قضاء الشهوة فقط ، ليس يخطر <sup>(٤)</sup> على باله أنَّ ذلك الماء يُخلَق منه شيء .

[ وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار » ] .

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنما هو مصروف إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التئص <sup>(٥)</sup> والتطييب والتطوؤ <sup>(٦)</sup> [ والتعرس <sup>(٧)</sup> ] والتخضب ،

(١) في ط : « وذكر أبو الأنخز الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مَبْتَغَى الذر ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذر » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التئص : نتف الشعر . والتئص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوؤ : التزين . . وبدل « التطوؤ » في ط : « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التحجب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبْغ ، وَالْحَلِي ، والكِسَاء ، والفُرْش ، والآنية ، لكان فى ذلك ما كفى . ولولم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنائيتها والجنابة عليها ، لكان فى ذلك المؤنةُ العظيمة ، والمشقة الشديدة .

### (قول فى الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضو الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذة والألم ، فباضطرابٍ أنْ تعلمَ أنْ تلك القوى لم تبطل من التركيب ، ولم تعدمها الخلقة ، وإِنَّمَا سُدَّ دونها بسدٌّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعَدَمُ إلاّ بعدمَ ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضتْ<sup>(١)</sup> من وجه ، ولا سيما إذا جُمَتْ ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخرت وغزرت ، وطغت<sup>(٢)</sup> وطمتْ ، من أنْ تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التى كانت للمنكح وما يشتمل عليه باب المنكح ، إلى القوة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوتان فى بابٍ واحد كان أبلغ فى حكمه ، وأبعد غايةً فى سبيله ، ولذلك صارَ الخصىُّ آكلَ من أخيه لأُمِّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه ، وعلى قدر حاجة طبعه [وحركة نفسه و]<sup>(٣)</sup> الحرارة المتولدة عن الحركة يكون ٥١

(١) كذا على الصواب فى ط . . وفى ل : « غاضت » .

(٢) فى ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمرار ، لأن الشهوة من أمتن<sup>(١)</sup> أبواب الاستمرار ، والحركة من أعظم  
[ أبواب ] الحرارة .

### ( تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام )

ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ، وكذلك الحجر دون  
الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة<sup>(٢)</sup> دون الكباش ،  
وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشك أن الرجل يأكل في  
المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي  
عليه مقطوعاً غير منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصل طعامها  
أكثر . وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه ، لأن طبع الصبي سريع  
الهضم ، سريع الكلب ، قصير مدّة الأكل ، قليل مقدار الطعم ،  
فالمرأة كثرة معاودتها ، ثم تبيّن بكثرة مقدار المأكول . فيصير للخصى  
نصيبان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ،  
أعني شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أي شيء آكل ؟ قال : برذونة  
رغوثة<sup>(٣)</sup> .

ولشدّة نهَم الإناث ، صارت اللبؤة أشدّ غراماً وأزرق ، إذا طلبت  
الإنسان لتأكله ، وكذلك<sup>(٤)</sup> صارت إناث الأجناس الصائدة [ أصيد ] ،

(١) في الأصل : « أمتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوثة : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناث من الكلاب [ والبزاة ] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون  
عند ارتضاع جرائها [ من أطباها ] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم  
في ذلك .

### ( صوت الخصى )

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت ، حتى لا يخفى على من  
سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصى ، وإن كان الذي يخاطبه ويناقله  
الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى  
يعرض لخصيان الصقالبة أكثر مما يعرض للخرسانية ، وللسودان من  
السند والحبشان . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة  
أو عرق ، فليس يحتاج في صحة تمييز ذلك ، ولا في دقة <sup>(١)</sup> الحس فيه ، إلى  
حدق بقيافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السفلة والغثراء <sup>(٢)</sup> ، وفي أجناس  
الصبيان والنساء .

### ( شعر الخصى )

ومتى خصى قبل الإنبات لم يُنبِت ، وإذا خصى بعد استحكام نبات  
الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه  
ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفثرة محركة ، والغثراء

والغثر بالضم ، والغيرة : سفلة الناس » .

للرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة لا تصلح ، فناسبها [ الخصى<sup>١</sup> ] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَع والجَلَح ، [ والجَلَه ] والصلح<sup>(١)</sup> وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصٍ مقادير شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزاعٍ ولا جَلَح ، إذا لم يكن ذلك حادثاً يُحدثه الطعن في السن . وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصَّاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع الملاسة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحل ، واسكنه ينبت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتسكون لها شعراتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالإذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخشاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صُدْغِهِ شَيْءٌ من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النزاع : انحصار الشعر من جانبي الجبهة . والجَلَح : انحصاره عن جانبي الرأس . والجَلَه والصلح : انحصار شعر مقدم الرأس .

## (ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدّهاقين ، وكذلك الغُيب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بِجُنْثَى ، بل [ نَجِدُهَا ] أنثى تامّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المسكان . [ ولا تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض ] ، وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهلُ بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخنّاق ، لحية وافرة ، وأنها دخلت مع نساء متنبّيات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال<sup>(١)</sup> الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها ، فترعن عنها<sup>(٢)</sup> وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً للخصى المرأة في الانجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبّاء الذراعين والساقين ، وتجد ركّاب<sup>(٣)</sup> المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبل عُصروفُ عُرْفِهِ ولحيته .

والخصاء ينقص من شدّة الأسر ، وينقص<sup>(٤)</sup> مُبرَم القوى ، ويُرخي معاقِد العصب ، ويقرب من الهرم والبلى .

(١) في ل : « فأقبل » .

(٢) في ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

### (مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقّدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [ الذي هو أعبل<sup>(١)</sup> منه ] لوجدتَ لوقعه ووطئه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكأنَّ العضو الذي كان يشدُّ ٥٣ توتير النساء<sup>(٢)</sup> ، ومعاقد الوركين<sup>(٣)</sup> ومعاليق العصب ، لمَّا بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه ، فيخفّ لذلك وقعُ رجله ، صار كالذي لا يتأسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

### (أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صَفْلَبَيْنِ مِنْ أُمِّ وَأَبٍ ، لو كان أحدهما توأمَ أخيه ، أنه متى خُصِيَ أحدهما خرجَ الخصىُّ منهما أجودَ خدمةً ، وأفطنَ لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لها أتقنُ وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلاً عند المخاطبة ، فيُخصَّ بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة<sup>(٤)</sup> فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة<sup>(٥)</sup> الصَفْلَبِيَّةِ ، وعلى سوء فهم العجميَّة .

ويدُّ الإنسان لا تكون [ أبداً ] إلا خرّقاء ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) في ط : « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل : « وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) في ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) في ط : « غشاوة » وفي ل : « غثارة » بالعين ولعل صوابهما ما أثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) في ط : « بلاهته » وأبدلتها بما في ل : ليتم تساوق الكلام .



المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، متقلّة له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علّة له في الأماكن العميقة ، ومصرفةً له في المواضع المختلفة .

فأول ما صنع الحِصَاء بالصَّعْلِيّ تزكيةً عقله ، وإرهافُ حدّه ، وشحذُ طبعه ، وتحريكُ نفسه . فلما عرّف كانت حركته تابعةً لمعرفته ، وقوّته على قدر ما هيّجه (١) .

فأمّا نساء الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخُرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخِلق . وهذا جملة القول في نسائهم ، وعلى أنّهم لا حظوظَ لهم عند الخلوة ، ولا نفاذَ لهم في صناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفة المناولة .

والحِصِيَانُ مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفذَ في صناعةٍ تُنسب إلى بعض المشقّة ، وتضاف إلى شيء من الحكمة ، ممّا يُعرَف ببُعد الرويّة ، والغوص بإدامة الفسكرة ، إلا ما ذكروا من نفاذ ثقف (٢) في التحريك للأوتار ، فإنّه كان في ذلك مقدّماً ، وبه مذكورا .

(١) في ط : « ماجه » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « نقف » .

إِلَّا أَنَّ الْخَصِيَّ مِنْ صَبَاه ، يُحَسِّنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ <sup>(١)</sup> ، وَيُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطَّوْرِيِّ <sup>(٢)</sup> ، وَمَا شَتَّتَ مِنْ صَغَارِ الصَّنَاعَاتِ .

وَقَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيحًا <sup>(٣)</sup> الْخَصِيَّ ، خَادِمَ مُثَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ ، كَانَ يُجَارَى <sup>(٤)</sup> مُثَنَّى فِي الْبَصْرِ بِالْحَمَامِ ، وَفِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ ، وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ ، وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَمِنْذُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا قَوْلُهُمْ فِيمَنْ خَصِيَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَمَلَوْكُنَا لِعَقُولِ خَصِيَّانِ خُرَّاسَانَ أَحْمَدَ ، وَهَمَّ قَلِيلٍ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ، وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ . ٥٤

### ( خَصِيَّانِ السَّنَدِ )

وَأَمَّا السَّنَدُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخَصِيَّانِ إِلَّا النَّفَرُ الَّذِينَ كَانَ خَصَاهُمْ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ ، وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيَ أَرْبَعَةً هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَرَأَيْتُ الْخِصَاءَ ، قَدْ جَذَبَهُ إِنْ حَبَّ الْحَمَامَ ، وَعَمِلَ التَّكْكَ <sup>(٥)</sup> ، وَالْهَرَّاشَ بِالْدَبُوقِ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجَرِّ مِنْهُ عَلَى عِرْقٍ ، وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ ذَلِكَ الْعَضْوِ .

(١) الدَّبُوقُ ، هُنَا : جَمْعُ دَبَقٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الدَّابُوقُ وَالدَّابُوقَاءُ : غَرَاءٌ يُصَادُ بِهِ الطَّيْرُ .

وَالدَّبُوقُ كَتَنُورٌ قَالَ فِي الْقَامُوسِ : لَعِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ . . وَلَيْسَتْ مُرَادَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ .

(٢) فِي ط : « الضَّوَارَى » وَفِي ل : « الصَّوَار » وَصَوَاهُمَا « الطَّوْرِيُّ » وَهُوَ الْوَحْشِيُّ .

(٣) فِي ط : « خَدِيحًا » بِالْخَاءِ . وَقَدْ كَتَبْتُ مَا فِي ل وَ س .

(٤) فِي ط : « يَجْرَى » .

(٥) التَّكَّةُ : رِبَاطُ السَّرَاوِيلِ وَالْجَمْعُ تَكْكَ ، وَيَبْلُغُ أَنَّهَا مَعْرَبَةٌ ، كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ الْخَفَاجِيُّ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ ، وَلَمْ يَتَرَضَّ صَاحِبُ الْقَامُوسِ لِذَلِكَ .

### ( خصيان الحبشة والنوبة والسودان )

فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان ، فإنَّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقصهم ولا يزيدهم ، ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبة عن مقادير إخوتهم ، لأنَّ الحبشي متى خُصِيَ سقطت نفسه ، وثقلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدَّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استقصى جِبابه لم يتأسك بوله <sup>(١)</sup> ، وسلُس مخرجه ، واسترخى المسك له ، فإن هم لم يستقصوا جِبابه ، فإنما يدخل الرجل منزله من له نصفُ ذلك العضو <sup>(٢)</sup> . وعلى أنك لا تجد منهم خَصِيًّا أبداً ، إلاَّ وبِسْرته بُجْرَةٌ ، ونفخة <sup>(٣)</sup> شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قُبْحِهِ في العين ، وشُنْعَتِهِ في الذِّكْر . وكلُّ ما قُبِحَ في العين فهو مؤلم ، وكل ماشع في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثرَ ماتجد فيهم الأُلْطَع <sup>(٤)</sup> ، وذلك فاشٍ في باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدْلاً ، وكانت المشافر منقلبة ، كانت أظهر للَطْع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذي يعرض لغراميل الخيل وخُصَّاهَا <sup>(٥)</sup> ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عَرَضَ مثل ذلك لحشفة قضيب المختون ، إمَّا لطبَع الحديد ، وإمَّا لقرب <sup>(٦)</sup> عهده بالإحداد وسقى الماء ، إلاَّ أن ذلك لا يعدو مكانه .

- (١) في ط : « ولم يتأسك بوله » والوجه حذف الواو كما في ل .  
 (٢) في الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جِبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .  
 (٢) في ط : « وبُجْرة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما في ل . والبحرة : العقدة في البطن والوجه والعنق .  
 (٤) اللطع : بياض في باطن الشفة . وأكثر ما يعثر ذلك السودان .  
 (٥) في ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .  
 (٦) في ط و س : « لقدم » وهو خطأ صوابه في ل . ويؤيده ما كتبه الجاحظ في الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : ردائه .

وكانما عظممت الحشفة انبسط ذلك البياض على قدر الزيادة فيها ،  
 وإنما ذلك كالبياض الذى يعرض من حرق النار وتشريطها<sup>(١)</sup> ، وكالذى  
 يعرض للصقالبه من التعالج بالسكى . وربما اشتد بياضه حتى يفحش  
 ويرديه<sup>(٢)</sup> ، إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر ، إلا بقدر ما ينسط مكانه ، ويتحول  
 صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبياً<sup>(٣)</sup> . وليس كالذى يعرض من البلغم ومن  
 المرأة . وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضه لا يذهب  
 ولا يقف ، بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربما سلخه ، ولا يذهب إلا بأن  
 يذهب به نبى<sup>(٤)</sup> ، فيكون ذلك علامة له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق  
 بالبرص<sup>(٥)</sup> ، ولكن الذى هو أمره الذى ترون من كثرة بُرء الناس منه .  
 ثم الخصاء يكون على ضروب ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك  
 ما يعرض بعد الكبر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض  
 للعجم ، كما خصى بعض عباهلة اليمن<sup>(٦)</sup> عاقمة بن سهل الخصى .

### ( علقمة الفحل وعلقمة الخصى )

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) فى ط : « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « يردته » أى يجعله رديثا ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرحلة بضم الراء : بياض فى  
 إحدى رجلى الدابة . أما « صبيا » فلعلها « مصتا » . والمصمت : الذى لا يخالط  
 لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شيء » وقد أبدلته بما فى ل . . وكان عيسى عليه السلام يرى الأكمة  
 والأبرص يأذن الله .

(٥) فى ط : « ما يكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقباهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَبَ الجَدِيلِ<sup>(١)</sup> وداعراً ، الفحلين .  
الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة  
ابنِ مَظْعُونٍ في شربِ الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطّاب رضى الله  
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الْخَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ .

وهو علقمةُ بن سهلٍ بن عمارة ، فلمّا سمّوه الخصيّ ، قالوا لعلقمة بن  
عبدة : الفحل . وعلقمةُ الخصيّ الذي يقول :

فلن يَعدَمَ الباؤونَ قَبراً لَجَنَّتِي<sup>(٢)</sup> ولن يَعدَمَ الميراثَ مِنِّي المواليا  
حِرَاصُ على ما كنتُ أَجمَعُ قَبْلَهُمْ هَنِيئاً لَهُمْ جَمْعِي وما كنتُ واليا  
وَدَلَّيْتُ في زُوراءَ تُثَمَّتْ أعْنَقُوا لَشَأْنِهِمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وشَانِيا  
فأصبحَ مالى من طريفٍ وتالِدٍ لغيري ، وكانَ المَالُ بالأَمْسِ ماليا  
وكما عَرَضَ لِلدَّلَالِ ونَوْمَةِ الضُّحَى ، مِن خِصَاءِ عُثْمَانَ بنِ حِيَّانَ [ المَرْمَى ]  
والى المدينةَ لهما ، بكتابِ هشامِ بن عبد الملك<sup>(٣)</sup> .

### ( أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك )

فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مِنْ يَدْعَى أَنَّ عَامِلَ الْمَدِينَةِ صَحَّفَ ، لِأَنَّهُ رَأَى فِي  
الْكِتَابِ : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُخَنَّثِينَ » فَقَرَأَهَا : « اخْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ

(١) في ط : « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما في ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان  
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠  
وذيل أمالي القائل ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة  
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهشياري ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

الْمُحَنِّثِينَ . وذَكَرَ الْهَيْثُمُ عَنْ الْكَاتِبِ الَّذِي تَوَلَّى قِرَاءَةَ ذَلِكَ الْكِتَابِ ،  
أَنَّهُ قَالَ : وَكَيْفَ يَقُولُونَ ذَلِكَ !؟ وَلَقَدْ كَانَتْ الْخَلَاءُ مُعْجَمَةً بِنُقْطَةٍ ، كَأَنَّهَا  
سُهَيْلٌ [ أَوْ ثَمَرَةٌ صِيحَاتِيَّةٌ <sup>(١)</sup> ] فَقَالَ الْبِقَطْرِيُّ <sup>(٢)</sup> : مَا وَجَّهَ كِتَابَ هِشَامٍ  
فِي إِحْصَاءِ عَدَدِ الْمُحَنِّثِينَ ؟ وَهَذَا لَا مَعْنَى لَهُ ، وَمَا كَانَ الْكِتَابُ إِلَّا بِالْخَلَاءِ  
الْمُعْجَمَةِ دُونَ الْخَلَاءِ الْمَهْمَلَةِ . وَذُكِرَ عَنْ مَشَائِخَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ حَكَّوْا  
عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا : الْآنَ صِرْنَا نِسَاءً بِالْحَقِّ !! كَأَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَيْهِمَا لاختَارَا  
أَنْ يَكُونَا امْرَأَتَيْنِ ! قَالَ : وَذُكِرَ أَنَّهُمَا خَرَجَا بِالْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الْإِخْصَاءِ  
وَالْتَخْنِيثِ ، مِنْ قُتُورِ الْكَلَامِ . وَلَيْنِ الْمَفَاصِلِ وَالْعِظَامِ ، وَمِنْ التَّفَكُّكِ  
وَالْتَثْنِيِّ ، إِلَى مَقْدَارٍ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا بَلَغَهُ ، لِأَمِنْ مَخْتَثَاتِ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ  
مُؤَثَّنِي الرِّجَالِ .

### ( أَبُو هَمَامِ السَّنُوطِ )

وَكَمَا عَرَضَ لِأَبِي هَمَامِ السَّنُوطِ <sup>(٣)</sup> مِنْ امْتِلَاحِ اللَّخْمِ مَذَاكِيرَهُ  
وخصيَّه <sup>(٤)</sup> ، أَصَابَهُ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي <sup>(٥)</sup> ، فَسَقَطَتْ لِحْيَتُهُ ،  
وَلَقَّبَ بِالسَّنُوطِ ، وَخَرَجَ لَذَلِكَ نَهْمًا وَشَرِّهًا .

(١) الصَّيْحَانِي : ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ أَسْوَدٌ صَلْبٌ الْمِضْفَةِ . وَسُمِّيَ صَيْحَانِيَا لِأَنَّ صَيْحَانَ اسْمَ  
كَبْشٍ كَانَ رِبَطًا إِلَى نَخْلَةٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَثْمَرَتْ تَمْرًا فَانْسَبَ إِلَى صَيْحَانَ .

(٢) فِي ط ، ل ، س « الْبِقَطْرِيُّ » بِالْبَاءِ وَالْغَيْنِ هُوَ بِالْبَاءِ كَمَا فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ  
مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْيَبَانِ .

(٣) ذَكَرَهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَحْلَاءِ ١٧٦ وَجَاءَ مُحَرَّفًا بِالْمُسُوطِ ، وَالسَّنُوطُ بِالْفَتْحِ وَالتَّخْفِيفِ :  
مِنْ لَاحِيَةٍ لَهُ أَصْلًا ، أَوْ الْحَقِيفِ الْعَارِضِينَ .

(٤) فِي ط « مِنْ امْتِلَاحٍ لَحْمِ مَذَاكِيرِهِ وَخصيَّه » وَهُوَ تَخْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل وَجَاءَ  
فِي الْقَامُوسِ : اللَّخْمُ بِالْفَمِّ : سَمَكٌ بَحْرِيٌّ . وَقَدْ ضَبِطَ فِي مُعْجَمِ الْمَعْلُوفِ ص ٢٢٥  
بِالْفَتْحِ سَهْوًا ، قَالَ : وَهُوَ يَعْرِفُ بِالْفَرَشِ فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

(٥) فِي ل « أَصَابَهُ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ سَمَكَةً فِي بَعْضِ الْمَغَازِي » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضه لا يحمل إلا الرطب ، وبعضه لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا الحزج<sup>(١)</sup> ، وبعضه لا يحمل إلا البسر ، وبعضه لا يحمل إلا الخلخال ، وكثنا متى تناولنا من الشُّمراخِ بُسْرَةً ، خلقَ ٥٦ اللهُ مكانها بُسْرَتَيْنِ ، لَمَّا كان بذلك بأس ! ثم قال : أَسْتَغْفِرُ الله ! لو كنتُ تَمَنَّيتُ أن يكونَ بدلَ نواةِ التمر زُبْدَةٌ كان أصوب !!  
ومنه ما يمرض من جهة الأوجاع التي تعرض للذاكِر والخصيتين ، حتى ربما امتلخهما طيبٌ ، وربما قطع إحداها ، وربما سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما .

### (نسل منزوع البيضة اليسرى)

والنوامُ يزعمون أن الولدَ إنما يكون من البيضة اليسرى<sup>(٢)</sup> ، وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أن ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزلي ، إنما وُلِدَ له بعد أن نُزِعَت بيضته اليسرى ، لأمرٍ كان عرض له .

والخصيَّ الطَّيَّان ، الذي كان في مسجدِ ابنِ رَغَبان<sup>(٣)</sup> ، وُلِدَ له غلام ، وكان ليس له إلا البيضة اليمْنى ، فجاء أشبه به من الذُّباب بالذُّباب ، والغراب بالغراب ، ولو أَبْصَرَهُ أَجْهَلُ خَلْقِ الله تعالى بفِراسَةٍ ، وأبْعَدُهُم من قِيَافَةٍ ، ومن مَخَالَطَةِ النِّخَاسِيْنَ ، أو من مَجَالَسَةِ الأَعْرَابِ ، لَعِلِمَ أَنَّهُ سُلَالَتُهُ

(١) في ط ، س «الحزج» و ل «النصف» وصواب الأول «الحزج» وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٢١٥ .

(٣) في ط «ابن زغبان» بالزاي وأبدلته بما في ل وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٦ «ابن زغبان الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب بن مسلمة . . وكان حبيب عظيم القدر ، على الولايات زمن عثمان ومعاوية .»

وخلاصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المُدْجِي<sup>(١)</sup> ، ولا إلى ابن كرز<sup>(٢)</sup> الخَرَاعِي .

### ( خصاء الروم )

ومن أهل الملل من يَخْصِي ابنه ويقفُه على بيت العبادة ، ويجمعه سادناً ، كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يُحدثون في القضيبي حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأثنيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إقبال نساءهم ورواهبهم<sup>(٣)</sup> فقط !! فأما قضااء الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه ، لفِرْط قوّته على المطاولة .

### ( الروم أول من ابتدع الخصاء )

وكلُّ خصاءٍ في الدنيا فإنما أصله من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدّعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكِبَد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلاً ! وحسبك بصنيع الخاصي قسوة ! ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طَلَب الطوائل وتذكّر الأحقاد ، ما لم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قِبَلِهِمْ ،

(١) في ط : « محرز » وإنما هو « مجزّز » كما في ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابي له ذكر في الصحيحين . . وكان الرجل قائفاً .

(٢) في ل : « كرز » .

(٣) في ط : « ودواهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .



فلا هم ينزعون ، ولا الخصيَّان ينسكيلون ، لأنَّ الرِّمَيةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصىُّ أسواراً بلغَ منهم <sup>(١)</sup> ، وإن كان جمع مع الرماية الثروة ، واتخذ بطرسوس ، وأذنة ، الضياع واصطنع الرجال ، واتخذ العقد المغلة <sup>(٢)</sup> فضرة كل واحد منهم عليهم ، نفى بمضرة قائد ضخم . ولم ترَ عداوة قط تجوز مقدار عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرط الرغبة في النساء ، وعلى شهوة شديدة للمباضعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلة كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحذوثة .

### ( خصاء الصابئة )

فأما الصابئون ، فإنَّ العابد منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الرومي ، فيما أظهر من حُسن النية ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام <sup>(٣)</sup> ، وبإدخاله النقص على النسل ، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمر عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطرف الأخبار ، ونوادير الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قط بأغزل منه ، وإن كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتخذ العقد والعبد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بخصلة الولد التام » .

## (حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجرى ذكرُ النساءِ ومحلَّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليهن أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه ، إذ كان قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجعل امرأة - قال ابن عباد ، فقال لنا : أستمُّ تعلمون أنَّي قد أربيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهُنَّ الكبيرِ ، ونفاذُ الذَّكرِ<sup>(١)</sup> ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبوعِ النطفة ، قد أَمَاتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيره في الغزل ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من عودَ نفسه تركهنَّ مُدداً ، وتخلي عنهنَّ سنينَ ودَهرًا<sup>(٢)</sup> ، أن تكون العادة وتمرينَّ الطبيعة ، وتوطينُ النفسِ ، قد حطَّ من ثقلِ منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتم أنَّ العادة [ التي ] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعضِ عهدٍ هَجَرٍ للملاسةِ النساءِ<sup>(٣)</sup> . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من لم يذُقْ طعمَ الخلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمعَ حديثهنَّ وخِلاَبتهنَّ للقلوب ، واستمالتهنَّ للأهواء ، ولم يرهنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدَّم له ذلك مع طولِ التَّرك ، ألا يكون بقي معه من دواعيهنَّ شيء ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لمن قد علم أنه محبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسومٌ ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزَّهد

(١) الذكر هنا في معنى التذكُّار .

(٢) في ل : « زهداً » بدل « ملداً » وفق ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل : « عمر » موضع « عهد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاء الزُّهْد في الدنيا ، وفيما يحتويه النساء مع جاهلٍ وفتنةٍ للنَّسَاكِ بهنَّ ، واتخاذِ الأنبياءَ لهنَّ : إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكْرِهْهُ عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سِبَاهٌ سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزَّهْدِ هو المقدار الذي يُمِيتُ الذُّكْرَ لهنَّ ، ويُسرِّي عنه ألم فقد وجودهنَّ<sup>(١)</sup> ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم<sup>(٢)</sup> ويختارَ الإرادة التي يصير بها<sup>(٣)</sup> إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخر على الخلق ، أن تكون الوسواس في هذا الباب لا تعرُّوه ، والدواعي لا تقرُّوه<sup>(٤)</sup> . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السَّكَنِ وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أني سَمَلْتُ عيني يوم خَصَيْتُ نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصُّورِ وكيف ترُّوع ، وجَهِلْتُ المراد منها ، وكيف تُرَاد ، أفأكان<sup>(٥)</sup> [ مَنْ كان كذلك ] حَرِيًّا أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أو لو لم أكن هَرِمًا<sup>(٦)</sup> ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس في<sup>(٧)</sup> أني لم أذُق حيواناً منذ ثمانين

(١) في ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا يتنى العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقرؤه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فأكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لولم أكن هريما » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تَمَلْ عُرُوقِي<sup>(١)</sup> من الشرابِ مخافةَ الزيادةِ في الشهوةِ ، والنقصانِ من العزمِ - أليسَ<sup>(٢)</sup> في ذلك ما يقطع الدواعي ، ويُسَكِّن الحركةَ إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فلأني بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لَأَسْمَعَ نَغْمَةَ الْمَرْأَةِ فَأُظَنُّ مَرَّةً أَنَّ كَبِدِي قد ذابت ، وأظنُّ مَرَّةً أَنَّهَا قد انصدعت ، وأظنُّ مَرَّةً أَنَّ عَقْلِي قد اختلِسَ ، وربما اضطربَ قُوَادِي عند ضَحِكِ إِحْدَاهُنَّ ، حتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ قد خرجَ من فمي ، فكيف أَلومُ عَليْنِ غَيْرِي ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدقَ على نفسه في تلك الحال ، يعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخِصاءِ بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعةِ ولا في صفةِ الإمكانِ ، أن يحتجَزَ عن إرادةِ النساءِ ، ومعه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ لهنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بِخَلْقِهِ ، وأعدلُ على عبادِهِ ، من أن يكلفَهُمْ هِجْرَانَ شَيْءٍ ، قد وصلَهُ بتلوينهم هذا الوصلَ ، وأكَّده هذا التأكيدَ .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفايةً إن شاء الله تعالى .

### ( استئذان عثمان بن مظعون في الخِصاءِ )

وقد ذُكِرَ أَنَّ عُمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ، اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيَاحَةِ فَقَالَ : « سَيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةِ » . واستأذنه في الخِصاءِ فقال :

(١) في ط : « تَمَلْ » وما أثبتته من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمَّتِي الصُّومِ ، وَالصُّومُ وَجَاءَ » . فهذا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

٥٩

## ( خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ )

فَأَمَّا مَنْ خَصَى الْجَلْبَ <sup>(١)</sup> عَلَى جَهَةِ التَّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يُجِبُّ الْقَضِيبَ ،  
وَيَمْتَلِخُ الْأَنْثَيْنِ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرْطِ الْفَرْعِ <sup>(٢)</sup> ، فَتَصِيرُ إِلَى  
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلَمٌ لَا يَبْقَى بِهِ  
ظَلَمٌ ، وَظَلَمٌ يُرَبِّي عَلَى كُلِّ ظَلَمٍ <sup>(٣)</sup> ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِفُوتِ الْمُتَقَلَّصِ <sup>(٤)</sup> ،  
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرَى مُجُوبَ الْقَضِيبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَهُ  
لَا أَمْرَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خَصِيًّا ، وَهُوَ حِينَئِذٍ مِمَّنْ تَخْرُجُ لِحَيْتُهُ ، وَمِمَّنْ لَا يَدْعُهُ  
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بَيُوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخَصِيَّانِ  
مُقَرَّبًا وَمُكْرَمًا ، وَخَصِيبَ الْعَيْشِ مَنْعَمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفَحُولِ ،  
كَانَ لَهُ مَا لِلْفَحُولِ مِنْ لَذَّةِ غَشِيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النِّسْلِ وَالتَّمَتُّعِ بِشَمِّ  
الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفَحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخَصِيَّانِ مَجْرَحًا  
مَطْرَحًا <sup>(٥)</sup> ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى <sup>(٦)</sup> فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ — إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب ما في ل .

(٣) ل : « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « بموت المتقلص » وصوابه في ل .

(٥) ل : « مخرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذي يرغب عن فعلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ،

فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهرى في دمشق وما تريم

القتلُ قِتْلَةً صَرِيحَةً<sup>(١)</sup> مُرِيحَةً - إِلَّا أَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْهَلَ عَلَى هَذَا  
المَظْلُومِ مِنْ طَوْلِ التَّعْذِيبِ . وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ .

### ( خِصَاءُ الْبِهَائِمِ )

وَأَمَّا خِصَاءُ الْبِهَائِمِ ، فَهُنَا الْوِجَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَشُدَّ عَصَبُ مَجَامِعِ الْخِصْيَةِ  
مِنْ أَصْلِ الْقَضِيبِ ، حَتَّى إِذَا نَدَرَتِ الْبَيْضَةُ ، وَجَحَظَتِ الْخِصْيَةُ ، وَجَأَهَا  
حَتَّى يَرْضَاهَا ، فَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ تَذْبِيلٌ وَتَنْخَسِفُ ، وَتَلْوِي وَتَسْتَدِيقُ ، حَتَّى  
تَذْهَبَ قُوَاهَا ، وَتَنْسَدَّ الْمَجَارِي إِلَيْهَا ، وَيَسْرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ إِلَى مَوْضِعِ تَرْبِيَةِ  
النُّطْفَةِ ، فَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَكْثُرَ أَوْ تَعْذِبَ أَوْ تَحْتَرُ .

وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بِالشَّدِّ وَالْعَصَبِ ، وَشِدَّةِ التَّحْزِيقِ ، وَالْعَقْدِ بِالْخِيطِ الشَّدِيدِ  
الْوَتِيرِ الشَّدِيدِ الْفَتْلِ ، فَإِذَا تَرَكَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمِلَ فِيهِ وَحَزٌّ ، أَوْ أَكَلٌ وَمَنْعُهُ مِنْ  
أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهِ الْغِذَاءُ ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطَعَ وَيَسْقُطَ .  
وَمِنْهُ الْإِمْتِلَاحُ ، وَهُوَ إِمْتِلَاحُ الْبَيْضَتَيْنِ .

### ( خِصَاءُ النَّاسِ )

فَأَمَّا خِصَاءُ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِلْخَاصِي حَدِيدَةً مَرْهَفَةً مُحَمَّاةً ، وَهِيَ الْحَاسِمَةُ ،  
وَهِيَ الْقَاطِعَةُ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : [ يُقَالُ ] خَصَيْتِ الدَّابَّةَ أَخْصَيْهَا خِصَاءً ،  
وَوَجَأْتُهَا أَجْوَاهَا وَجَاءً . وَيُقَالُ : بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْخِصَاءِ أَوْ الْوِجَاءِ ، وَلَا يُقَالُ  
ذَلِكَ إِلَّا لَمَّا كَانَ قَرِيبَ الْعَهْدِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْهُ ، فَإِذَا بَرِئَ لَمْ يُقَلَّ لَهُ<sup>(٢)</sup> .

(١) ل : « سَرِيحَةً » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يَقْلَهُ » وَهُوَ خَطَأٌ فِي الرَّسْمِ أَوْجِبَهُ تَكَرُّارُ اللَّامِ ، وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتُ .

وأما الخِصَاءُ فهو أنْ يسلَّ الخُصِيَتَيْنِ ، والوجاء أنْ توجأ العروقُ والخُصِيَتَانِ على حالهما . والمعصوب من التيوس الذي تُعصَّب خُصِيَتَاهُ حتى تسقطا .  
والواحد من الخُصِيَانِ خُصِيٌّ ومُخْصِيٌّ . ويقال ملست الخُصِيَتَيْنِ أَمْلَسَهُمَا  
ملساً ، ومتنَّتُهُمَا أَمَتْنَهُمَا متناً ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّفَنَ فتسلَّهُمَا ٦٠  
بعروقهما . والصَّفَنُ : جلدة الخُصِيَتَيْنِ .

### ( خِصَاءُ الْبَهَائِمِ وَالذِّيكَةِ )

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَةً ، يَدْعُ اللَّحْمَ رَخِصَاءً  
وَنَدِيًّا عَذْبًا ؛ فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، لَمْ يَقَوْ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ -  
عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَةِ  
ثَرْبَنَتْ (١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خُصِيَ رَطْبًا . وَالْخُصِيُّ مِنْ فَحُولِهَا أَحْمَلُ  
لِلشَّحْمِ ، لِعَدَمِ الْهَيْجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفَحْلَةِ (٢) . وَكَثْرَةُ  
السَّفَادِ تَوَرَّثَ الضَّعْفَ وَالْهُزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذُكِرَ لِمُعَاوِيَةَ  
كَثْرَةُ الْجَمَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى (٣)  
وَالذِّيكِ يُخْصَى لِيَرْتَبَ لَحْمُهُ وَيَطْيَبَ وَيَحْمِلَ الشَّحْمَ .

### ( خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفَحْوَلَةِ الْإِبِلِ )

وكَانَتْ الْعَرَبُ تَخْصِي فُحْوَلَةَ الْإِبِلِ لثَلَا يَأْكُلَ بَعْضُهَا بَعْضًا ،  
وَتَسْتَبْقِي مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكُلَّ مَا كَانَ مِثْنَاثًا (٤)

(١) ط : « برنخت » .

(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .

(٣) ط : « منته » . والمنته : القوة . والخبر في البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .

(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكاراً ، وهم يسمون الإذكار المحقّ الخفيّ<sup>(١)</sup> ، وما كان منها عيائاً طباقاً ، فمنها ما يجعل السدم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدوا ثيله شداً شديداً ، وتركوه يهدر ويُقَبِّب في الهجمة ، ولا يصل إليهنّ وإن أردنه ، فإذا طلبنّ الفحلَ جرى لهنّ بفحلٍ قعسرى<sup>(٢)</sup> ويقولون : « لَقَوَةُ لَاقَتْ قَيْسَا ! » . والقيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن جهله بإتيان النساء ، وعيّه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره — والنساء يكرهنّ وقوع صدور الرجال على صدورهنّ — فقالت : زَوْجِي عَيَّايَاءُ طَبَاقَاءُ ، وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !! وقال الشاعر :

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْدِرْ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَعَكَّفُ<sup>(٣)</sup>

### ( خصاء العرب للخليل )

وكانوا يخصّون الخيل لشبيه بذلك<sup>(٤)</sup> ، ولعلّة<sup>(٥)</sup> صهيلها ليلة البيّات ، وإذا أكنوا الكمناء أو كانوا هُرَّابًا .

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحقّ الخفيّ » وهو تحريف مافي ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأمبروزيانا : « نحى وجيء لهنّ بفحل قيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلف » وفي ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .



## (القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لا علم له ، أنَّ الخنذيد<sup>(١)</sup> في الخيل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خفاف بن نَدْبَة :  
وخنذايد خصيةً وفُحولاً<sup>(٢)</sup>

وقال بشر بن أبي خازم :

وخنذيد تَرَى الغُرمُولَ منه كَطَى البرْدِ يطويه التَّجَارُ<sup>(٣)</sup>

وليس هذا أرادَ بشر ، وإنما أرادَ زمانَ الغزو ، والحال التي يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر<sup>(٤)</sup> :

لا لا أعقُّ ولا أحوُّ ب ولا أُغِيرُ على مُضَرِّ

لكنَّما غزوى إذا ضجَّ المطىُّ من الدَّبرِ  
وإنَّما فخر بالغزو في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم التامُّ ، وربما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيد الضُّحَى متمطرٌ وخيفانةٌ قد هذبَ الجرى آلهَا<sup>(٥)</sup>

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقْتَضَاب ٣٦٢ وصحاح الجوهري .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن نَدْبَة ، إذ أن ابن نَدْبَة من بني الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذين كابييات وأتانا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبري . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهي في الأصل « متمطرا » وليس بشيء . وآلهَا : شخصها .

[ على ] كلّ خنذيد السّراة مُقلّصٍ تَحَنَّثَ مِنْهُ لَحْمُهُ الْمُتَكَوِّسُ<sup>(١)</sup>  
ومن الدليل على أنّهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قول  
بعض القيسيين<sup>(٢)</sup> ، مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :  
دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى فِشْمَرْتٍ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طَوَالِ السَّوَاعِدِ

### (عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبد الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان ،  
حين فارق مُصعباً :  
بَأْيٍ بِلَاءٍ أَمْ بَأْيَةٍ عَلَيَّ يُقَدِّمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهَلَّبُ  
وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ أُمَامِي كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لِلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ<sup>(٣)</sup>  
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسنُ من هذا ! قال : فلمّا  
أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرُمونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازلٍ<sup>(٤)</sup> ترى ؟ !  
[ يريدون بيت ابن الحرّ<sup>(٥)</sup> ] :

ألم ترقيساً قيسَ عيلانَ - برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازل  
فلما أتى مُصعبُ برأسه ، قال لسويد : يَا أَبَا الْمِنْهَالِ ! كيف ترى ؟ قال :  
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! هو والله الذي أتى الماءَ من غيرِ مَشْرَبٍ .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبيس ،  
فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار  
في البيان والأغاني .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد  
مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما  
خاف من الأسر ، ألقي بنفسه في الفرات ، فأت غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بُريدَةَ الذى حَدَّثَهُ فىنا أذلُّ من الخصىِّ الدِّيزجِ (١)  
وتعرض للخصىِّ سرعةُ الدِّمعة ، وذلك من عادةِ طبائع الصبيان  
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دَمعةً من النساء ، وكفاك  
بالشيوخ الهرمين .

### (أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ والأعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق  
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .  
ويعرض له الشرُّ عند الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ  
شئ ، وذلك من أخلاق الصبيان [ ثم النساء (٢) ] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رومان قيساً إذا غداً خصىُّ براذين يُقَاد رهيصُ  
له معدة لا يشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرة بالدورقين قفوصُ

ويعرض للخصىِّ سرعة الغضب والرضا ، وذلك من أخلاق الصبيان ٦٢  
والنساء . ويعرض له حبُّ النيمة ، وضيقُ الصدر بما أودع من السرِّ ،  
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ،  
ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطه ، البصرُ بالرفق والوضع ، والسكنس  
والرش ، والطَّرح والبسط ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الرينج » والصواب ما أثبت من ل . والدينج : قال ابن قتيبة فى أدب الكتائب  
١٠٥ : « الأخضر هو فى كلام العجم الدينج » . وقال الإسكافى فى مبادئ اللغة ١٢٣ :  
« والأخضر الأظخم المسمى بالفارسية الدينج » .

(٢) التكلة من نسخة الأميروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرةِ الرُّكُص حتَّى يجاوز  
في ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارج . ومتى دَفَعَ إليه مَولاه دابَّتَه ودخل  
إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرىَ  
تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنَّشَاب ، لِلَّذِي يدور في نفسه من حبٍّ غزو الرُّوم .  
ويعرض له حبُّ أن تملكه المملوك ، على ألا تقيمَ له إلَّا القوتَ ، ويكونَ  
ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه الشُّوقَةُ ، وإن ألحقته بعيشِ المملوك !!

ومن العجب أنَّهم مع خروجهم من شَطَر طبائع الرجال ، إلى طبائع  
النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيتُ غيرَ واحدٍ من الأعرابِ  
مُخَنَّثاً متفكِّكاً ، ومؤنثاً يَسِيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مُخَنَّثين ،  
ورأيتُ ذلك في الزَّنج الأَفْحاح . وقد خبَّرني من رأى كُرْدِيّاً مُخَنَّثاً ، ولم  
أَرِ خَصِيّاً قط مُخَنَّثاً<sup>(١)</sup> ، ولا سمعتُ به ، ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف  
المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَدْ كان ينبغي لهم أن  
يكونَ ذلك فيهم عاماً<sup>(٢)</sup> !

ومما يزيدني في التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرض لهم من  
الخلَاق<sup>(٣)</sup> ، مع قلَّةِ ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشطرِ معاني  
الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ؛ وأهلِ التجربة المميِّزين ، أنَّهم  
اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ<sup>(٤)</sup> الأعمارِ في الحصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الخلاق ، كغراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسي .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعدادهم<sup>(١)</sup> من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَّصُوا، فوجدوا طول العُمُر في الحصيان أعمّ؛ ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلان وفلان من الفحول. وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاَّ عدم النكاح، وقلة استنفاغ الثَّطَف لقوى أصلاهم.

قالوا: وكذلك لم نجد فيما يعايشُ الناسَ في دُورهم، من الخيل والإبل، والحُمير، والبقرة، والغنم، والكلاب، والدجاج، والحمام، والديكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال.

٦٣

وكذلك قالوا: وجدنا أقلها أعماراً العصافير. وليس ذلك إلاَّ لكثرة سفاذ العصافير وقلة سفاذ البغال.

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغل على عمر أبويه دليلاً على أن قول الناس: لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناسَ دون جميع الحيوان.

### (النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غُرمول الحمار والفرس والبرذون؛ وهؤلاء أعمامه وأخواله؛ فقد وجدنا بعض النتاج المركب، وبعض الفروع المستخرجة، أعظمَ من الأصل؛ ووجدنا الحمام الرَّاعي<sup>(٢)</sup> أعظمَ من الورشان الذي هو أبوه، ومن الحمامة التي هي أمه؛ ولم نجد من أخذ من عمر الورشان شيئاً؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما؛ كما خرج شحيج البغل من نقيق الحمار وصهيل الفرس. وخرج الرَّاعي مُسرولاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى الذ وزنته، فالأعداد: الأنداد.

(٢) ط: «الزاعي»، والصواب مافي ل. قال في المجمل: الحمامة للرعية: ترعب في صوتها ترعياً، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك في أبويه ؛ وخرج مُثْقَلًا سَيِّئَ الهداية . وللوَرَّشَانِ هداية .  
وإن كان دون الحمام ؛ وجاءَ أعظمُ جُثَّةٍ من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفْسِ مِنْ  
ابتداءِ هَدِيلِهِ إلى منقَطَعِهِ ؛ أضعافُ مقدارِ هَدِيلِ أبويه .

وفَوَالِجُ البُخْتِ إذا ضَرَبْتَ في إناثِ البُخْتِ ؛ لم يَخْرُجِ الحَوَارُ  
إِلَّا أَدَنٌ<sup>(١)</sup> قَصِيرَ العُنُقِ ؛ لا يَنَالُ كَلًّا وَلَا مَاءً إِلَّا بِأَنْ يُرْفَعَا إِلَيْهِ ؛ فيصيرُ  
— لمسكانِ نُقْصَانِ خَلْقِهِ — جَزُورَ لَحْمٍ ؛ ولا يكونُ من اليعملاتِ ولا من  
السابقة ؛ ولو عَالُوهُ وكَفَّوهُ مُؤَنَّةً تَكْلَفُ<sup>(٢)</sup> المَأْكُولَ والمَشْرُوبَ ، ثم بَلَغَ  
إِلَى أَنْ يَصِيرَ جَمَلًا يَمَكُنُهُ الضَّرَابُ . وكذلك [ الأُنْثَى الَّتِي هِيَ ] الحائِلُ إِلَى  
أَنْ تَصِيرَ نَاقَةً ؛ فلو أَلْقَحَهَا الفَحْلُ لَجَاءَ وَلَدُهَا أَقْصَرَ عُنُقًا مِنَ الْفِيلِ ، الَّذِي  
لَوْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ خُرْطُومًا يَتَنَاوَلُ بِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ، لَمَاتَ جُوعًا  
وَهَزَالًا ؛ وليس كذلك العَرَابُ . وإذا ضَرَبْتَ الفَوَالِجُ في العَرَابِ جَاءَتْ  
هَذِهِ الْجَوَامِزُ<sup>(٣)</sup> والبُخْتِ السَّكْرِيْمَةُ الَّتِي تَجْمَعُ عَائَةً خِصَالِ العَرَابِ وَخِصَالِ  
البُخْتِ ؛ فَيَكُونُ مَا يُخْرِجُ التَّرْكِيبُ مِنْ هَذَيْنِ الْجَنْسَيْنِ أَكْرَمَ وَأَفْخَمَ  
وَأَنْفَسَ وَأَثْمَنَ . ومتى ضَرَبْتَ فَحُولُ العَرَابِ في إناثِ البُخْتِ جَاءَتْ هَذِهِ  
الإِبِلُ الْبَهُونِيَّةُ<sup>(٤)</sup> [ والصَّرْصَرَانِيَّةُ<sup>(٥)</sup> ] فتَخْرُجُ أَقْبَحَ مَنْظَرًا مِنْ أَبْوِيهَا ،  
وَأَشَدَّ أَسْرًا مِنْ أَبْوِيهَا . [ وقال الرَّاكِزُ : ولا يَهُونِي مِنَ الْأَبَاعِرِ ]

(١) ط : « أَتَانَا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما في ل . والدَّانُ ، محرَّكة : انحناء  
في الظهر ، ودَنُو وتَطَامَن في الصدر والعنق . وهو أَدَنٌ ، وهى دَنَاءُ .

(٢) ط : « تَكْلِيف » . (٣) ط : « الْجَوَامِيزُ » .

(٤) ط : « الْبَهُونِيَّةُ » . ل : « الْيَهُونِيَّةُ » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس  
« الْبَهُونِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ مَا بَيْنَ السَّكْرَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ » . وجاء في المَخْصَصِ ٧ : ١٣٥ واللَّسَانُ  
« وَالْبَهْنُوِيَّةُ — بِتَقْدِيمِ النُّونِ — مِنَ الْإِبِلِ : مَا بَيْنَ السَّكْرَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ دَخِيلٌ  
فِي الْعَرَبِيَّةِ » .

(٥) في القاموس والمَخْصَصِ : « الصَّرْصَرَانِيَّةُ : بَيْنَ الْبُخَاتِي وَالْعَرَابِ ؛ أَوْ الْفَوَالِجِ »  
وفي الْأَصْلِ : « وَهِيَ الصَّرْصَرَانِيَّةُ » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنَّ هذه الشَّهْرِيَّةُ الْخُرَاسَانِيَّةُ ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ  
 أمَّهاتِها وآبائِها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتْقِ الخيل ، ومن وثاجة<sup>(١)</sup>  
 البراذين ؛ وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصاً والفرس خالصاً .  
 وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمْكةِ والحِجْرِ ؛ من قرابةِ الجملِ الفالَجِ ٦٤  
 البُحْتِيُّ بقرابةِ القُلُوصِ الأعْرَابِيَّةِ .

### ( الحمر الوحشية )

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّةَ ؛ وبخاصَّةِ الأخدرِيَّةَ ؛ أطولُ الحمير أعماراً  
 وإنما هي من نتاج الأُخْدَرِ ؛ فرس كانَ لَأَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكٍ صار وحشياً<sup>(٢)</sup>  
 فحمى عدَّةَ عاناتٍ فضرَبَ فيها ، فجاء أولادُه منها أعظمَ من سائر الحمر وأحسنَ ،  
 وخرجتْ أعمارُها عن أعمارِ الخيل وسائر الحمر - أعنى حمر الوحش - فإنَّ  
 أعمارَها تزيد على الأهليَّةِ مراراً عدَّةً .

### ( عير أبي سيارة )

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاشَ أكثرَ وعُمُرَ أطولَ من عير أبي سيارة  
 عُمَيْلَةَ بْنِ أَعَزَلٍ<sup>(٣)</sup> ؛ فإنهم لا يشكُّون أنَّه دَفَعَ عليه بأهلِ الموسمِ أربعينَ عاماً !!  
 قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أتاناً .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غيلة . بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧  
 وفيه قال عيسى بن حاصر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

## (لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو في كتبهم — أن ملوك فارس ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أن بهرام [ جور ] هو المشهور بذلك في العوام .  
وهم يزعمون أن فيروز بن قباد<sup>(١)</sup> الملك الفارسي ؛ ألح في طلب حمار أخدرى ؛ وقد ذكر له ووصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجد في ذلك فُلج به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه<sup>(٢)</sup> ؛ فحطه في خَبَار<sup>(٣)</sup> فجمع جَرامِيزه وهو على فرسه ووثب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ، فخذيه فحطم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عيراً أخدرياً وغير ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا<sup>(٤)</sup> وسمه باسمه<sup>(٥)</sup> وأرخ في سِمه يوم صيده وخلّ سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذي يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وخلّ سبيله ؛ فعرف آخرهم صنيع أولهم ؛ وعرفوا مقدار مقادير أعمارها .

= على فرس عربي أو جمل مهري لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

- (١) ط : « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .
- (٢) ط : « إلا فردا » اقتداراً لخيار الأرض الرخوة ( فحمل عليه ) بإقحام الجملة الموضوعية بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبر بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر فجعلها « خيار » .
- (٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .
- (٤) ط : « متينا » .
- (٥) ط : « وسمه باسم » .



## ( الحكمة في تخالف النزعات والميول )

ولولا أن ناساً من كلِّ جيل ، وخصائص من كلِّ أمة ، يلهجون  
ويكلمون بتعريف معاني آخرين لدرست ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على  
أولئك ، ويعجب الناس من تفرُّغهم لما لا يجدى ، وتركهم التشاغل بما يُجدى ،  
فالذى حبَّب لهذا أن يرصدَ عمرَ حمار أو ورشان أو حية أو ضب ، هو الذى  
حبَّب إلى الآخر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيات ، يتتبعها ويطلبها فى كلِّ  
واد وموضع وجبلٍ للترياقات . وسخرَ هذا ليكون سائسَ الأسد والفهود  
والنمور والبيور <sup>(١)</sup> ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعى غنم !!

والذى فرَّق هذه الأقسام ، وسخرَ هذه النفوس ، وصرف هذه العقول  
لاستخراج هذه العلوم من مدافنها ، وهذه المعانى من مخايبها ، هو الذى سخرَ  
٦٥ بطليموس مع مُلكه <sup>(٢)</sup> ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغ للأُمور السماوية ، ولرعاية  
النجوم واختلاف مسير الكواكب . وكلُّ ميسرٍ لما خُلق له ، لتتمَّ النعمة <sup>(٣)</sup>  
ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبى التيسير للمعاصى <sup>(٤)</sup> .

فأمَّا الصناعات فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكاً ،  
وتقصُر بعضهم على أن يكون صيرفيّاً ، فهى وإن قصرتَه على الحياكة ، فلم  
تقصُرْه على خُلف المواعيد وعلى إبدال الغزول ؛ وعلى تشقيق العملِ دون الإحكام  
والصدق وأداء الأمانة ؛ ولم تقصُر الصيرفى على التطفيف <sup>(٥)</sup> فى الوزن والتغليط

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « البيور » جمع ببر ، وللفريق المعلوم كلام جيد  
فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة  
اليونانيين ، وللفقضى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتمَّ النعمة » .

(٤) ل : « وإنما تأبى التيسير للمعاصى » . والمعترلة يربثون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

في الحساب ؛ وعلى دس المموه ؛ تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

### ( خضوع النتائج المركب للطبيعة )

ولو كان أمر النتائج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأي وما هو أقرب إلى الظن ؛ لكانت الأطلاف<sup>(١)</sup> تجري مجرى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أن قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البعث من العراب ؛ والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس — على شدة غلمته — لا يعرض للنعجة [ إلا بالقليل الذي لا يذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إما ألا يتم خلقه ، وإما ألا يعيش<sup>(٢)</sup> ] ؛ وكذلك السكبش والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاج<sup>(٣)</sup> لأنه قد يضرب الجنس في الجنس الذي لا يلقحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيس للنعجة قليل<sup>(٤)</sup> وأقل من القليل ؛ وكذلك السكبش للعنز ؛ وأقل من ذلك أن تتلاقح<sup>(٥)</sup> ولا يبقى ذلك الولد ألبنة<sup>(٦)</sup> . وقد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل ؛ فادعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان ! !

### ( زعم في الزرافة )

زعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط : « الأخفاف » .

(٢) التكلة من الأمبروزيانا .

(٣) ط : « فيها نتائج » .

(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلاً » .

(٥) في معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .

(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ماعدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريف .

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أنَّ اسمها <sup>(١)</sup> بالفارسية (أشتركاو بلنك <sup>(٢)</sup>) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك » <sup>(٣)</sup> الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرِج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل - وكلُّ ذئبٍ أقزَل - وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشى ؛ ومشيه أن يجمع رجله أبدأً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك <sup>(٢)</sup> اسم فارسيٌّ ؛ والفُرسُ تسمي الأشياءَ بالاشتقاقَات ؛ كما تقول للنعامَة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم في التقدير قالوا : هو طائرٌ وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامَةُ نِتَاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمّوها بذيئك الشيئين . وهم يسمون الشيءَ المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلوٌ حامض . فجسّر القومُ فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً <sup>(٤)</sup> ؛ وجعلوا الخلقَةَ ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يجمي خَلْقُهُ ما بين خلقِ الناقة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض <sup>(٥)</sup> لها الثور الوحشي فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولدُ الناقة ذكراً عرضَ للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر ألبتَّةَ أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافةٍ في الأرض ، فإنما <sup>(٦)</sup> هي

(١) ط : « أسمائها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .

(٣) ط : « يلنك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من النتائج الذي ركبوا ؛ وزعموا أَنَّ ذلك مشهورٌ في بلاد الحبشة ؛ وأقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسل ولا يبقى نجله ولا يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والراعي <sup>(١)</sup> . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتهمون الكتب ، وتغرُّهم كثرة أتباعهم ممَّن تجده مستهتراً بسماع الغريب ، ومُغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع هذا الاستهتار <sup>(٢)</sup> نصيباً من الثبوت ، وحظاً من التوق ؛ لسَلِمَت الكتب من كثير من الفساد .

### ( التتاج المركب في الطيور )

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لي صاحب الطيور : إنه من نتائج ما بين القمرى <sup>(٣)</sup> والفاخنة <sup>(٤)</sup> .  
وقُتِصَّ الطير ، ومن يأتي كلُّ أوقه <sup>(٥)</sup> وغيضة في التماس الصيد ؛ يزعمون أَنَّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقي على المياه فتتسافد ؛ وأنهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها قط ؛ فيقدِّرون أَنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الورداني والزاغبي » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما في ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الديمري : « الفاخنة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من الحمام المطوق ، واشتقاق الفاخنة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه في ل . والأوقه بالضم : محض الطير على رعوس الجبال .

### (زعم بعض الأعراب في الحرباء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عن لقي من الأعراب أنهم زعموا أن ذكر أم حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأم حُبَيْن حُبَيْنَة ، والحُبَيْنَة هو اسمها . قال : وقيس تسمى ذكر العظاءة العَضْرَفُوط . وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإن كان ضباً مَكُوناً . قال : فإذا سام أبرص ، والورل ، والوحر ، والضب والحلكاء ، كلها عنده عظاءة .

### (ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن مُنَجِّم<sup>(١)</sup> أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ أبْنُه فبئس البئى وبئس الأبُ  
وأُمُّك سَوْدَاءُ نُوبِيَّةُ كأنَّ أناملها العنظبُ<sup>(٢)</sup>  
بييتُ أبوك بها مُغْدِفًا<sup>(٣)</sup> كما ساورَ الهرةَ الثعلبُ

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويرى « الحنظب » كما في الديمري ٢ : ٣٩٦ والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديمري والديوان .

(٣) ل : « مغدقا » وفي الديمري : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرسا » كما في الديوان ، أى سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغُ مُعاويةَ بنَ حربٍ مُغلغلةً عن الرجلِ اليماني

أَتَغَضَّبُ أَن يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وترضى أَن يُقالَ أبوكَ زَانِي

فأشهدُ أَن رَحِمَكَ مِن قُرَيْشٍ كَرَحِمِ الفيلِ مِن وَلَدِ الْأَتَانِ (١)

قال كيسان : ولأى شئ قال :

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغي أن يقول : كرحم الفيل من الخنزير . قال أبو عبيدة :

أراد هو التباعد بعينه ، وأنت تريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أن أهل سفينة نوح كانوا

تأذوا بالفأر ، فغطس الأسد عطسة فرمى من منخره زوج سنابير ؛

فلذلك السُّنُورُ أشبهُ شئٍ بالأسد . وسلح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك

الخنزيرُ أشبهُ شئٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغي أن يكون ذلك السُّنُورُ

آدمَ السنابير ، وتلك السُّنُورَةُ حَوَاءُها . [ قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلم

أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ ! ] وصحك [فضحك] القوم .

(١) في ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد »

وأثبت ما في ل ... والأبيات في الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة

كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى في الشعراء لابن قتيبة

٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس

يسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

( شره سعد القرقرة )

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكل عند النعمان مسلوخاً  
بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلب منبته وفي الذئب له ظئر وأخوال<sup>(١)</sup>  
يقول : إن سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام<sup>(٢)</sup> الذي يلتهم الجمر ، يلتقم الحجارة ،  
فيطغى الجمر ويُميع الصخر<sup>(٣)</sup> ، وضرب في أعراقه [نَجْرُ<sup>(٤)</sup>] الكلب الذي  
يرض كل عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلا هو واثق بفتته ، ولا يسيغه  
إلا وهو على ثقة من استمرائه<sup>(٥)</sup> . فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئاً  
إلا ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف .  
ولذلك قال الراجز<sup>(٦)</sup> :

أطلس يُخفي شخصه غبارُهُ في فيه شَفَرَتُهُ ونارُهُ  
فأبو قردودة لم يرد أن الذئب والكلب خالاه ، وأن النعام نجّله ، وإنما  
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالا من  
الذئب . وشبيه ذلك<sup>(٧)</sup> قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نطفَ ٦٨

(١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى يسيل كما في ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهماهما وهي : « ما كان  
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان في البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الحديث عينه فزاره بهم بنى محارب مزداره

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأملاني ( ٣ : ١٢٩ ) والكامل ٢٠٨

والعمدة ( ١ : ١٦٨ ) وديوان المعاني ( ٢ : ١٣٤ ) .

(٧) في الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الخمَّارين<sup>(١)</sup> ، وزنايع الطُّورورة ، وأشباه الخُورولة .

وعلى شبيه بذلك قال سلم بن قُتيبة<sup>(٢)</sup> لبعض من ذكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيُّها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلَّجُ خلقِ الله وأوباشُهُ ، لثامٌ غُدُر ، شرَّ أبون بآنُقَع<sup>(٣)</sup> ، ثمَّ هذا بعدُ في نفسه ، نطفةُ خمَّارٍ في رَحِمِ صَنَّاجة .

### (زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس — وأبو العباس هذا كان ختن إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلَّا بما يجري على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرَّة : أتعرفُ موضعَ الحُظوةِ من خلوةِ النساءِ ؟ . قُلْتُ : لا واللهِ لا أعرفُهُ . قال : بل أعلمُ أن لا يكونَ الحُظُّ إلَّا في نِتاجِ شِكَلينِ متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّي إلى الخِلاص : وهو أن تزوِجَ بينَ هِنْدِيَّةٍ وخراسانيٍّ ، فإنها لا تلدُ إلَّا الذهبَ الإبريز . ولكن احْرُسْ ولدها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذرِ عليها من شدَّةِ لواطِ رجالِ خراسانَ وزنَاءِ نساءِ الهند ، واعلمُ أن شهوتها للرجال على قدرِ حُظوتها عندهم ، واعلمُ أنَّها ستساقُ النساءُ على أعراقِ الخراسانيَّة ، وتزني بالرجال على أعراقِ الهند ، واعلمُ أنَّه ممَّا يزيدُ في زناها ومساحقتها معرفتها بالحُظوة عند الزَّناة ، وبالحُظَّ عند السحاقيات<sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرابون ما نفع لهم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنفع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقَع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنفع . يضرب لمن جرب الأمور أو للدهاء المنكر ، لأن الدليل إذا عرف القلوات حذق سلوك الطرق إلى الأنفع .

(٤) ل : « عند النساء » .



## (مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضرورياً<sup>(١)</sup> من الحق والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أن الشَّبُوط ولد الزَّجْر<sup>(٢)</sup> من البُني ، وأنَّ الشَّبُوط لا يُخلَق من الشَّبُوط ، وأنه كالْبَغْل في<sup>(٣)</sup> تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي واثلة إياس بن معاوية [ بن قرّة ] .

وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت<sup>(٤)</sup> في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبُني ، وأنها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حيناً ، ثم إنها<sup>(٥)</sup> حملت بالشبايط .

## (مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حُرَيْث أنه كان بأيذَج<sup>(٦)</sup> ، فإذا سحابة [ دهماء ] طخياء<sup>(٧)</sup> تكاد تمسُّ الأرض ، وتكاد تمسُّ قِمَم رُءُوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات الجانيق<sup>(٨)</sup> ، وكهدير الفحول في الأشوال ؛ ثم إنها دفعت بأشدَّ مطر رُمي أو سُمِع به ، حتى استسلموا للغرق ؛ ثم أندفعت بالصفادع العظام<sup>(٩)</sup> ، ثم

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالحاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبادي : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حضرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خائماً إنما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أيذَج كَأحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « المجاش » وهي جمع مجش أو مجشة ، وهي الرحى .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبايط السَّمان الحِداال<sup>(١)</sup> فطبخوا واشتَووا ، وملَّحوا وادَّخروا .

### ( غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد )

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبوط كالبلغ ،  
 ٦٩ أن الناس لم يجدوا في طول ما أكلوا الشبايط في جوفها بيضاً قط . فإن كان  
 هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب الفراسة  
 ودقة الفطنة صحيحاً ، فما أعظم المصيبة علينا فيه ، وما أخلق الخبر أن  
 يكون صحيحاً ؛ وذلك أني سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان  
 وأقسام الأجناس ، يدلُّ على أن الرجل حين أحسن في أشياء وهمه العُجبُ  
 بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه من نفسه الذي غرَّ الخليل  
 ابن أحمد ، حين أحسن في النحر والعروض ، فظنَّ أنه يُحسن الكلام  
 وتأليف اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابين لا يُشير بهما ولا يدلُّ عليهما إلا  
 المِرَّةُ المحترقة ، ولا يؤدِّي إلى مثل ذلك إلا خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ  
 الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيء .

### ( بيض الشبوط وتناسله )

والشَّبوط — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا  
 يكون إناثه أيضاً يجمعُ البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الحِداال » كما في ل . والحِداال : جمع خدلة ، وهي  
 المتلثة الأعضاء لحما في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشَطَرُ بَيْضِ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ  
لِلتَّعَرُّفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسْأَلُهُ فَهُوَ يُدْنِيكَ  
أَنْ لَهُ بَيْضاً ، وَاسْكَنَّهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَيْلًا قَلِيلاً ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ  
الْعَدَدِ مِنْ أَقَلِّ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنْثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

### (موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطُ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ  
رَأْمَهْرْمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّنَى فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ  
وَالْأَنْهَارِ ، وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَلَا أَعْدَبَ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ  
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَنَسْأَلُكَ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا  
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### (رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبْ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَّبُوا عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ  
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَّبَ عَلَى الْمَوْتِ  
وَأَسْتَشْهَدُ الْغُيِّبَ أَحَدُكُمْ ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحِيلَةِ ،  
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ  
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقَدْ » وَالْوَجْهُ مَا ثَبِتَ . مَا عَدَلَ « بَعْضُ » .

(٢) ل : « وَإِذَا » .

(٣) انْظُرْ ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأى بقرى ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

### ( رأى للفرس في تقسيم الحيوان )

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذى يلد حيواناً مثله مما يمشى على أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميس عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل .

### ( زعم في الإبل )

والناس يقولون في الإبل أقاويل عجيبة : فمنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سفاد الجن ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين<sup>(١)</sup> فجعلوا المثل والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحَارِبٌ      تغنّت شياطين وجنّ جنونها

---

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لا تقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتنا من نواحي الشيطان في أخلاقها وطبائعها . وفي حديث آخر : « لاتصلوا في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي : المأثور من السيوف الذي يقال : إِنَّ الْجَنَّ عَمِلَتْهُ .  
وهم يسمُّون الكبير والخُسْرُوانَةَ والنَّعْرَةَ التي تضاف إلى أنف المتكبر  
شيطاناً ، قال عمر : حتى أنزعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزع النَّعْرَةَ التي في  
أنفه<sup>(١)</sup> . ويسمُّون الحَيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطاناً ، وهو قولهم : شيطان  
الحماطة<sup>(٢)</sup> . قال الشاعر :

تعالج مَنَى حَضْرِيَّ كأنه تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بَدَى خِرُوعٍ قَفَرٍ<sup>(٣)</sup>  
شِبَّهَ الزَّمَامَ بِالْحَيَّةِ . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناع كأنها حباب بكف الشاؤم أسطع حشر<sup>(٤)</sup>  
والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم<sup>(٥)</sup> . وقد نهى عن الصلاة عند  
غيوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتامَّ ذلك . وفي الحديث :  
« إِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » .

### ( ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم )

فللعرب أمثال واشتقاقات وأبنية ، وموضعُ كلام يدلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويلسل.  
أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب  
القاموس يفسد الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهزمة وبالتحريك ، وإذا كانت  
بمعنى الذباب كهزمة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبل أو الأسود الصغير  
أو الجميز . عن القاموس .

(٣) ط : « تماجج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب ( شطن ) ..  
ونسبه الجاحظ في ٤ : ١٣٣ إلى طرفه .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفي ل : « أسطع جسر » ولعل في البيت تحريفاً .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمه أيوم . وانظر  
معجم المخطوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخر ، ولها حينئذ دلالات أخر ؛ فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ؛ فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك .

### (الإبل الوحشية)

وزعم ناس أن من الإبل وحشيًا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك<sup>(١)</sup> ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض وبار ؛ لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فآلمهريئة من ذلك النتائج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشية هي الحوش ، وهي التي من بقايا إبل وبار ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عاد وثمود والعاقلة وطسم وجديس وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي<sup>(٢)</sup> فإن سقط إلى تلك الجيزة بعض الخلعاء<sup>(٣)</sup> ، أو بعض من أضل الطريق حث<sup>(٤)</sup>

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطار المكان يطره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط : « لا يطردها أحد » . قال في القاموس : « وطردهم : أتيهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما في ط : تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حاء » .

الجن في وجهه ؛ فَإِنَّ الْحَّ خَبَلْتَهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشُ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛  
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهِيَّةُ .

وَأَنشَدَنِي سَعْدَانُ الْمَكْفُوفُ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِلَّا بِلِي عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَوَاوَيْسِ الذَّهَبِ  
وَقَالَ الْآخَرُ (٤) :

إِذَا اصْطَلَكْتُ بِضَيْقِ حَجَرَتَاهَا تَلَا قِي الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ  
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ صَاحِبَةً يُزِيدُ بْنُ الطَّائِرِيَّةِ حُوشِيَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥) .

وَقَالَ رُؤْبَةُ :

جَرَتْ رَحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الرحوش » .

(٢) ط : « وَأَنشَدَ ابْنُ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفُ » وَكُتِبَتْ مَا فِي ل و س . . . وَسَعْدَانُ  
هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عُثْمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ لِلْسَّيْطِيِّ ٤ : ٢  
وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ ، وَنَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ ٢٠٦ ، وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ  
وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ  
سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْقُرَاءِ وَلَهُ كِتَابُ مُصَنَّفٍ فِي النَّحْوِ ، وَتَوَفَّى  
سَنَةَ ٢٣١ ، وَلَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ ٤٥ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ ، وَالنَّزْهَةُ ٢١٢ .  
وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مَنِهَا مُحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْعَتَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجُوهُ لَهُ بِهَذَا الْوَصْفِ  
انْظُرْ فَهْرَسَ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْسَكُ وَ ٧٢ مِصْرَ وَابْنُ خُلَيْكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمُ  
الزَّرْكَلِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خُلَيْدٍ الْأَعْرَابِيُّ الشَّاعِرُ ، وَتَوَفَّى  
سَنَةَ ٢٤٠ .

(٤) هُوَ عَاهَانُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ كَمَا فِي اللِّسَانِ (لَطَمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ لِأَبْلِ  
مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْمَسْجِدُ ؛ وَقَالَ ابْنُ بَرِّ : الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ .  
وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْعِيرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسْكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س و ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالرَّحَى : جَمَاعَةُ الْإِبِلِ . وَفِي ط وَلِلْمَعْدَةِ  
٢ : ٢٠٥ « رَجَالًا » . وَرِوَايَةُ اللِّسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

### (رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مُطَرِّوا الشَّبُوط ، فإنه لما ظنَّ أنَّ الضفادع التى تُصَابُ بِعَقَبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌّ ولا عينٌ ولا شريعة - فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهْناء والصَّمان<sup>(١)</sup> - ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنَّ السمك ؛ ثم جسرَ فجعلَ السمكَ شَبُوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شئٌ يُخلَقُ تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمان وتلك التُّربة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

### (امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابة التى تكون فى رأى العين بين الشكليين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلاقح ؛ كالضأن والمعر ، وكالفأر والجُرْذَان ، فليس بالعجب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيكة ؛ وهو الذى تَخَلَّقَ من بين المولِّدات والهِنديَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مسعدة ؛ دجاجة ووُزنَ فيها سبعة عشرَ رطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

(١) ط : « الدور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب

ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة

ذات حجارة إلى جنب رمل .



## (أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلامى من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،  
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .  
ورأينا البيسرى<sup>(١)</sup> من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛  
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجيء أحسن  
وأملح . وهم يسمون<sup>(٢)</sup> الماء إذا خالطته الملوحة بيسراً<sup>(٣)</sup> قياساً على هذا ٧٢  
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديات . ورأينا الخلامى من الكلاب ؛  
وهو الذى يُخلق بين السلوقى وكنب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزنى  
والقلطى<sup>(٤)</sup> ، ومن كلاب الدور والحرّاس . وسنقول فى السمع<sup>(٥)</sup> والعسبار ؛  
وفى غيرهما من الخلق المركب إن شاء الله تعالى .

## (أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنّهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أولها  
سرّوحير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أنّ  
لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُربى<sup>(٦)</sup> عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول  
علماء العرب .

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :

القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « ترزى » .

### (أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماشٍ ويزال وجذعان<sup>(١)</sup> ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعين فتًى من فتیانِ قريش وثقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصوا عشرين من قريش ، وعشرين من ثقيف ، وتوخوا المتجاورين في المحلة والمتقاربين في الدُّور من الموقرين على النبيذ ، والمقصورين على التناؤم ، وأنهم أحصوا مثل ذلك العدد وأشباه أولئك في السن ممن لا يذوق النبيذ ولا يعرفُ شراباً إلا الماء ، فذكروا أنهم وجدوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامتهم ، وكانوا قد بلغوا في السن . أما عثمانُ ويزال<sup>(٢)</sup> فكانا من المعمرين ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا الباب في موضعه من ذكر المعمرين ، ونميز الصدق فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

### (بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البول في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدُهم ممتلئاً من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط في شهوته وشدة النهم .

ويعرض لهم أيضاً إثثار المَخْفِس<sup>(٣)</sup> وحبُّ الصِّرف ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذال وجذعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « الحبس » وليس بشيء . وفي ل : « المخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإمكان .

مما يعرض للنساء ، والإفراط في شهوتهنَّ وشدة الهمة لهنَّ والغيرة عليهنَّ .  
ويجتلمون ، ويحسبون ويغتسلون ، ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ ، الذي  
له ريح طلع المَحَال<sup>(١)</sup> .

ويعرض للخصيَّ شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم  
أو مال كثير أو جاهٍ عريض ، حتى ربما كان عند مولاه بعض من عسى  
أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصيُّ كلفاً بهم وبتعظيمهم ،  
ومُعزماً بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعدِ الهمة وكرم الشِّمة ،  
فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمال إلى متِّكياً  
٧٣ هذا الأديب الكريم ، والحسيب الشريف ، فيزعه من تحت مِرْفَقِهِ ،  
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع  
المرافق بعيداً ، أو<sup>(٢)</sup> كان ذلك ممَّا يفوت بعض القوت ، ويفعل ذلك  
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك  
الموسر وصاحب الجاه أبداً<sup>(٣)</sup> .

### ( أقوال في منع خِصاء الخليل وإباحته )

وقد حرَّم بعضهم خِصاء الخليل خاصَّة ، وبعضهم زاد على ذلك حتى  
حرَّم خِصاء البهائم . وقال بعضهم : إذا كان الخِصاءُ إنما اجتلبه فاعله  
أو تسكَّفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخِصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القول من ل .

فذلك جائز ، وسبيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وألمه يجوز كل ألم .  
وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم  
في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القصواء ناقة النبي  
صلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

### ( أقوال في وسم الحيوان )

وقال آخرون : الحصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الحصاء من شدة  
الألم ، ومن المثلة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،  
والنقص لمواد القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الآلية أشبه  
والسمة إنما هي لدعة ، والحصاء مجاوز لكل شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الآلية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة  
من اللحاق بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطع الآلية في جواز  
القول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ  
فيه لرب المال ، وقطع الآلية من شكل الختان ، ومن شكل البط (٣)  
والفصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ،  
ومن جنس السكى عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شلة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطلة : المبضع .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم .

## ( وسم الابل )

قال الأولون : بل<sup>(١)</sup> لعمرى إنَّ للإبل في السمات لأعظم المنافع ؛ لأنها قد تشرب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تَضِلُّ فتُؤَوَّى ؛ وتُصاب في الهواشات<sup>(٢)</sup> فتُرَدُّ .

قالوا : فإننا لانسألكم إلا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أن ننعّمها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألا يحتاج إليه من ألفٍ بعيرٍ بعيرٍ واحد ؛ ثم عسى ألا يحتاج [ من جميع ] ذلك في جميع عمره [ إلا ] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النعم السائمة كالرقوم في ثياب البرّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقوم ومُنِعَت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلَطت ٧٤ أمكنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسه دون المعيشة<sup>(٣)</sup> والهضيمة .

وقالوا : ليس قطعُ الألية كالحجّمة وكالشيء المصبور ، وقد مُهِينا عن إحراق الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الألية من شكل قطع العروق ، وصاحبُ الحجّمة يقدر أن يرمي - إن كان به تعلمُ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُنّه عن تعذيبه ، فَأ<sup>(٤)</sup> يَرُدُّ الشيء المصبور من العذاب مرّداً بوجه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف مافى ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطأ الصعبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

( القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو تقضها أو إيلاها )

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث في جميع الحيوان حدثاً من نقصٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لا تملك الذئاة <sup>(١)</sup> ، ولا يمكنك التعويض له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عز وجل ، حل لك من ذلك ما كان لا يحل . وليس لك في حُجَّة العقل أن تصنع بها إلا ما كان به مصلحة ، كعلاج الدَّبر <sup>(٢)</sup> وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنع كل ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، ممَّا لم يكن مدفوعاً <sup>(٣)</sup> عند بعضهم ، إلا أن يكون نَهْيُ ذلك البعض من جماعتهم <sup>(٤)</sup> ، في طريق الخلاف والرد والمفارقة . ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكالف يَعْرِفُ وجه الملام . والمذهب في ذلك معروف <sup>(٥)</sup> ، وإن كان خارجاً من ذلك الحد ، فقد علمنا أنه أُبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القمل والبراغيث والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالقُ الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مرفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوَّغَ في العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح  
البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ ذى ] أذى <sup>(١)</sup> حكم الله تعالى فيه  
بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمور وبحكم المختلف والمتَّفِق ،  
والقليل من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق  
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطواع الولد .

والجواب الماضي إنما هو <sup>(٢)</sup> قول من قال بالتعويض ، [ و ] هو قول  
المنظَّم . وأكثرُ المتكلمين يعترِضون عليه فيه .

### ( منع خصاء الإنسان وإباحته )

ولا يزال — يرحمك الله تعالى — بعضُ الملحدِّين من المعاندين ، أو بعضُ  
الموحِّدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعنَ في ملكِ الخصى وبيعه ٧٥  
وابتياعه ، ويذكرون الخصى <sup>(٣)</sup> الذى كان المقوقس عظيمُ القبط أهلاه إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أمَّ إبراهيم عليه السلام .  
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خصىً بعد أن عرفه وأحاط علمُه  
بأنَّه خصىٌّ ، وأنتم ترعمون أنَّ الحِصاء حرام ، وأنَّ من اشترى من الخاصى  
خصياً ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الحِصاء وحثَّ عليه ،  
ورغَّب فيه ، وأنَّه من أفحش الظلم وأشدَّ القسوة ، وزعمتم أنَّ من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريك الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقتلتم : وكذلك من شهد القمار<sup>(١)</sup> وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقتال الديوك ، وأصحاب المزارحات<sup>(٢)</sup> وحرب الفئتين الضالّتين . وقتلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النظّارة لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشّطر ، لغلبة الرياء والسُّمعة على قلوب الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة لهذه العلة ، والبائع يزيد فى السّوم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النّبي صلى الله عليه وسلم قد قبل له من المقوقس ، كما قبل مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهم - فهّمك الله تعالى - ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفق ، وعلى الله قصدُ السبيل .

أقول : قبل كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أن يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنّه قبله منه بعد أن علم أنّه خصىُّ ، وعلى أن قبول الهدية خلافُ الابتىاع ؛ لأنَّ بائعَ الخصيِّ إنّما يحرم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاع إنّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجلّ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدّه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفحل سومه بالخصي . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيلُ البيع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المزارجات » .



لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنما هديّة الخصى كهدية الثوب والمِعْطَر ، والدابة والفاكهة . ولأنّ الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه ، بل لا يحلُّ طرده ونفيه ، وعتقه جائز ، وجواز العتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلب الزيادة ، أو لو تاب من الخِصاء أو استحلّه مما أتى ٧٦ إليه ، لمّا حرم على الخاصى نفسه استخدامه . والخصى مالٌ ومالك ، واستخدامه حسنٌ جميل ؛ ولأنّ خِصاءه إيّاه لا يعتقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وجب به ملكه <sup>(١)</sup> .

وأخرى : أن في قبول هديّة ذلك الملك ، وتلقّى كرامته بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضاً : أن زنباعاً الجذامى ، خصى عبداً له ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربما سألوا عن الشيء وليس القول فيه يقع في نسق القول في الخصى ، وفي الخلق المركّب ، ولكن إذ قد أجبنا في مسألة كلاميّة من مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أن العرب لم يسموا حروب أيّام الفِجَار بالعجور <sup>(٢)</sup> ، وقريش خاصّة ، إلا أن القتال في البلد الحرام ، في الشهر الحرام كان عندهم فجوراً ، وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالعجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ، وقال : « شَهِدْتُ الْفَجَارَ فَكُنْتُ أَنْبُلُ عَلَى عَمَوْتِي » .

وجوابنا في ذلك : أَنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، طَالَبُوا أَهْلَ الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةَ ، بِجَرِيرَةِ الْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسٍ ، فِي قَتْلِهِ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ مَنْ لَمْ يَجْزِ وَمَنْ لَمْ يَعَاوُنْ ، وَأَنَّ الْبَرَّاضَ بْنَ قَيْسٍ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَلِيعاً مَطْرُوداً ، فَأَتَوْهُمْ إِلَى حَرَمِهِمْ يُلْزِمُونَهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِمْ ، فَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَعَنْ ذُرَارِيهِمْ ، وَالْفَاجِرُ لَا يَكُونُ الْمُسْعَى عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ أَشْهَدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ ، وَبِهِ نَصَرُوا كَمَا نَصَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى فَارَسَ يَوْمَ ذِي قَارٍ ، بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبِمَخْرَجِهِ . وَهَذَانِ جَوَابَانِ وَاضِحَانِ قَرِيبَانِ ، وَاللَّهُ الْمَوْقُوفُ لِلصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتَبُ .

### (محاسن الخصى ومساويه)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الْخَصِيِّ وَمَسَاوِيهِ <sup>(١)</sup> .  
الْخَصِيُّ يَنْكَحُ وَيَتَّخِذُ الْجَوَارِيَ وَيَشْتَدُّ شَغْفَهُ بِالنِّسَاءِ ، وَشَغْفُهَا بِهِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَجْبُوبَ الْعَضْوِ فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا . وَقَدْ يَحْتَلِمُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ عِنْدَ الْوُطْءِ مَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ، مُتَغَيِّرُ الرِّيحِ ، رَقِيقٌ ضَعِيفٌ . وَهُوَ يَبَاشِرُ بِمَشَقَّةٍ ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ الْمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْمَقْدَارِ <sup>(٢)</sup> لَا يَخْرِجُهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الضَّعْفِ ،

٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوي للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْمَقْدَارِ » .

مثل الذي يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخثر، وأكثر، وأحد ربحاً، وأصبح جوهراً .

والخصيُّ يجتمع فيه أمنيَّةُ المرأة، وذلك أنَّها تبغض كلَّ سريعٍ الإراقة، بطيء الإفاقة، كما تذكره كلَّ ثَقِيلِ الصدر، وخفيف العجز، والخصيُّ هو السريع الإفاقة، البطيء الإراقة، المأمونُ الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معه، وهي آمنة العار الأكبر، فهذا أشدُّ لتوفير لذتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الحِصيان، وحَقَرْنَ العبيد، وذَهَبَتِ الهيبةُ من قلوبهنَّ، وتعظيمُ البعول، والتصنعُ لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكَلُّفِ الحجل، ظهر كلُّ شيءٍ في قوى طبائعهنَّ وشهواتهنَّ، فأمكنها النَّخير<sup>(١)</sup> والصِّيَّاح، وأن تكون مرَّةً من فوق، ومرَّةً من أسفل، وسمحت النفسُ بمكنونها، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجدد في النساء مَنْ تَوَثَّرَ النساءُ، وتجدُ فيهنَّ مَنْ تَوَثَّرَ الرجالُ، وتجدُ فيهنَّ مَنْ تَوَثَّرَ الحِصيانُ، وتجدُ فيهنَّ مَنْ تَجَمَّعَ ولا تفرَّقُ، وتعمُّ ولا تخصُّ، وكذلك شأنُ الرجال في الرجال، وفي النساء والحِصيان . فالمرأةُ تنازِعُ إلى الخصى لأنَّ أمره أسترُّ وعاقبته أسلم، وتحرصُ عليه لأنَّه ممنوعٌ منها، ولأنَّ ذلك حرامٌ عليها، فلها جاذبان : جاذبٌ حرصٍ كما يُحرصُ على الممنوع، وجاذبٌ أَمْنٍ كما يُرغبُ في السلامة . وقال الأصمعي : قال يونس ابن عبيد<sup>(٢)</sup> : لو أخذنا بالجُرْعِ لصَبَرْنَا<sup>(٣)</sup> . قال الشاعر :

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى في عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعتة يقول : قولوا له إني نائم - يريد سائماً - فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمُنًا<sup>(١)</sup>  
والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لا يَقْدِرُ على الاحتِجَازِ منه ، والاحتراسُ من  
خُدَعِهِ ، إِلَّا كُلُّ مَبْرُزٍ فِي الْفُطْنَةِ وَمَتْمَهْلٌ [ فِي ] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلُ التَّجَارِبِ ،  
فَاضِلُ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ . وَبُئْسَ الشَّيْءُ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا :  
صَاحِبُ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكُمْ أَعْظَمُ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا  
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ<sup>(٢)</sup> الْخَبِرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا صَادَفَ مِنَ  
السَّمَاعِ قَلَّةَ تَجَرِبَةٍ ، فَإِنَّ قَرْنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجَرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفِظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ  
الْخَبِرُ السَّابِقُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ دُخُولًا سَهْلًا ، وَصَادَفَ مَوْضِعًا وَطِينًا ، وَطَبِيعَةً  
قَابِلَةً ، وَنَفْسًا سَاكِنَةً ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسوخًا لَاحِظَةً  
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفَتَيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفَتَيَاتِ ، فِي وَقْتِ  
الْغَرَارَةِ ، وَعِنْدَ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ  
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفَتَيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَهَنَّاكَ سُكْرُ  
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُم بِالْغُلَامِ الْغَرِيرِ  
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغُلَامُ فَتًى أَبَدًا حَتَّى يَصَادِقَ فَتًى [ وَإِلَّا فَهُوَ تَكْشَشٌ ،  
وَالْتَكْشَشُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُؤَدِّبْهُ فَتًى وَلَمْ يُخْرِجْهُ ] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،  
بِأَسْرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغُلَامِ أَدْنَى هَوًى فِي

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو مأثبت . وفي عيون الأخبار

٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت

للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كَمْ مِنْ دَنَى لَهَا قَدْ صَرَتْ أَتْبَعَهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوة<sup>(١)</sup> ، وأدنى داعية إلى المنالة<sup>(٢)</sup> . وكذلك إذا خلت العجوز  
المدربة<sup>(٣)</sup> بالجارية الحديثة [ كيف تحلبها . وأنشدنا :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ بِأَصْنَافِ اللَّعْبِ  
تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتَنَاهَى عِنْدَ سَوَارَاتِ الْغَضَبِ ]

وقال الشاعر<sup>(٤)</sup> فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نَقُلْ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ  
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

وقال مجنون بني عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أُعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَمَتَكْنَا

### ( أثر التكرار في خالق الإنسان )

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طول وقوع البصر على  
الإنسان الذي في طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله . وطول التذاني ،  
وكثرة الرؤية هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الحسن : لم زَينيتِ بعينك ولم  
ترَني بجر<sup>(٥)</sup> ، وما أغراك به ؟ قالت : طولُ السَّواد ، وقُربُ الوِساد .

ولو أن أقبح الناس وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدرية » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم ترَني بجر » والوجه ما كتبه . وابنة الحسن هي هند . ولها أخبار

كثيرة في البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّن من كلامها ، ومكَّنته من سَمْعها :  
 واللهِ يامولائي وسيدتي ، لقد أسهرت ليلى ، وأرقت عيني ، وشغلتنني عن  
 مُهمٍّ أُمري ، فما أعقلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقْضِ طِبَاعَهَا ، ولفسخ  
 عَقْدَهَا ، ولو كانت أبرعَ الخلقِ جِلالاً ، وأكملهم كمالاً ، وأملحهم ملحاً .  
 فإنَّ تَهِيّاً مع ذلك من هذا المتعشِّق ، أنْ تدمع عينه ، احتاجت هذه المرأة  
 أن يكون معها وَرَعٌ أمَّ الدرداء ، ومُعَاذَةُ العدويّة ، ورابعةُ القيسيّة ،  
 والشجاء<sup>(١)</sup> الخارجيّة .

### ( زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه )

وإنَّما قال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : « اضربوهنَّ  
 بالعُرَى » لأنَّ الثيابَ هي المدعاةُ إلى الخُروج في الأعراس ، والقيام في  
 المَناحات ، والظهور في الأعياد ، ومتى كثر خروجُها لم يعدَها أن ترى من  
 هو من شكل طبعها . ولو كان بعُلُها أتمَّ حسناً ، وألذَى رأتْ أنقصَ حسناً ،  
 لكان مالا تماكه ، أطرفَ ممَّا تملكُه ، ولِكان ما لم تنلُه ، ولم تستكثِر  
 منه ، أشدَّ لها اشتغالا وأشدَّ لها اجتذاباً . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ وللعين مَلْهُىً بالتَّلَادِ ولم يقْدْ هوى النفسِ شَيْءٌ كاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ<sup>(٢)</sup>  
 وقال سعيد بن مسلم : لأنَّ<sup>(٣)</sup> يرى حرمتي ألفُ رجلٍ على حالٍ تكشف

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأمالي

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقْدْ » بدل « لم يقْدْ » و « كاقْتِيَادِ » موضع « كاقْتِيَادِ » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى حُرْمَتِي رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضرُّكَ حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّكَ إذا أتبعْتَها بَصْرَكَ ، وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّكَ لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان الَّذي رأيتَ منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنَّى ، فإذا انقضى ما هو فيه مِنَ المني <sup>(١)</sup> ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن عليه من [ فقدَها إلّا مثلاً ] فقد ما رآه في النوم ، أو مثَّلته له الأمانى <sup>(٢)</sup> .

### ( عقيل بن علفة وبناته )

وقيل لعقيل بن علفة <sup>(٣)</sup> : لو زوّجْتَ بناتِكَ ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وَضْعٍ إذا لم يكنَّ غانيات !! قال : كلا ، إِنِّي أُجِيعُهُنَّ فلا يَأْشُرْنَ ، وَأُعْرِيهنَّ فلا يظهَرْنَ <sup>(٤)</sup> !! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبي صلى الله عليه وسلم [ ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعِينُوا عليهنَّ بِالْعُرَى . وقد جاء [ في الحديث : « وفَرُّوا أشعارهنَّ فَإِنَّ [ ترك الشعر مَجْفَرَةٌ <sup>(٥)</sup> .

(١) ط : « . . . كالحلِسة إذ كان ذلك يقضى ما فيه من المني » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغاني ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يَأْشُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يظهَرْنَ » بدل « يظهَرْنَ » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان ( جفر )

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذي ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأوّل الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

### ( بعض ميول الخصيان )

وقد رأيتُ غيرَ خصيٍّ يتلوّط ، ويطلب الغلمان [ في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم ] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول <sup>(١)</sup> ، ويتمشى مع الشطار .

وقد كان في قطعةِ الربيعِ خصيٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملكٍ يمينه ، وفي حُرْمه من بنتٍ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخلصُ شيئاً دونَ شيء ، فأشرفَ ذاتَ يومٍ على مربدٍ له ، وفي المربدِ غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدَي شاةٍ وركبها من مؤخرها يكومُها ، فلما أبصره برقٌ وبَعِل <sup>(٢)</sup> وسقطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوُّ له <sup>(٣)</sup> لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبه ، فكيف وإِثما عاينَ أَلذِي عاينَ فيمن كان يخلُفه في نسائه من حُرْمه وملكِ يمينه . فبينما الرجلُ وهو واجم [ حزين <sup>(٤)</sup> ] ، وهو ينظر <sup>(٥)</sup> إليه [ وقد تحرقَّ عليه غيظاً ] إذ رَفَعَ الخصى رأسه ، فلما أثبتَ مولاهُ مرَّ مُسرِعاً نحوَ باب الدار ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذي رآه منه

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولا وجه له . . وأما ( بعل ) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .



موضِعاً لَا يُصْعَدُ [إِلَيْهِ] ، فَحَدَّثَ لَشَقَائِهِ أَمْرٌ لَمْ يَجِدْ مَوْلَاهُ [مَعَهُ] <sup>(١)</sup> بُدْأً مِنْ صُعُودِهِ ، فَلَبِثَ الْخَصِيُّ سَاعَةً يَنْتَفِضُ مِنْ حُمَّى كَبِثَتْهُ ثُمَّ فَاظَ ، وَلَمْ يُمَسِرْ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقَبْرِ .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالحسرة التي نالتهم ، وبالأسف الذي دخلهم ، أبغضوا الفحول بأشد من تباعض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس بين الحاسد الباغى وبين أصحاب النعم المتظاهرة ، ولا بين الماشئ المعنى وبين <sup>٨٠</sup> راكب الهملاج الفاره ، ولا بين ملوك صاروا سوقاً ، وبين سوق صاروا ملوكاً ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الجيران والمتشاكسين في الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الخصيان للفحول <sup>(٢)</sup> .

وبُغضُ الخصى للفحل من شكل بُغض الحاسد لذى النعمة ، وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات .

### (نسك طوائف من الناس)

ولرجال كل فن وضرب من الناس ، ضرب من النسك ، إذ لا بد لأحدهم من النزوع ، ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الخصى غزو الروم ، لما أن كانوا هم الذين خصّوهم ، ولزوم أذنة والرباط بطرسوس وأشباهاها . فظن عند ذلك أهل القراصة أن سبب ذلك إنما كان لأن الروم لما كانوا هم الذين خصّوهم ، كانوا مغتاظين عليهم <sup>(٣)</sup> ، وكانت

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكسين » و « التنفير » موضع « الشنف » و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغاظين عليهم » .

متطلبَةً إلى التشفّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفّى شدّة الاعتزام على قتلهم ،  
وعلى الإنفاق في كلّ شيء يبلغ منهم . ونسكُ الخراسانيّ أن يُحجَّ : ونسكُ  
البنوي<sup>(١)</sup> أن يدع الديوان . ونسكُ المغنيّ : أن يُكثر التسييح وهو يشربُ  
النبيذ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في جماعة . ونسكُ  
الرافضيّ : إظهارُ ترك النبيذ . ونسكُ السّواديّ تركُ شرب المطبوخ فقط .  
ونسكُ اليهوديّ : إقامة السبت . ونسكُ المتكلم : التسرّع إلى إكفار أهل  
المعاصي ، وأن يرمي الناسَ بالجبر ، أو بالتعطيل ، أو بالزندقة ، يريد أن  
يوهم أموراً :

منها أن ذلك ليس إلّا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن  
يقال : لو كان نطفاً ، أو مرتاباً ، أو مجتنحاً على بليّة<sup>(٢)</sup> ، لما رمى الناسَ ،  
ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلّا للعزّ الذي في قلبه ، ولو كان  
هناك من ذلّ الرّيبة شيء لقطعه ذلك [ عن ]<sup>(٣)</sup> التعرّض لهم ، أو التنبيه على  
ما عسى إن حرّكهم له أن يتحرّكوا . ولم نجد في المتكلمين أنطفَ ولا أكثرَ  
عيوباً ، ممّن يرمي خصومه بالكفر .

### (أبو عبد الله الجّاز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجّاز ، وهو محمد بن عمرو<sup>(٤)</sup> ، يتعشّق جاريةً

(١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محرّكة »  
وفي رسائل الجاحظ ١٥ ساسي مايفيد أنهم من خراسان . . وهي في ط :

« الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفي ل : « محتجنا » بدل « مجتنحنا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجناً خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيَان ، وكان لهم خَصِيٌّ يحفظها إذا أرادت بيوت المغنّين ،  
وكان الخصىُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمّاز ، وكان قد حال بينه وبين كلامها ، ٨١  
والدنوّ منها ، فقال الجمّاز [ وكان اسم الخادم سنانا ] :

ما للمقيتِ سِنَانٍ وللطّباءِ المِلاحِ  
لبئسَ زانٍ خَصِيٌّ غارٍ بغير سلاح<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداء لظبيِّ يحبُّني وأُحِبُّهُ  
من أجلِّ ذاكِ سِنَانُ إذا رآني يَسُبُّهُ  
هَبْهُ أجابَ سِنَاناً يَنِيكُهُ أين زُبُّهُ

وقال أيضاً فيهما :

ظيُّ سِنَانُ شريكِي فيه فبئسَ الشريكُ  
فلا يَنِيكُ سِنَانُ ولا يَدَعُنَا ننيكُ

( ما قيل من الشعر في الخصاء )

وقال البأخرزي<sup>(٢)</sup> يذكرُ محاسنَ خِصالِ الخَصِيان :

ونساء لمطمئنٌ مُقيمٌ ورجال إن كانت الأسفار

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها  
وانحدر فوات فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصي بزنان » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب فيما كتبت .

وانظر المحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدال والأميروزيانا : « الماخوري » .

[ وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهاء تخصي حمارها      بغي من بغي خيراً إليها الجلامد<sup>(١)</sup> ]

وقال مزرد بن ضرار :

[ فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة      ولا جاجة منها تلوح على وشم<sup>(٢)</sup> ]

وقال عمرو الخاركي<sup>(٣)</sup> :

إذا لام على المرد نصيح زادني حرصا

ولا والله ما أفلح ما عمّرت أو أخصي

وقال آخر<sup>(٤)</sup> :

رماك الله من أير بأفعى      ولا عافاك من جهد البلاء

جزاك الله شرّاً من رفيق      إذا بلغت بي ركب النساء

أجنبنا في الكريهة حين نلقى      وما تنفك تنعظ في الخلاء

فلا والله ما أمسى رفيقي      ولولا البول عوجل بالخصاء

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التي لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحييت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء مستحييا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة في يدها » . والبيت في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحل حاجة      ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان في مادتي ( جوج ) و ( عوج ) ومن الصحاح ( جوج ) ، ومن أمثال الميداني ( ١ : ١٥٠ ) مع نسبته إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في ( خارك ) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر

في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قحذمُ أبْنُ واهِصَةَ الْخُصَى      يرجو المناكحَ في بني الجارود<sup>(١)</sup>  
ومِن انتكاسِ الدهرِ أنْ زُوِّجَتْهَا      ولكلِّ دهرٍ عَثْرَةٌ بِجُدُود<sup>(٢)</sup>  
لو كان منذرٌ إذ خطبت إليهم      حيًّا لكان خَصَاكَ بالمغمود ٨٢  
وقال أبو عبيدة : حدَّثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدِبُ  
فسقط في بئرٍ فذهبت حَدَبَتُهُ وصار<sup>(٣)</sup> آدَرُ فُقَيْلٍ لَهُ : كيف تَجِدُكَ<sup>(٤)</sup> ؟  
[ فقال ] : الَّذِي جَاءَ شَرٌّ مِنْ الَّذِي ذَهَبَ !

وأبو الحسن عن بعض رجاله<sup>(٥)</sup> قال : خرج معاويةُ ذاتَ يومٍ يمشي  
ومعه خَصِيٌّ لَهُ ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنةِ بحدل<sup>(٦)</sup> وهي أُمُّ يزيد ،  
فاستترت منه فقال : أُنْستَرينَ منه ، وإِنَّمَا هو مثْلُ المرأةِ ؟ قالت :  
أُتْرَى أَنْ المِثْلَةَ بِهِ تُحِلُّ ما حَرَّمَ اللَّهُ تعالى ؟ !

## ذكر ما جاء في خصاء الدواب

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبي قال : قرأت كتابَ عمر رضي الله

(١) ط : « مخدوم » وهما تحريف ما أثبت من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ، وهو الدق . وانظر اللسان ( وهص ) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ما أثبت . والجدة : الخط .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بحدل » وإِنَّمَا هو « بحدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة ( ٣ : ٥٩٣ بولاق ) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أَذْنَابِ الْخَيْلِ وَأَعْرَافِهَا ، وعن خِصَائِهَا ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُجَرِّىَ مِنْ رَأْسِ الْمَائَتَيْنِ .. وَهُوَ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ .

وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو (١) أَنَّ عَمْرًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ خِصَاءِ الْبَهَائِمِ وَيَقُولُ : هَلِ الْإِنْعَاءُ إِلَّا فِي الْذَكَورِ .  
وَشَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّ عَمْرًا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَهَى عَنْ خِصَاءِ الْخَيْلِ .

وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ قَالَ : كَتَبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِبَعْضِ عَمَلِهِ : لَا تُجَرِّينَ فَرَسًا إِلَّا مِنَ الْمَائَتَيْنِ ، وَلَا تُصَيِّمِينَ فَرَسًا .

قَالَ : وَسَمِعْتُ نَافِعًا يَقُولُ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو يَكْرَهُ خِصَاءَ الذَكَوْرِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ .

وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَانَ يَكْرَهُ الْخِصَاءَ وَيَقُولُ : لَا تَقْطَعُوا نَامِيَةَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ أَبْنَا نَافِعٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ تُحْصَى ذَكَوْرُ الْخَيْلِ ، وَالْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَيَقُولُ : فِيهَا نَشَأَةُ الْخَلْقِ ، وَلَا تَصْلَحُ الْإِنَاثُ إِلَّا بِالذَكَوْرِ .

---

(١) في ل : « عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو » . وَعَاصِمُ الَّذِي يَرَوِي عَنْهُ الثَّوْرِيُّ هُوَ عَاصِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلُ الْبَصْرِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَ - وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً . كَذَا فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . فِي الْإِسْنَادِ نَظَرُ .

ومحمد بن أبي ذئب<sup>(١)</sup> قال : سألت الزُّهريَّ : هل بخصاء البهائم بأس ؟  
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قال  
الزُّهريُّ : والخصاء صبرٌ شديد .

وأبو جعفر الرّازيُّ قال : حدّثنا الرّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك  
في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ اللَّهُ ﴾ قال : هو الخصاء . ٨٣  
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس نحوه .

أبو بكر الهذليُّ قال : سألتُ الحسنَ عن خصاء الدواب فقال :  
تسألني عن هذا ؟ لعن الله من خصّى الرجال .

أبو بكر الهذليُّ عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ ﴾  
خَلَقَ اللَّهُ ﴿ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ  
[ عكرمة ] ، هو دين الله .

نصر بن طريف قال : حدّثنا قتادة عن عكرمة في قوله تعالى :  
﴿ فَلْيَغْيِرَنَّ اللَّهُ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهدًا فقال : كذب  
هو دين الله .

فمن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان ذو الخطأ  
لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناس لا يضعون هذه الكلمة

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف مأثبت من ل . ومحمد هو  
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد في  
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل  
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مَن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول [ .  
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :  
إنما يعنى الحِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالة على  
شيءٍ دون شيء ، وإذا كان اللفظ عاماً لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى  
شيءٍ بعينه <sup>(١)</sup> إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوة  
الآية ، أو يكون جبريل عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛  
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضم <sup>(٢)</sup> ولا ينوى ، ولا يخص ولا يعمُّ بالقصد ؛  
وإنَّما الدلالة [ في ] بنية الكلام نفسه ، فصورة <sup>(٣)</sup> الكلام هو الإرادة  
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من  
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علواً كبيراً .

أبو جرير <sup>(٤)</sup> عن عمار بن أبي عمار <sup>(٥)</sup> أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ  
تعالى : ﴿ وَلَا تُرْمِهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قَالَ : هُوَ الْحِصَاءُ .  
وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِيُّ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ عن عبادَةَ بن نَسِيٍّ ، عن  
إِبْرَاهِيمَ بن حَمِيرٍ قَالَ : كَانَ أَحَبَّ الْخَيْلِ إِلَى سَلَفِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي عَهْدِ عُمَرَ ،  
وَعُثْمَانَ ، وَمَعَاوِيَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ، الْحِصْنِيَانِ ؛ فَإِنَّهَا أَخْفَى لِلْكَامِنِينَ  
وَالطَّلَائِعِ ، وَأَبْقَى عَلَى الْجَهْدِ .

(١) ط : « بعيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .



أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم يرَ بأساً  
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،  
ويقول : لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بعيراً .

[ وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء

البغل فقال : إذا خفت عضاضه ] .

٨٤

### ( أقوال في النتاج للركب )

ولنصل هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق الأركب [ وفي

تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب ، وجمعه

عسبار و ] . قال السكيت :

وتجَمَّع المتفرِّقون من الفراعيل والعساير<sup>(١)</sup>

رميهم بأنهم أخلاط ومعلَّهجون .

### ( السمع ولد الذئب من الضبع )

وزعموا أن السمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أن السمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعنى العسبار - جمع العسبر

( كقنفذ ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع

من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحَيَّةِ لَا تَعْرِفُ الْعِلَلَ ، وَلَا تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا ، وَلَا تَمُوتُ إِلَّا بِعَرَضٍ  
يَعْرِضُ لَهَا . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لَا يَعْدُو شَيْءٌ كَعَدُو السَّمْعِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ  
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فَاعْصِرِ الْعَوَازِلَ وَارْزِمِ اللَّيْلَ فِي عَرْضِ

بَدَى شَيْبٍ يُقَاسِي لَيْلَهُ خَبِيًّا

كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْقَبِ الْبَيْطَارُ سِرَّتَهُ وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَغْمِزْ لَهُ عَصَبًا<sup>(١)</sup>

وَقَالَ ابْنُ كُنَاسَةَ<sup>(٢)</sup> يَصِفُ فَرَسًا :

كَالْعُقَابِ الطَّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّلُوبُ لُوقْدٌ وَقَدْ صَوَّبَتْ عَلَى عِيسَارِ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ سُورُ الذَّنْبِ<sup>(٤)</sup> :

هُوَ سَمْعٌ إِذَا تَمَطَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْثُهَا عِيسَارُ

يقول : إِذَا اشْتَدَّ هَرَبُ الْمَطْلُوبِ الْهَارِبِ مِنَ الطَّالِبِ الْجَادِّ ، فَهُوَ أَحْتُ  
لِلطَّالِبِ ؛ وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ صَارَ الْمَطْلُوبُ حَيْنِئذٍ فِي مَعْنَى مَنْ يَحْثُ الطَّلِبُ ،  
إِذَا صَارَ إِفْرَاطَ سُرْعَتِهِ سَبَبًا لِإِفْرَاطِ طَلْبِ الْعُقَابِ .

وَقَالَ تَابُطُ شَرًّا<sup>(٥)</sup> ، [ أَوْ أَبُو مُحَرَّرٍ خَلْفَ بْنِ حَيَّانِ الْأَحْمَرِ ] :

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .  
وانظر معجم المرزباني ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ،  
١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تابط شرا » . . والقصيدة في حاسة أبي تمام ( ١ : ٣٤١ - ٣٤٧ ) .

مُسْبِلٌ بِالْحَيِّ أُخْرَى رِفْلٌ وَإِذَا يَعْلُو فِسْمَعٌ أَزَلٌ  
وَلَيْتَمَا قَالَ أَزَلٌ وَجَعَلَهُ عَادِيَا وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ ابْنُ الذَّنْبِ .

وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عِسْبَارَه<sup>(١)</sup>

وقال في موضع آخر :

كَأَنَّ مِنْهَا طَرَفَهُ اسْتِعَارَه<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

تَلَقَى<sup>(٣)</sup> بِهَا السَّمْعَ الْأَزَلَ الْأَطْلَسَا

( الديسم ولد الذئب من السكلبة )

وزعموا أَنَّ وَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ السَّكَلْبَةِ الدَّيْسِمُ ، وَرَوَوْا لِبِشَارِ بْنِ بُرْدٍ  
فِي دَيْسِمٍ الْعَنْزِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

أَدَيْسِمُ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ  
أَتَرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ

وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

( زعم لأرسطو في النتائج المركب )

وزعم صاحب المنطق أَنَّ أَصْنَافًا أُخْرَى مِنَ السَّبَاعِ الْمُتَزَاوِجَاتِ

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحقة ، كما يظهر  
أن هناك كلاما سابقا بعد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عِسْبَارٌ وَعِسْبَارَةٌ . وَأُنْشِدَ »  
وَأَنَّ عِبَارَةَ « وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ » مَتَّحِمَةٌ عَلَى الْكِتَابِ .

(٢) ن : « شبة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلاقيحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتولد أيضا كلاب سلوقية من ثعالب و كلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس<sup>(١)</sup> وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[ قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا ]  
أن نِتاجَ الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن<sup>(٢)</sup> ولا يؤلف .

### ( تلاحق السبع والكلبة )

وزعم [ لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بني تميم ] أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين ، وأنهم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البرارى ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان<sup>(٣)</sup> :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفي ط : « طاغويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدري بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحاملهما من أول ما ذكر =

أَيَا بَاكِيَ الْأَطْلَالِ فِي رَسْمِ دِمْنَةٍ

تَرُودُ بِهَا عَيْنُ الْمَهَا وَالْجَاذِرُ

وَعَانَاتُ جَوَالٍ وَهَيْقُ سَفَنَجٍ وَسِنْدَاوَةٌ فَضْفَاضَةٌ وَحَضَاجِرُ<sup>(١)</sup>

وَسَمْعٌ خَفِيُّ الرِّزِّ ثَلْبٌ وَدَوْبَلٌ

وَتَرْمَلَةٌ تَعْتَادُهَا وَعَسَابِرُ<sup>(٢)</sup>

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلد على نفسه في الكتب شهاداتٍ لا يحقُّقُها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادَّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السَّمْعَ والعِسَابَ ، فليس في ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدَّينا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرْهانا .

### (أولاد السَّعْلَةِ)

وللنَّاسِ في هذا الضَّرْبِ ضُرُوبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السَّوءِ يُظْهِرُونَ تَجْوِيزَهَا وَتَحْقِيقَهَا ، كالَّذِي يَدَّعُونَ مِنْ أَوْلَادِ السَّعَالِي مِنَ النَّاسِ ، كَمَا ذَكَرُوا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعَ ، وَكَمَا يَرُوى أَبُو زَيْدٍ النَّحْوِيُّ عَنْ السَّعْلَةِ

= من أيام الصبا « البيان ١ : ٢٥٢ » ، وقد عده ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ لبيسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديمري . والفضفاضة : الحيمة الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للصبغ أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المغيب .

التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالي ، حنت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رأى برقاً فأوضع فوق بكرٍ فلا بك ما أسال وما أغاما (٢)

٨٦ وأنشدني أن الجن طرقوا بعضهم فقال (٣) :

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عمو ظلاماً  
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نخسد الإنسان الطعاما  
ولم أعب الرواية ، وإنما عبت الإيمان بها ، والتوكيد لمعانيها . فما أكثر  
من يروى هذا الضرب على التعجب منه ، وعلى أن يجعل الرواية [ له ]  
سبباً لتعريف الناس حق ذلك من باطله ، وأبو زيد وأشباهه مأمونون  
على الناس ؛ إلا أن كل من لم يكن متكليماً حاذقاً ، وكان عند العلماء  
عدوة وإماماً ، فما أقرب إفساده لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم !

وأنشدوا في تثبيت أولاد السعلاة :

تقول جمع من بوان ووتيد وحسن أن كلفتني ما أجد (٤)  
ولم تقل جىء بأبان أو أجد (٥) أو ولد السعلاة أو جرو الأسد  
أو ملك الأعجام مأسوراً بقيد (٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير ( أو سمير ) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتني . . . » ، وفي كليهما « ما لم أجد » وهو تحريف .

(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلمو لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم

إذا لزنالك ولو بسلم

وقال آخر<sup>(١)</sup> :

يا قاتلَ الله بَنِي السَّعْلَةِ عَمراً وقابوساً شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا في جرمهم)

وذكروا أَنَّ جُرْهُمًا كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه في السماء أهبَّطَه إلى الأرضِ في صورة رجل ، وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزُّهرة ، وهى أناهيد<sup>(٢)</sup> ما كان ، فلمَّا عصى الله تعالى بعضُ الملائكة وأهبَّطَه إلى الأرضِ في صورة رجل ، تزوّج أُمَّ جُرْهم فولدت له جُرْهما ، ولذلك قال شاعرهم<sup>(٣)</sup> :

لَاهُمَّ إِنَّ جُرْهُمَا عِبَادُكَا النَّاسِ طِرْفُ وَهُمْ تِلَادُكَا<sup>(٤)</sup>

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل<sup>(٥)</sup> كانت بلقيسُ ملكةُ

(١) هو علباء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى بسدله في الأمالى ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وماقبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، كما في شرح الأنباري للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدا ل والأمروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبباً ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري<sup>(١)</sup> من الملائكة . ولذلك<sup>(٢)</sup> لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : يا ذا القرنين ، فقال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعت إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختار<sup>(٣)</sup> بن أبي عبيد أن علياً كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك الملك الأموط .

### (ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنيات إنما تعرض لصراع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد<sup>(٤)</sup> ، وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصراع من المرة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجان لا يفتض

(١) في ل : « عبري » بدل « فيري » وهي في رسائل الجاحظ ٩٧ ساسي « فيري » .

و « عبري » بدلها في الرسائل : « عبري » .

(٢) ط والأمروزيانا « وكذلك » .

(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثأرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه

تنسب الطائفة الكيسانية . توفي سنة ٦٧ .

(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .



الْأَدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قط ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى  
هذا القول .

### (ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أنَّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشَّقِّ والإنسان . ويزعمون أنَّ خلقاً  
من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشَّقِّ ، ويأجوج ومأجوج .  
وذكروا عن الواقواق والدِّوَالِ بآي<sup>(١)</sup> أنهم نِتَاجُ ما بين بعض النَّبَاتِ والحيوان .  
وذكروا أنَّ أُمَّةً كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ؛  
وإياهم عَنَّا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ  
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء :  
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالماً  
وظالماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ - أو خلفٌ - في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طُولُ  
عمر الحَيَّةِ :

أَرْفَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَثْنَى حَسِبْتَ وَرَسًا خَالِطَ الْبِرْنَآ<sup>(٢)</sup>

خَالِطُهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاءَاهُ الْخَوَآءُ أَسْتَنَّا<sup>(٣)</sup>

قال : وكان يقال لتلك الأُمَّة مهنا<sup>(٤)</sup> .

(١) ط : « الدِّوَالِ » ل : « الدِّوَالِ بآي » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصيف به . وقيل : صنف من السكرم . كذا  
في المصباح . والبرنأ : الحناء .

(٣) ط : « إِذَا أَقَى إِدِ الْخَدَاةِ اسْتَنَّا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « يهنا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

### ( قول المجوس في بدء الخلق )

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهينة ، وأُمَّهُما تولدا فيما بينَ أرحام الأرضين ، ونطفَتين ابتدرتا<sup>(١)</sup> من عيني ابن هُرْمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنينِ كثيرةٌ في هذا الباب . ولولا أنَّي أُحِبُّتُ أن تسمعَ نوعاً من الكلام ، ومبلغَ الرأي ، لتُحَدِّثَ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

### ( عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه )

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالكوفة فتىً من ولد عبد الله بن هلال الحميري<sup>(٢)</sup> ، صديق إبليس وختنه ، وأُمَّهُم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جدُّه من قبل أمّهاته . وسنقولُ في ذلك بالذي يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَّةُ هذا الكلام تجيء بعد هذا إن شاء الله تعالى .

### ( حوار في الكلب والديك )

٨٨ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما أَلَفَ الإنسانُ ، واستوحش من السبع ، وكرِه الغياض ، وأَلَفَ الدُّور ، واستوحش من البراري وجانب القفار ، وأَلَفَ الجالسَ والديار . ولو تمَّ له معنى البهيمة .

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعيذة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكتبه ويطلعه على أسرارِهِ . ثمار القلوب ٥٧ .

فِي الطَّبْعِ وَالْخَلْقِ وَالْغِذَاءِ ، لَمَّا أَكَلَ الْحَيَوَانَ ، وَكَلَبَ عَلَى النَّاسِ . نَعَمْ  
حَتَّى رُبَّمَا كَلَبَ وَوَثَبَ عَلَى صَاحِبِهِ وَكَابَ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
طَرَفَةٌ فَقَالَ :

كُنْتُ لَنَا وَالْدُّهُورَ آوِنَةٌ تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ  
كَكَلَبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ (١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ  
ظَلٌّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفْرِقُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَنْتَهِسُ

وَقَالَ حَاجِبُ بْنُ دِينَارٍ (٢) الْمَازِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَمَ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسُلْطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ  
كَذَى الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبُ رَابَهُ  
بِإِحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ (٣) :

فَإِنِّي وَقِيسًا كَالْمَسْمَنِ كَلَبَهُ مُخَدِّشُهُ أَزْيَابُهُ وَأُظَاغِرُهُ

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِبَعْضِهِمْ (٤) :

وَهُمْ سَمْنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضَهُمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ  
وَفِي الْمِثْلِ (٥) : « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كُؤُكْ » .

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو

قيس بن زدير . والرواية في مجمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « فخذشه

أزيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن فكتبت إليه امرأته (١) :

أتهدي لى القيرطاس والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين  
إذا غبت لم تذكر صديقاً وإن تقم فأنت على ما فى يدك ضنين  
فأنت ككلب السوء فى جوع أهله فيهنزل أهل الكلب وهو سمين

وفى المثل : « سمن كلب فى جوع أهله » ، وذلك أنه عند السواف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للشوق ، [ يأكل الجيف فيسمن (٤) ] .  
وعلى أنه حارسٌ مخترسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاء من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن يندرهم بموضع السارق ،  
٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان المبيت . [ وهو أسرقٌ من كل سارق ،  
وأدومٌ جنائياً من ذلك المبيت ] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،  
قول الشاعر :

أفى أن سرى كلبٌ فيبت جلةً وجبجبةً للوطب ليلى تطلق (٦)

- (١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .  
(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب : الموتان فى الإبل .  
(٣) أخرج الناقة : أنت بولد ناقص .  
(٤) زدتها ليم الكلام ، اعتماداً على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى ( ٢ : ٢٦٣ ) .  
(٥) فى الأصل : « لينبهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .  
(٦) ط : « أفى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت من ل واللسان ( جيب ) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجلة ، بالضم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجة ، بفتح الجيمين أو ضمهما : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ، فهو أبى ما يكون .

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيَات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاسِ . ألا إنه يجمعُ سرقة الليل مع سرقة النهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى في خِزانةٍ ، أو مطبخٍ ، أو عَرَصَةِ دارٍ ، أو في طريقٍ ، أو في بَراريٍّ ، أو في ظهيرِ جَبَلٍ ، أو في بَطْنِ وادٍ ، إلاَّ وخطمُهُ في الأرضِ يتشمَّم ويستروح ، وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَاءً<sup>(١)</sup> ودَوِيَّةً ملساءً ، أو صخرةً خلقاء ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتَّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلاَّ اشمَّ استمه ، ولا يتشمَّم غيرها منه ، ولا تراه يُرمي بحجرٍ أيضاً أبداً إلاَّ رجعَ إليه فعَضَّ عليه ؛ لأنَّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئاً رموا به [ إليه ] صار ينسى لِفِرطِ شرِّه وغلبةِ الجشعِ على طبعه ، أنَّ الرامي إنما أراد عقْرَه أو قتله ، فيظنُّ لذلك أنَّه إنما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيَّلُ إليه فرطُ النهم وتوهمه غلبَةُ الشرِّه ، ولكنَّه رمى بنفسِه على الناسِ عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحشَ من الصَّحاري .

ولمَّا سمِعوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلنَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ إِنَّ المحروم هو الكلب ؛ وسمِعوا في المثل : « اصنعوا المعروف ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتَّخذوه في الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من سفلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تقزُّزُه<sup>(٢)</sup> وكثُرَ جهلُه ، وردَّ الآثارُ إمَّا جهلاً وإمَّا معاندةً .

وأما ألدِّيك فَمِنْ بهائم الطير وبغاثها ، ومن كلِّولها والعِيال على

(١) ط : « وحصاء » والوجه ما أثبت من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقزَّره » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا مما <sup>(١)</sup> يطرب بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدَّباسى والشَّفَّانين <sup>(٢)</sup> والوراشين والبلابل والفواخت ، ولا مما يُونق بمنظره ويمتع الأبصارَ حسنه ، كالطواويس والتَّدارج ، ولا مما يعجب بهديته ويُعقَد الذمام بإلفه وزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتُریده بإرادته لك ، وتَعطف عليه لحبه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات <sup>(٣)</sup> الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمهٌ لا يصيد ، ولا هو أيضاً مما يكون صيداً فيمتنع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللذة .

والخفَّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والدَّيك كاسٍ وهو لا يطير .  
وأى شيء أعجب من ذى ريش أرضى ، ومن ذى جلمدة هوائى .

٩٠ وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزَّواج إلا فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثم كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنِع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكلة الغريبة ، وحُرِم هذا السَّبَب الكريم والشَّبه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزَّواج والإلف وثباتُ العهد ، وطلبُ الذرء وحبُّ النسل ، والرجوعُ إلى السكَن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزواج فلاَّئما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص

(١) ط : « من » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، فى ل .

(٢) ط : « الشَّفَّانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الديميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جِهَتَيْنِ . ووصف أبو الأَحْزَرِ الحِمَّانِيُّ الحِمَارَ وَعَيْرَ العَانَةِ خَاصَّةً (١) ،  
فَإِنَّهُ أَمَثَلُ فِي بَابِ المَعْرِفَةِ مِنَ الأَهْلِيِّ ، فَذَكَرَ كَيْفَ يَضْرِبُ فِي الأَثْنِ ، وَوَصَفَ  
اسْتِبْهَامَهُ عَنْ طَلَبِ الْوَلَدِ ، وَجَهْلَهُ بِمَوْضِعِ الذَّرْعِ ، وَأَنَّ الْوَلَدَ لَمْ يَجِئْ مِنْهُ عَنْ  
طَلَبٍ لَهُ ، وَلَكِنْ التُّطْفَةُ الْبَرِيَّةُ مِنَ الْأَسْقَامِ ، إِذَا لَاقَتْ الْأَرْحَامَ الْبَرِيَّةَ مِنَ  
الْأَسْقَامِ حَدَّثَ النَّتَاجَ عَلَى الْخَلْقَةِ ، وَعَلَى مَا سَوَّيْتُ عَلَيْهِ الْبِنِيَّةَ (٢) . وَذَكَرَ أَنَّ  
نَزْوَهُ عَلَى الْأَتَانِ ، مِنْ شَكْلِ نَزْوِهِ عَلَى الْعَيْرِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرٍ مَا يَحْضُرُهُ  
مِنَ الشَّبَقِ ، ثُمَّ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى ذُبُرٍ مِنْ قُبُلٍ ، وَإِلَى مَا يَلْقَحُ [ مِنْ مِثْلِهِ مِمَّا  
لَا يُلْقَحُ ] فَقَالَ :

\* لَا مُبْتَغَى الضَّنَّ وَلَا بِالْعَازِلِ (٣) \*

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .

والأشياء التي تألفُ الناسَ ولا تريدُ سِوَاهُمْ ، وَلَا تَحْنُ إِلَى غَيْرِهِمْ ،  
كَالْعَصْفُورِ وَالْخَطَّافِ وَالْكَلْبِ وَالسَّنَّوْرِ . وَالذِّيكُ لَا يَأْلَفُ مَنْزِلَهُ وَلَا رَبْعَهُ  
وَلَا يُنَازِعُ (٤) إِلَى دِجَاجَتِهِ وَلَا طَرُوقَتِهِ ، وَلَا يَحْنُ إِلَى وَلَدِهِ ، بَلْ لَمْ يَدْرِ  
قَطُّ أَنَّ لَهُ وَلَدًا ؛ وَلَوْ دَرَى لَكَانَ عَلَى دِرَايَتِهِ دَلِيلٌ ، فَإِذَا قَدْ وَجَدْنَاهُ  
لَبَيَضُهُ (٥) وَفَرَارِيحُهُ الْكَائِنَةُ مِنْهُ ، كَمَا نَجَدُهُ لَمَّا لَمْ يَلِدْهُ وَلِمَا لَيْسَ مِنْ شَكْلِهِ  
وَلَا يَرْجِعُ إِلَى نَسَبِهِ ، فَكَيْفَ تُعَرَفُ الْأُمُورُ إِلَّا بِهَذَا وَشَبْهِهِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضئ » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثْبِتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتَ جَنَاحِهِ .

وَالْكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسَّنَّوْرُ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَيَأْلِفَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طُرِدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أُجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهْنِيَا احْتَمَلَا .

وَالدِّيكُ يَكُونُ فِي الدَّارِ مِنْ لَدُنْ كَانَ فَرُوجاً صَغِيراً إِلَى أَنْ صَارَ دِيكاً كَبِيراً ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ الدَّارِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْجِيرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرُّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مِنْزَلُهُ قَرِيباً ، وَسَهْلٌ <sup>(١)</sup> الْمَطْلَبِ يَسِيراً ، وَلَا يَذْكُرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ احْتَاجَ لَا تَمَسَّ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخَبْرُ فِي طَبَاعِهِ لَظَهَرَ ، وَلَسَكُنْهَا طَبِيعَةُ بِلَهَاءِ مُسْتَبْهَمَةٍ ، طَامِعَةٍ <sup>(٢)</sup> وَذَاهِلَةٍ ، ثُمَّ يَسْفُدُ الدَّجَاجَةَ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرِّصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَفْتِقُ الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ الدِّيكُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ حَرِّصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْفُدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وَلَدٍ ، وَلَا يَحْضُنُ بَيْضاً وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمٌ ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحْمَقُ مِنَ الْخُبَّارِيِّ وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كُلُّ شَيْءٍ يَجِبُ وَلَدَهُ حَتَّى الْخُبَّارِيُّ » . فَضَرَبَ <sup>(٣)</sup> بِهَا الْمَثَلَ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالْغَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالْبَلْغَةِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط : « وسبيل » .

(٢) لعلها « جامحة » .

(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .



## (أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : « أَرَبُّ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَعَقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوجّهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ، ووجّهوا أكل الضب لها على شدة البغض لها ، وليس ينجو منه شيء منها إلا بشغله بأكل إخوته عنه ، وليس يحرسها مما يأكلها إلا ليأكلها . ولذلك قال العمّلس ابن عقيل ، لأبيه<sup>(١)</sup> عقيل بن عُلفَة :

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ السَّكَلِ الْوَيْلِ  
فلو أَنَّ الْأَلَى كَانُوا شُهُوداً مَنَعْتَ فَنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَجِيلِ  
وقال أيضاً<sup>(٢)</sup> :

أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى تَرَكَتْ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ  
وَشَبَّهَ السَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِيَّ ، عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي نَصْبِهَا  
الْحَرْبَ يَوْمَ الْجَمَلِ لِقِتَالِ بَنِيهَا ، بِالْهَرَّةِ حِينَ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ، فَقَالَ :  
جَاءَتْ مَعَ الْأَشْقَيْنِ فِي هَوْدَجٍ تُزْجِي إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادَهَا  
كَأَنَّهَا فِي فِعْلِهَا هِرَّةٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلَادَهَا

## (رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أَحْمَقُ مِنْ جَهِيْزَةٍ » ، وهى عرس الذئب ؛ لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول ابن جندل الطّعان<sup>(٣)</sup> .

كَمْ رُضِيعَةٍ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضِيعَتُ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْفَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعاً ٩٢

(١) ل : « لابنه » والصواب ما فى ط . وفى الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سببة .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحرى ١٧٠ .

## (رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبَعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّبَّ يَأْتِي أَوْلَادَهَا  
بِاللَّحْمِ . وَأَنْشَدَ الْكُمَيْتُ :

كَمَا خَامَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمُّ عَامِرٍ لِيَذِيَ الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا <sup>(١)</sup>  
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُوِّ آلِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَى إِبَالِهِ  
فَلَا حُشَاءَنَّكَ مَشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالَةِ <sup>(٢)</sup>

الْأَوْسُ : الْإِعْطَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّبُّ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْهَنْلِيُّ <sup>(٣)</sup> :

يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَنَمِ  
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيَحْوَطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ <sup>(٤)</sup>

## (حق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشَرُّ مِنْ نَعَامَةٍ » قَالُوا  
ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الْحِضْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنْ هِيَ

(١) ل : « لَدَى الْجَبَلِ » وَهِيَ رَوَايَةُ ابْنِ قَتَيْبَةَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢ : ٧٩ . وَرَوَايَةُ  
ابْنِ مَنْظُورٍ لِلْبَيْتِ فِي مَادَةِ ( أَوْس ) « غَالِ أَوْس » ، وَتَفْسِيرُهَا بِقَوْلِهِ : « أَكَلَ جِرَاهَا »  
بِذَلِكَ لَا يَصِحُّ الِاسْتِشْهَادُ لِمَا اسْتَشْهَدَ لَهُ الْجَاهِظُ .

(٢) ط : « فَلَا حُشُونَكَ » وَالصُّوَابُ مَا فِي ل . انْظُرْ أَدَبَ الْكَاتِبِ ٥٧ وَالِاقْتَضَابُ .  
وَحُشَاهُ : رَمَاهُ . وَالْمَشْقَصُ : سَهْمٌ طَوِيلٌ أَوْ عَرِيضٌ . وَالْبَيْتَانِ لِأَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ  
كَمَا فِي اللِّسَانِ ( أَبِل ) .

(٣) الشعر في اللسان ( رخم ) منسوب إلى عمرو ذي الكلب . وهو هذلي كما في الأغاني .

(٤) ط : « جَاهِد » . وَالْعَامُ الْجَامِدُ : عَامُ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَامْتِنَاعِ الْغَيْثِ .

في خروجها ذلك رأت بيضَ أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيضها ونسيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصاد فلا ترجع إلى بيضها بالعرء حتى تهلك . قالوا : ولذلك قال ابن هرمة <sup>(١)</sup> :

فإني وتركي ندَى الأكرمين      وقدحى بكفى زندا شحاحا  
كتاركة بيضها بالعرء      ومليسة بيضَ أخرى جناحا  
وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجة بيض الطاوس ، فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجة بيضها وتحضن بيض الطاوس فلا . فأما فروجُ الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنه يكون أكيس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقلَّ حسناً وأبغضَ صوتاً .

### (الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضة في الأرض فإنَّ اسمَ الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ، إلاَّ بيضَ الدجاج فإنه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمى فرخا ، إلاَّ أن الشعراء يجعلون الفروج فرخاً على التوسُّع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى      وسود تداعى بالعشى نواعيه <sup>(٢)</sup> ٩٣  
أحبُّ إلينا من فراخ دجاجة      ومن ديك أنباط تنوس غبايه <sup>(٣)</sup>

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشع ٢٤٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سقع مستوكير الحجارة للسود . وفي ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المختص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غبايه » .

وقال الشَّامُخُ بنُ ضِرَارٍ (١) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ  
فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ (٢) وَمِنْ شَيْخٍ أَضَرَّ بِهِ الْفَنَاءُ  
فِرَاحٍ دَجَاجَةٍ يَتْبَعُنَ دِيكَأً يَلْدُنَ بِهِ إِذَا حَمَسَ الْوَعَاءُ  
[ فَإِنْ ] قُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،  
حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذِكْرِ مُحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمَوَازَنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،  
شَيْخَانِ مِنْ عِلْيَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ الْجِلَةِ (٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى  
أَبْرَمَا هَذَا (٤) الْحَكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةَ ، صَارَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ بِهِمَا حِظٌّ  
وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ، وَسَيَعُودُ ذَلِكَ عِذْرًا  
لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يَوَازِيَانِ بَيْنَ الذُّبَّانِ (٥) وَبَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافَسِ  
وَالْجَلْعَلَانِ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشْرَاتِ ، وَالْخَشَاشِ ،  
حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانِ وَالْقِرْدَانِ (٦) فَإِنْ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ  
عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،  
وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ  
فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحَكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ  
الْمَلَلِ ، وَالْمَوَازَنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ،  
وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَتَّسِعُ لِلْجَمِيعِ ، وَالسُّنَّتُهُمْ لَا تَنْطَلِقُ  
بِالسَّكْلِ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْقِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ  
فَالْأَخُوفِ .

(١) فِي ( ٧ : ٨٥ ) أَنَّهُ شَامُخُ بْنُ أَبِي شَدَادٍ .

(٢) ل : « حِبَالِكَ » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّة » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْنَاهُمَا يَوَازِنُونَ .. الْخ » . ط : « الذُّبَابُ » مَوْضِعُ « الذُّبَّانِ » .

(٦) الْقِرْدَانُ : جَمْعُ قِرَادٍ ، وَهُوَ دَوِيْبَةٌ تَنْتَشِرُ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ .

وقلت : [ و ] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف<sup>(١)</sup> وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سبيل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسنُ الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبحُ مثله من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازنة ، والإبقاء على الأدب ، والديانة بشدة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولكلِّ طعامٍ أكلة<sup>(٢)</sup> .

### (تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أن كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِإِرْفَاقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ<sup>(٣)</sup> من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنْ أبطأت ، ولا بدَّ لذلك الكامن من ظهور ، فإنْ أمكنه ذلك بعثه ، وإلَّا سَرَى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [ نَمَى ] كما يَنُمِي العرق ؛ كما أن البُزور البريئة ، والحبة الوحشية الكامنة في أرحام الأرضيين ، لا بدَّ لهما من حركةٍ عند زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إِبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحام كالنُّطفة ، وكان بعضُ الأرض كالأمِّ الغاذية<sup>(٤)</sup> فلا بدَّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

\* ولا بدَّ للمصدورِ يوماً من النَّفثِ<sup>(٤)</sup> \*

(١) ط : « التطرُّق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بدَّ للمصدور من النفث » .

[ وقال <sup>(١)</sup> ] :

\* ولا بدَّ من شكوى إذا لم يكن صبر \*

ولذلك صار طلب الحساب أخفَّ على بعضهم، وطالب الطبُّ أحبَّ إلى بعضهم. وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغفُ أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعد الكبرة، وصرف <sup>(٢)</sup> رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوَّة العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتتب مع <sup>(٣)</sup> الجنود، وآخر يختار [ أن يكون ] ورّاقاً، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم، ثمَّ لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلاَّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم لم <sup>(٤)</sup> اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجز منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ في طباعه سببٌ يصل بينه وبين بعض الأمور ويحرِّكه في بعض الجهات، ولكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنياً وهو لا طبعَ

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتاً واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها

ضرورية لاستقامة الكلام. والآق عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٤٣٢٢٠ : ٦٣ :

\* وما كثرة الشكوى بأمر حرامه \*

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

لله في معرفة الوزن، وليس له جرمٌ حسنٌ <sup>(١)</sup>، فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغنيً خاصةً أن يكون مطرباً ومغنيً عامةً . وآخر قدماء على أن يذكر بالجلود ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أنجلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً بالتخاذ الطيبات ومستتهراً بالتكثير منها ، ثم هو أبدأً مفتضح وأبدأً منتقض الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعي له ، والمرسل إليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله .

فإن زعمتم أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللئام وجميع المقصرين ، وجميع الفاسقين والضالين . وإن كان الأمر [ إلى ] التمكين دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل <sup>(٢)</sup> بين الديكة والكلاب . ٩٥  
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر ألدبك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلامٌ عبثٌ لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهلك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب عليك ، أن التدبير فيه مختلف أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو ممزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

## (مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ، والضار بالنافع ، والمكروه بالسار ، والضعة بالرفعة ، والكثرة بالقلّة . ولو كان الشر صرّفاً هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المنة وتقطعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التميز ، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم ، ولم يكن علم ، ولا يعرف باب التبين ، ولا دفع مضرة ، ولا اجتلاب منفعة<sup>(١)</sup> ، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ، ولا تفاضل في بيان ، ولا تنافس في درجة ، وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة ، ولم يكن على ظهرها محقق يجد<sup>(٢)</sup> عز الحق ، ومبطل يجد ذلة<sup>(٣)</sup> الباطل ، وموقف يجد<sup>(٤)</sup> برد اليقين ، وشاك يجد<sup>(٥)</sup> نقص الحيرة وكرّب الوجوم ، ولم تكن للنفس آمال ولم تتشعبها الأطماع . ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأس جهل الأمن ، وعادت الحال من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياء والأولياء ، إلى حال السبع والبهيمة ، وإلى [ حال ] الغبابة والبلادة ، وإلى حال النجوم في السخرة ، فإنها أنقص من حال البهائم في الرثعة . ومن هذا الذي يسره أن يكون

(١) ط : « التدبير » موضع « التبين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « يجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « يجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموقف يجد » وهو تحريف .



الشمس والقمر والنار والثلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم ؛ أو يكون المجرّة بأسرها ، أو مكيالاً من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلّ شيء في العالم فإمّا هو للإنسان ولكلّ مختبرٍ ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيين<sup>(١)</sup> والرويّة .

وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ الْبَيْمَةِ بِالْعُلُوفَةِ ، وَلَذَّةُ السَّبْعِ بِلَطْعِ الدَّمِ وَأَكْلِ اللحم - مِنْ سرورِ الظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ ؛ وَمِنْ انْفِتَاحِ بَابِ الْعِلْمِ بَعْدَ إِدْمَانِ الْقَرَعِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ سرورِ السُّودَدِ وَمِنْ عِزِّ الرِّيَاسَةِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ حَالِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَمِنْ عِزِّهِمَا وَسَاطِعِ نَوْرِهِمَا . وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ دُرِّ الْحَوَاسِّ الَّتِي ٩٦ هُوَ مِلَاقَةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَمِلَاقَةُ الصَّوْتِ الْمُطْرِبِ وَاللَّوْنِ الْمُوْنِقِ ، وَالْمَلْمَسَةِ<sup>(٢)</sup> اللَّيِّنَةِ - مِنْ السُّرُورِ بِتَفَاضِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَبِجَوَازِ التَّوْقِيعِ ، وَبِمَا يُوجِبُ الْخَاتَمُ مِنَ الطَّاعَةِ وَيُلْزِمُ مِنَ الْحُجَّةِ ؟ !

وَلَوْ اسْتَوَتْ الْأُمُورُ بِطَلِّ التَّمْيِيزِ ، وَإِذَا لَمْ تَسْكُنْ كَلْفَةٌ لَمْ تَسْكُنْ مَثْوَةٌ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِبَطْلَتِ ثَمَرَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْيَقِينِ بِأَنَّهُ الْوَزْرُ وَالْحَافِظُ ، وَالسَّكَالِيُّ وَالِدَافِعِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّ الَّذِي يَحَاسِبُكَ أَجُودُ الْأَجُودِينَ ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَأَنَّهُ [ الَّذِي ] يَقْبَلُ الْيَسِيرَ وَيَهَبُ السَّكْثِيرَ ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَشْتَهِيهِ الْغَرِيرُ وَالْجَاهِلُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، لِبَطْلَ النَّظَرِ وَمَا يَشْحَذُ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَلِتَعَطَّلَ

(١) ط : « التبيين » .

(٢) ط : « والليسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولَعَدِمَت الأشياءُ  
حظوظها وحقوقها .

فَسَبَّحَانَ من جعل منافعها نعمةً ، ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ،  
وقسَّمها بين مُلِدٍّ ومُؤَلِّمٍ ، وبين مؤنِّسٍ ومُوحِشٍ ، وبين صَغِيرٍ حقيرٍ وجليلٍ  
كبيرٍ ، وبين عدوٍّ يرصدُّك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَلِّمٍ يَمْنَعُكَ ،  
وبين مُعِينٍ يعضدُّك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمَّ  
النعمة ، وفي بطلانٍ واحدٍ منها بطلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .  
فإنَّ الجميع <sup>(١)</sup> إِنَّمَا هو واحدٌ ضُمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنَّ  
الكلَّ أبعادٌ ، ولأنَّ كلَّ جُثَّةٍ فن أجزاء ، فإذا جَوَزَتْ رَفَعَ واحدٍ  
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظُّه ونصيبه ، فقد جَوَزَتْ رَفَعَ  
الجميع ؛ لأنَّه ليس الأوَّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت <sup>(٢)</sup> الذي رجوت فيه  
إبطالَ الأوَّل ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتَّى تأتَّى على الكلِّ  
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسبابُ المقيَّدة <sup>(٣)</sup> ؛ ألا ترى أنَّ  
الجبَلَ ليس بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة ، وليس الطَّائِسُ المستحسنُ  
بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخنزير المستقبح . والنَّارُ والثلج وإنَّ اختلفا في جهةِ  
البرودة والسَّخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهةِ البرهان والدَّلالة .

وأظنُّكَ مَن يَرى أَنَّ الطَّائِسَ أَكْرَمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمَّنة » ، و « المفيدة » مكان « المقيَّدة »

وهو تحريف .

التَّدْرِجُ<sup>(١)</sup> أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنَّما هذه أمور فرَّقها الله تعالى في عيون الناس ، وميَّزها في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أقربَ شَبهاً ، وجعلَ بعضها إنسيّاً ، وجعلَ بعضها وحشيّاً ، وبعضها غاذيّاً ، وبعضها قاتلاً . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرَزَةُ والتمرَّةُ<sup>(٢)</sup> والجَمْرَةُ .

٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تركك العينُ واذْهَبْ إلى ما يريك العقل .

### (الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأُمُور حَكَمَان : حَكَم ظاهِرٌ للحواس ، وحَكَم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحِجَّةُ . وقد علمنا أنَّ خَزَنَةَ النَّارِ مِنَ الملائكة ، ليسوا بدون خَزَنَةٍ الجَنَّةِ ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدونِ ملكِ السَّحاب ، وإنَّ أتاَنَا بِالْغَيْثِ وجلبُ الحَيَاءِ<sup>(٣)</sup> ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليسَ بدونِ ميكائيل الذي ينزلُ بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلافُ في المطيعِ والعاصي ، وفي طبقاتِ ذلك ومواضعه . والاختلافُ بين أصحابنا أَتَمُّهم إذا استَووا في المعاصي استَووا في العقاب ، وإذا استَووا في الطاعة استَووا في الثواب ، وإذا استَووا في عدم الطاعة والمعصية استَووا في التفضل . هذا هو أصلُ المقالة ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرُحى .

(١) للفريق أمين المعلوم بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « حياة » وهو تصحيف ما في ل . والحيا : الخصب والمطر ، ويمد .

## ( التين والزيتون )

وقد قال الله عز وجل : ﴿التِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فزعم زيد بن أسلم  
أنَّ التين دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويل أرغب  
بالعبرة عنه <sup>(١)</sup> وذكره . وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج  
القسم . وما تُعرف دِمَشق إلا بدِمَشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين . فإن  
كنت إنما تتقف من ذكر التين على مقدار طعم يابسهِ ورطبهِ ، وعلى  
الاكتنان بورقهِ وأغصانه ، والوقود بعيدانه ، وأنه نافع لصاحب السُّلِّ ،  
وهو غذاء قوى ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمة ، وأنه ليس  
شيءٌ حلو إلا وهو ضارٌّ بالأسنان غيره ، وأنه عند أهل الكتاب الشجرة  
التي أكل منها آدم عليه السلام ، وبورقها ستر السوء عند نزول العقوبة ،  
وأنَّ صاحب البواسير يأكله ليُرْلَق عنه الثقل ، ويسهل عليه مخرج  
الزُّبُل <sup>(٢)</sup> ، وتقف من الزيتون على زيتهِ والاصطباح به ، وعلى التأدُّم بهما  
والوقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأت ظناً بالقرآن ،  
وجهمتَ فضل التأويل . وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل . وأقسمَ  
بهما ونوّه بذكرهما .

## ( التأمل في جناح البعوضة )

ولو وقفتَ على جناح بعوضةٍ وقوفَ معتبرٍ ، وتأملتَه تأملَ متفكِّرٍ بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثقل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أَنْ تَكُونَ ثاقِبَ النَّظَرِ سَلِيمَ الْآلَةِ ، غَوَّاصاً عَلَى الْمَعَانِي ، لَا يَعْتَرِيكَ مِنَ الْخَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ صِحَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنَ الشَّوَاغِلِ إِلَّا مَا زَادَ فِي نَشَاطِكَ ، لَمَلَأْتَ مِمَّا تُوجِدُكَ الْعِبْرَةُ مِنْ غَرَائِبِ الطَّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالْجُلُودِ الْوَاسِعَةِ الْكِبَارِ ، وَلَرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّنَصُّفِ فِي الْأَعَاجِيبِ ، وَمِنْ تَقْلُبِهِ فِي طَبَقَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَلَرَأَيْتَ لَهُ مِنَ الْغُزْرِ وَالرَّيْعِ ، وَمِنْ الْحَلَبِ وَالذَّرِّ وَاتَّبَعْتَ عَلَيْكَ <sup>(١)</sup> مِنْ كَوَامِرِ الْمَعَانِي وَدَفَائِنِهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الْحَكْمِ ٩٨ وَبِنَابِيعِ الْعِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعْجُيبُكَ مِمَّنْ وَقَفَ عَلَى مَا فِي الدَّيْكَ مِنَ الْخِصَالِ الْعَجِيبَةِ ، وَفِي السُّكْلِ مِنَ الْأَوْرِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ الْمَنَافِعِ ، وَفَنُونِ الْمَرَافِقِ ؛ وَمَا فِيهِمَا <sup>(٢)</sup> مِنَ الْمَحْنِ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أُوْدِعَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، الَّتِي مَتَى تَجَاوَزَتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَبِيرُ مَا تَسْتَغْظَمُ ، وَقَلَّ فِي عَيْنِكَ كَثِيرُ مَا تَسْتَكْثِرُ . كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ شَيْئاً وَإِنْ حَسُنَ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

### ( كَلِمَاتُ اللَّهِ )

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ وَالْكَلِمَاتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لَيْسَ يُرِيدُ بِهَا الْقَوْلَ وَالْكَلَامَ الْمُؤَلَّفَ مِنَ الْحُرُوفِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ النِّعَمَ وَالْأَعَاجِيبَ ، وَالصِّفَاتِ <sup>(٣)</sup> وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَلَاماً مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ

(١) ط : « وَلَا يَنْحَبِسُ » .

(٢) ط : « فِيهَا » .

(٣) ط : « الصَّلَاةُ » ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

لو وقف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفكر تأمُّ الأداة ، لما برح أن تحسره<sup>(١)</sup> المعاني وتغمره الحِكَم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجلَّةُ العُظماءُ في التمثيل بين الملائكةِ والمؤمنين ، وفي فرقٍ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباعِ الكلب . ولئنما ذهبوا إلى انطاعة والمعصية . ويَحِيلُ إلىَّ أنك لو [ كنت ] سمعتَهما يمثلان ما بين التدرُّج والطاؤُس ، لمَّا اشتدَّ تعجُّبك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بين خصالِ الذرَّةِ والحِامة ، والفيلِ والبعير ، والشَّعْبِ والذئبِ أعجَب . ولسنا نغنى أنَّ للذرَّةِ ما للطاؤُس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه<sup>(٢)</sup> ، ولا أنَّ لها غناءَ الفرسِ في الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لسكنا إذا أردنا مواضعَ التدبيرِ العجيبِ من الخلقِ الخسيس ، والحسنِ اللطيفِ من الشَّيءِ السخيفِ<sup>(٣)</sup> ، والنَّظَرِ في العواقبِ من الخلقِ الخارجِ من حدودِ الإنس والجنِّ والملائكة ، لم<sup>(٤)</sup> نذهب إلى ضِخَمِ البدنِ وعِظَمِ الحجم ، ولا إلى المنظرِ الحسنِ ولا إلى كثرةِ الثمن . وفي القردِ أعاجيبُ وفي الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبيرُ مَرَفَقٍ إلَّا بقدرِ ما تتسكَّبُ به [ أصحاب<sup>(٥)</sup> ] القردة ، وإلما قصدنا إلى شديين يَشِيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ ممَّا يستخرجُ العلماءُ من خفيِّ أمرهما . ولو جمعنا بين الدَّيكِ وبين بعضِ

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعاني » . وأثبت ما في ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط في التواء . وفي ل : « تعاريجه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف في الشَّيءِ السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) في الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانتقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالته ، وبكَلِّه الدَّيْكَ وغباوتُه ، وأنَّ الكلبَ لابهيمةٌ ٩٩ تامةٌ ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرجه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرِجاً لهما من أحكامهما وحدودهما .

### ( تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما )

وقد يشبَّه الشعراءُ والعلماءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحية والنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذُوموا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل ، وهو القرني ؛ ثم لا يُدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ، ولا يُخرجون بذلك <sup>(١)</sup> الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسمَّوا الجارية غزالا ، وسمَّوها أيضاً خشفاً ، ومُهْرَةً ، وفاخِثَةً ، وحمامَةً ، وزهرةً ، وقضيداً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَّعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والحمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسمَّوها بالقوس والسنبلة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني <sup>(٢)</sup> :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهل ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ،

٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في

=

المفضليات : « لعصوت » وقبله :

فَصَحَوْتُ وَالنَّمْرُ يُحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ<sup>(١)</sup>  
وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعْمَتِ الْعَمَّةِ لَكُمْ  
النَّخْلَةُ [ خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ ] . » . وهذا الكلام صحيح المعنى ، لا يعيبه  
إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَجَازَ الْكَلَامِ . وليس هذا ثَمًّا يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيِسَهُ ،  
وَأِنَّمَا نَقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى  
حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛  
وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ  
الْمَرْأَةَ أَتَانًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعْجَةً وَلَا يَسْمُونُهَا شَاةً . وَهُمْ لَا يَضْعَعُونَ نَعْجَةً اسْمًا  
مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ ذَلِكَ <sup>(٢)</sup> ] عِلَامَةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عِزًّا .

### ( تسمية الإنسان بالعالم الأصغر )

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا  
مِنْ أَجْلِهِ<sup>(٣)</sup> كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . إِنَّمَا سَمَّوْهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا  
وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالٍ مَافِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاصَّ الْخَمْسَ  
وَوَجَدُوا فِيهِ الْخُصُوصَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ يَأْكُلُ كُلَّ الْأَحْمِ وَالْحَبِّ ، وَيَجْمَعُ

= يَأْكُبُ إِنَّكَ لَوْ قَصَرْتَ عَلَى حَسَنِ النَّدَامِ وَقِلَّةِ الْجَرَمِ  
وَسَمَاعِ مَدَجَّةٍ تَمَلَّنَا حَتَّى نَنَامَ تَنَاقُومَ الْعَجَمِ

(١) صوابه « لصحوت » كما في المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) في الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .



بين ما تقناته البهيمه والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ،  
وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصفر ، وجمع الذرة ، وصنعة ١٠٠  
السرفه (١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا  
فيه مما في البهائم والسباع خلقتين (٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً  
بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولاته وحقد ، وصبره على حمل الثقل ،  
ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل غدره ومكره ، واسترواحه  
وتوحشه ، وشدة نكره . كما أن الرجل يصيب الرأي الغامض المرة والمرتين  
والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدار أن يقال له داهية وذو نكر أو صاحب  
بزلاء (٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحش خطأؤه (٤) في المرة والمرتين والثلاث ،  
فلا يبلغ الأمر به أن يقال له غبي وأبله ومنقوص .

وسمّوه العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل شيء بيده ، ويحكي  
كل صوت بفيه (٥) . وقالوا : ولأن أعضاءه مقسومة على البروج  
الاثنى عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهي من نتاج النار ، وفيه السوداء  
وهي من نتاج الأرض ، وفيه الدّم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو  
من نتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة (٦) .

(١) ط : « وصفة السرفه » وصوابه في ل . ويقال في المثل : « أصنع من سرفه » .

الدميري : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق  
العيدان تقيم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال النّاس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلقتين » وهو الأشبه  
بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكره » وكلاهما صحيح . والنكر بالضم :  
الدهاء والقطنة . والبزلاء : الرأي الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما في ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاقه وطبائعه .  
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد  
 والوقف<sup>(١)</sup> وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والمسكر<sup>(٢)</sup> ، والنصيحة  
 والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ  
 والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،  
 والأنس والوحشة ، والفكرة<sup>(٣)</sup> والإمهال ، والتمييز والخبط ، والجن  
 والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [ والتبذير والتقتير ] ، والتبذل والتعزز<sup>(٤)</sup> ،  
 والادّخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسخط  
 والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،  
 والطمع واليأس ، والتزهد والطبع ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ،  
 والكتمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،  
 والطلب والهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبُعد الغضب ،  
 والشُرور والهم ، واللذة والألم<sup>(٥)</sup> والتأمل والتمنى ، والإصرار والندم ،  
 والجماح والبذوات<sup>(٦)</sup> ، والعى والبلاغة ، والنطق والحرص ، والتصميم  
 والتوقف<sup>(٧)</sup> والتغافل والتفأطن ، والعفو والمكافأة ، والاستطاعة  
 والطبيعة<sup>(٨)</sup> وما لا يحصى عدده<sup>(٩)</sup> ، ولا يُعرف حدّه .

(١) ط : « وانتمى » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكفي » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عدّه » .

فالكلبُ سبعٌ وإن كانَ بالناسِ أنيساً ، ولا تخرِجُهُ الحَصيلةُ والحَصَلتانِ ١٠١  
مما قاربَ بعضَ طبائعِ الناسِ ، إلى أن يخرِجَهُ من الكَلْبِيَّةِ . قال : وكذلك  
الجميع . وقد عرِفَتْ شَبَهُه باطنُ الكلبِ <sup>(١)</sup> بباطنِ الإنسانِ ، وشَبَهُه ظاهرُ  
القرَدِ بظاهرِ الإنسانِ : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عَيْنِهِ ، وفي ضِحْكِهِ  
وفي حكايتِهِ ، وفي كَفِّهِ وأصابعِهِ ، وفي رَفْعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ،  
وكيف يجهزُ الأَقَمَةَ إلى فيه وكيف يكسِرُ الجَوْزَ ويستخرجُ لَبَّهُ <sup>(٢)</sup> وكيف  
يَلْقَنُ كلَّ ما أُخِذَ به <sup>(٣)</sup> وأُعِيدَ عليه ، وأنه من بينِ جميعِ الحيوانِ إذا سقط  
في الماءِ غرِقَ مثلَ الإنسانِ ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفةِ فيه يغرقُ ، إلا <sup>(٤)</sup>  
أن يكتسبَ معرفةَ السباحةِ ، وإن كان طَبْعُهُ أوفى وأكملُ فهو من هاهنا  
أنقصُ وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يسبَحُ من جميعِ الحيواناتِ ، ممَّا يوصفُ بالمعرفةِ  
والنِطْنةِ ، وممَّا يوصفُ بالغَاوَةِ والبَلادةِ ؛ وليس يصيرُ القرَدُ بذلك المقدارِ  
من المقارَبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القُرودِ إلى حدودِ الإنسانِ .

### (عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أن ممَّا يمنعُ من التمثيلِ بين الديك والكلبِ أنه حارسٌ  
محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناسِ فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبَدُّلُهُ .  
والقدسُالُ زيادُ ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرطَتكم ؟ قالوا : بَلَجِ بنُ نَشْبَةِ  
الجُشَمِيِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يَسْعَى عليهمُ ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلما أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر <sup>(١)</sup> قال هذا الشعر في الفلاس النهشلي <sup>(٢)</sup> ، حين ولي شرطة الحارث بن عبد الله [ فقال ] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالك ودعى زماناً ساد فيه الغلافسُ  
وساع مع السلطان يسعى عليهم ومحترس من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكّم لصغار المضار على كبارها <sup>(٣)</sup> بل الحكم للغامر على المغمور <sup>(٤)</sup> والقاهر على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخ من خصال الكلب وذكر صاحبه من خصال الديك ، أيقنت أن العجلة من عمل الشيطان ، وأن العجب بنس صاحب .

وقلت : وما يبلغ من قدر الكلب ومن مقدار الديك ، أن يتفرغ لهما شيخان من جلة المعتزلة ، وهم أشراف <sup>(٥)</sup> أهل الحكمة ؛ فأى شيء بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عالج ، والجزء الأقل من أول قطع الدرة للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمق لها ، ولأى شيء يُعنون بذلك ، وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه ، حتى يتفرغ للجدال فيه الشيوخ الجلة ، والسهول العلية ، وحتى يختاروا النظر فيه على التسييح والتهيل ، وقراءة القرآن وطول الانتصاب في الصلاة ؛ وحتى يزعم أهله

(١) هو عبد الله بن همام السلولي . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوي للبيهقي ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي أخى عمر بن أبي ربيعة . . وخرج الفلاس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « أشراف » .

أَنَّهُ فوقَ الحجِّ والجهادِ ، وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهادٍ <sup>(١)</sup> . فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ  
سواءٌ ، طالَتِ الحُصُومَةُ مَعَكَ ، وشَغَلَتْنا [ بهما ] عَمَّا هُوَ أَوَّلَى بِنَا فَيْكَ . على  
أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ ، وجَلَلْتَهُ بِالْعَيْبِ ، صَارَتْ المَصِيبَةُ فَيْكَ  
أَجَلً ، والعزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ . وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَتَمَّا جازَ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا  
إِلَى أَمْنِ الأَعْيَانِ فِي الأسْوَاقِ ، وإِلَى عَظَمِ الحِجَمِ ، وإِلَى ما يَرُوقُ العَيْنَ  
ويَلَامُ النَفْسَ ، وَأَنَّهُمْ لِمَتَمَّا ذَهَبُوا إِلَى عاقِبَةِ الأمرِ فِيهِ ، وإِلَى نَتِيجَتِهِ ،  
وما يَنوَلُّدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النِّهَايَاتِ ، وَمِنْ بابِ السَّكَلِ والبُغْضِ ، وَكَانَ وَيَكُونُ ،  
وَمِنْ بابِ ما يَحِيطُ بِهِ العِلْمُ أَوْ ما يَفْضُلُ عَنْهُ ، وَمِنْ فَرَقِ [ ما <sup>(٢)</sup> ] بَيْنَ مَذاهِبِ  
الدُّهْرِيَّةِ وَمَذاهِبِ المَوْحِدِينَ . فَإِنْ كَانَ هَذَا العِذْرُ مَقْبُولاً ، وَهَذَا الحُكْمُ  
صَحِيحاً ، فَكَذَلِكَ نَقُولُ <sup>(٣)</sup> فِي السَّكَابِ ، لِأَنَّ السَّكَابَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ  
وَلَا قَدْرٌ فِي الصِّدْرِ جَلِيلٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَابَ صَيْدِ فَدَيْتِهِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ،  
وَإِنْ كَانَ كَلْبَ ضَرْعِ فَدَيْتِهِ شَاةٍ ، وَإِنْ كَانَ كَلْبَ دَارِ فَدَيْتِهِ زَنْبِيلٌ مِنْ  
تَرابٍ ، حَقٌّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، وَحَقٌّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ ،  
فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [ وَمُفْتَشِّهِ ] . وَكَوَامِنْ خِصَالِهِ ، وَدَفَائِنْ الحِكْمَةِ فِيهِ .  
وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَى عَجِيبِ تَدْبِيرِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ ، عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ؛  
فَلِذَلِكَ اسْتَجَاوُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ ، وَالتَّمثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ .

وَتَعْلَمُ أَيْضاً مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السَّكَابَ إِذَا كَانَ فِيهِ ، مَعَ خُصُولِهِ وَسُقُوطِهِ ،  
مِنْ عَجِيبِ التَّدْبِيرِ وَالنُّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأن يُفكر فيه ،  
ويُحمَد الله تعالى على ما أودعه من الحكمة العجيبة ، والنعمة السابغة .  
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرُ في التوحيدِ ، وفي نفي  
التشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي التعديل والتجوير ، وفي تصحيح الأخبار ،  
والتفصيل بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوب .

### (دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنك عمدتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى  
ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما<sup>(١)</sup> وصفت ، وإلاَّ وضعُ الكتبِ فيه والولايةُ  
والعداوةُ فيه ، ولا لهم لذةٌ ولا همٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلاَّ عليه وإليه ؛  
١٠٣ فحين أرادوا أن يُقسِّطوا بينَ الجميعِ بالحِصصِ ، ويُعدلوا بينَ الكلِّ بإعطاء  
كلِّ شيءٍ نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعاً ، ويظهرَ  
بذلك الخفيُّ من الحكم ، والمستورُ من التدبير ، اعترضتْ بالتعنُّتِ  
والتعجُّب ، وسطرت الكلامَ ، وأطلت الخطبَ ، من غير أن يكون  
صوبَ رأيك أديبٌ ، وشايَعك حكيم .

### (نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه  
ولسكنَّا نستأني بك وننتظرُ أوبتَكَ . وجدناَ لجميعِ أهلِ النَّقصِ ، ولأهلِ  
كلِّ صِنْفٍ منهم نُسكاً يعتمدون عليه في الجمال ، ويحتسبون به في الطاعة  
وطلبِ المثوبة ، ويفزعون إليه ، على قدرِ فسادِ الطَّبائعِ ، وضعفِ الأصلِ ،

(١) في الأصل : « بما » .

راضطرابِ الفرع ، مع خبث المنشأ ، وقلّة الثبوتِ والتوقّف ، ومع كثرة النقلب والإقدام مع أوّل خاطر : فنسك المريب المرتاب من المتكلمين أن يتحلّى برمى الناس بالريبة ، ويتزيّن بإضافة ما يجد في نفسه إلى خصمه ، خوفاً من أن يكون قد فطن له ، فهو يسترّ ذلك الداء برمى الناس به .

ونسك الخارجى الذى يتحلّى به ويتزيّن بجماله ، إظهار استعظام المعاصى ، ثم لا يلتفت إلى مجاوزة المقدار وإلى ظلم العباد ، ولا يقف على أن الله تعالى لا يحب أن يظلم الظالمين ، وأنّ في الحقّ ما وسع الجميع .

ونسك الحراسانى أن يحجّ وينام على قفاه ، ويعقد<sup>(١)</sup> الرياسة ، ويتميّأ للشهادة ، ويبسط لسانه بالحسبة . وقد قالوا : إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر . وتفسيره قريب واضح .

ونسك البنوى<sup>(٢)</sup> والجندى طرح الديوان ، والزراية على السلطان<sup>(٣)</sup> . ونسك دهاقين السواد ترك شرب المطبوخ<sup>(٤)</sup> . ونسك الخصى لزوم طرسوس وإظهار مجاهدة الروم . ونسك الرافضى ترك النبيذ . ونسك البستانى ترك سرقة الثمر . ونسك المغنى الصلّة في الجماعة وكثرة التسبيح ، والصلّة على النبيّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودىّ التشدّد في السبّ وإقامته .

والصوفىّ المظهر النسك من المسلمين ، إذا كان فسلاً يبغيض العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشئ .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفي مادة نصف « وكمظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف<sup>(١)</sup> وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصرانيُّ فسلًّا ندلاً مبغضاً للعمل ، ترهب ولبس الصُّوف ؛ لأنه واثق أنه متى لبس وتزياً بذلك الزِّيَّ وتحلَّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السِّما ، أنه قد وجبَ على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلم المريب أهل البراءة ، ظنَّ أنه قد حوّل ريبته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمانة ، ووقفَ على النهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلم أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

## باب

مما قدّمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجزأ من الليث ، وأجبن من الصَّفَرْد ، وأسخى من لافِظة ، وأصبر على الهوان<sup>(٢)</sup> من كلب ، وأحذر من عَقَعَق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرفة<sup>(٣)</sup> وأظلم من حيّة ، وأغدر من الذئب ، وأحيث من ذئبِ خمر<sup>(٤)</sup> وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحقُّ من حُبّارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذب من فاختة ، وألأم من كلبٍ على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبعض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من سُرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمير » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .



وَأَجْمَعُ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَأُضِلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِي<sup>(١)</sup> ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنَ الظَّلِيمِ ، وَأُضِلُّ مِنْ وَرَلٍ<sup>(٢)</sup> وَأُضِلُّ مِنْ ضَبٍّ ، وَأُضِلُّ مِنْ الْحَيَّةِ .

فَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِعِبَارَةٍ كَالْعِبَارَةِ عَنِ النَّاسِ ، فِي مَوَاضِعِ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ مِنَ الْمَلُومِينَ وَالْمَشْكُورِينَ ، ثُمَّ يَعْبُرُونَ فِي هَذَا الْبَابِ الْآخَرِ بِدُونِ هَذَا التَّعْبِيرِ ، وَيَجْعَلُونَ خَبَرَهُمْ<sup>(٣)</sup> مَقْصُورًا عَلَى مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْغَرِيزَةِ وَالْقُوى فَيَقُولُونَ : أَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ ، وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ ، وَأَطُولُ ذِمَاءً مِنْ ضَبٍّ ، وَأُصْحُ مِنَ الظَّالِمِ .

وَالثَّانِي يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْحَمْدِ وَالذَّمِّ ، وَالْأَوَّلُ يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ اللَّائِمَةِ وَالشُّكْرِ<sup>(٤)</sup> . وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ ، لِأَنَّ كُلَّ مَشْكُورٍ مَحْمُودٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَحْمُودٍ مَشْكُورًا ؛ وَكُلُّ مَلُومٍ مَذْمُومٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَذْمُومٍ مَلُومًا . وَقَدْ يَحْمَدُونَ الْبَلَلَةَ وَيَذْمُونَ الْآخَرَى ، وَكَذَلِكَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ اللَّوْمِ وَلَا عَلَى جِهَةِ الشُّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْأَجْرَ<sup>(٥)</sup> لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى جِهَةِ التَّخْيِيرِ وَالتَّسْكُفِ ، وَإِلَّا عَلَى مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْإِسْطَاعَةِ<sup>(٦)</sup> وَالْأَوَّلُ إِنَّمَا يُنَالُ بِالْخَلِيقَةِ وَبِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ أَنْ يُسَمَّى عَقْلًا ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ قُوَّةٍ تُسَمَّى إِسْطَاعَةً . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب ما في ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه ما في ل .

(٥) ط : « الآخر » وهو تصحييف .

(٦) ط : « ما لا يتقال التبعي بالاستطاعة » وهى عبارة مشوهة .

## باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها<sup>(١)</sup> ومثالبها ، من لؤمها وجبنها<sup>(٢)</sup> وضعفها وشرها ، وغدرها وبذائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، وتنهبها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وإمساكها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياها وقلة ردها<sup>(٣)</sup> ومن ضرب المثل بلؤمها ونذاتها ، وقبحها وقبح معاذلتها<sup>(٤)</sup> ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها ، وتقدر المسلمين من دنوها<sup>(٥)</sup> [ وأنها تأكل لحوم الناس ] ، وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق : كالغزل في الدواب وكالراعي في الحمام<sup>(٦)</sup> ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيّة ولا جنيّة ، وأنها من الجن<sup>(٧)</sup> دون الجن ، وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ ، وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى ، وأنها يعتريها الكلاب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكمنا ذلك حكمنا قول من عدد محاسنها ، وصنف مناتها ، وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيّاها<sup>(٨)</sup>

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعاييب جمع معاب أو معايب بمعنى العيب ، فيأوه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثار معيشة ومعاش .

(٢) ط : « وخبيثها » والكلب يرصف بالجن .

(٣) الرد : النفع . ماعدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاعبي من الحمام » وهو تصحيف نهبت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفدية الرجال إيّاها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإلفها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف<sup>(١)</sup> والأدب المحمود . وذلك سيوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذها واهتمامها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدة منعها معاقدة الذمار منها<sup>(٢)</sup> ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها<sup>(٣)</sup> وبُعْدِ أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأخوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لقنها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها<sup>(٤)</sup> وخدمتها ، وجدّها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث الماثورة ، وبالكُتب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها<sup>(٥)</sup> ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسماتها وشيأتها ، وعن دوائها وأدائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منبتها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلال والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف كسكرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقن منها<sup>(١)</sup> وعن أعراقها والخارجي منها<sup>(٢)</sup> وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال :  
قال الجارود بن أبي سبرة<sup>(٣)</sup> في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بحَوْلِهِ      وقُوَّتِهِ أخزى ابنَ حَمْرَةَ مالِكا  
فَنُ كَانَ عَنْهُ بِالْمَغِيبِ سَائِلًا      فقد صارَ في أرضِ الرُّصَافَةِ هالكا  
تظُلُّ الكلابُ العادياتُ يَنْشُنُهُ      إذا اجْتَبَيْنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حَالِكا<sup>(٤)</sup>

وقال نفع بن صفار المحاربي<sup>(٥)</sup> من ولد محارب بن خصفة<sup>(٦)</sup>  
في حرب قيس وتغلب :

أَفْتَتَ بَنَى جُشَمَ بْنَ بَكْرِ حَرْبُنَا      حَتَّى تَعَادَلَ مَيْلُ تَغْلِبٍ فَاسْتَوَى  
أَكَلَ الْكِلَابُ أَنْوَفَهُمْ وَخُصَاهُمْ      فَلْتَبِكَ تَغْلِبُ لِلْأَنْوَفِ وَلِلْخُصَى  
وقال أبو يعقوب الحرّمي ، وهو إسحاق بن حسان بن قوهي<sup>(٧)</sup> في

قتلى حرب بيغداد :

(١) ط : « لا تلقى منها » وهو تحريف .

(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل « العريق » كما في البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .

(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أئبن الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلحا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقته الحجاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .

(٤) ل : « ينشئه » مكان « ينشئه » ط : « إذا اجتن مستورا » .

(٥) ط : « نفع بن الصفار المحاربي » وأثبت ما في ل .

(٦) ط : « خصفة » والصواب « خصفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .

(٧) ط : « ابن يعقوب الحرّمي . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآ له فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم =

وَهَلْ رَأَيْتَ الْفَتِيَانَ فِي بَاحَةِ الْمَعْرَكِ مَعْفُورَةً مَنَاحِرُهَا (١)  
 كُلَّ فَتًى مَانِعٍ حَقِيقَتَهُ يَشْقَى بِهِ فِي الْوَعَى مَسَاعِرُهَا  
 بَاتَتْ عَلَيْهِ السَّكَلَابُ تَنْهَشُهُ مَحْضُوبَةٌ مِنْ دَمٍ أَظَافِرُهَا  
 وَقَالَ أَبُو الشَّعْمَقِ (وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ،  
 وَيَكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ) (٢) :

يُوسُفُ الشَّاعِرُ فَرَّخٌ وَجَدُوهُ بِالْأُبُلَّةِ  
 حَلَقِي قَدْ تَلَقَّى كَامِنًا فِي جَوْفِ جُلَّةِ (٣)  
 خِيَطُوهَا خَشِيَّةَ الْكَلْبِ عَلَيْهِ بِمَسَلَّةِ

وَذَكَرَ لِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ إِذْ أَقْبَلَ وَكَيْعُ  
 ابْنِ أَبِي سُودٍ فَجَلَسَ ، فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ : مَا تَقُولُ فِي دَمِ الْبَرَاغِيثِ يُصِيبُ  
 الثَّوبَ : أَيْصَلِّي فِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا عَجِيبًا مِمَّنْ يَلْغُ فِي دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ ،  
 ثُمَّ يَسْأَلُ عَنْ دَمِ الْبَرَاغِيثِ !! فَقَامَ وَكَيْعٌ يَتَخَلَّجُ فِي مِشْيَتِهِ كَتَخَلَّجِ الْمَجْنُونِ ،  
 فَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ عَضِيٍّ مِنْهُ نِعْمَةٌ فَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، اللَّهُمَّ  
 لَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَقَوَّى بِنِعْمَتِكَ عَلَى مَعْصِيَتِكَ !!

= وَأَبُوهُ خَرِيمُ الْمَوْصُوفِ بِالنَّاعِمِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَهُ مَدَائِحُ فِي مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ  
 ابْنِ زِيَادٍ وَيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَغَيْرِهِمَا . هـ . السَّجِسْتَانِي : الْخَرِيمِيُّ أَشْعَرُ الْمَوْلَدِينَ » .  
 وَانْظُرْ لَخَرِيمِ النَّاعِمِ قَامُوسُ الزَّرْكَلِيِّ ١ : ٢٩٠ ، وَأَمْثَالُ الْمَيْسَدَانِي ٢ : ٢٨١ . وَالْقَصِيدَةُ فِي  
 تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

(١) ط : « سَاعَةٌ » - وَلَعَلَّهَا « سَاحَةٌ » - مَوْضِعٌ « بَاحَةٌ » .

(٢) تَرْجُمَتُهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ ٧١٢٨ وَابْنِ خُلِّكَانَ ، فِي تَضَاعِيفِ تَرْجُمَةِ يَزِيدِ  
 ابْنِ مَزِيدٍ ، وَلَمْ يَقْرُدْ لَهُ تَرْجُمَةً . وَأَبُو الشَّعْمَقِ اجْتَمَعَ بِبِشَارٍ وَأَبِي نَوَاسٍ ، وَدَخَلَ  
 بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ .

(٣) ط : « حَلَقِي بَلَقِي » . وَانْظُرْ شِفَاءَ الْغَلِيلِ لِلْخَفَاجِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْحَلَقِ . وَالْبَلَقُ لَعَلَّهُ  
 مَنْسُوبٌ إِلَى الْبَلَقِ بِالْتَحْرِيكِ بِمَعْنَى الْحَقِّ ، وَ« كَامِنًا » هِيَ فِي الْأَصْلِ « كَامِنٌ » وَالْوَجْهَةُ النَّصَبُ .

## ( ما أضيف من الحيوان إلى خبث الراحمة )

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضاف إلى نتن الجلود وخبث الراحمة ، كريح أبدان الحيات ، وكنتن الثيوس وصنن عرقها ، وكنتن جلد الكاب إذا أصابه مطر . وضروب من النتن في سوى ذلك ، نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال روح بن زنباع الجذامي في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :  
ريحُ الكرائمِ معروفٌ له أَرَجٌ وريحُها ريحُ كلبٍ مَسَّهُ مَطَرٌ  
قال : وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر بنت الشَّعمان بن بشير ،  
١٠٧ وكان عبدُ الملك زوجه إياها ، وقال : إنها جاريةٌ حسناء ، فاصبرُ على  
بذاء لسانها .

وقال الآخر :

وريحُ مجروبٍ وريحُ جُلَّةٍ وريحُ كلبٍ في غداةٍ طَلَّةٌ<sup>(١)</sup>  
وأنشد أبو زيد في ذلك :

كَأَنَّ رِيحَهُمْ مِنْ خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا بَلَّهَا الْمَطَرُ<sup>(٢)</sup>  
ومما ذكر به الكلبُ في أكله العنبرة ، قولُ الراجز :

\* أَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عِقَى صَبَى<sup>(٣)</sup> \*

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [ في ذكره ] لابنه السَّرَنْدَى :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقى » والصواب بالقاف كما في ل . والعقى بالكسر : ما يخرج من  
بعان الولد حين يولد .

مَا لَسَرَنَدَى أَطَالَ اللَّهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفْرِ الْبَيْدِ وَادَّلَجَا (١)  
 جَمَعَ خَبِيثٌ يُعَاطِي الْكَلْبَ طَعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَلَجَا (٢)  
 رَبَّيْتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَصْرُبُهُ  
 وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدَجَا (٣)

يقال للذى يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر  
 العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شدد بطنه للسمن قيل قد صُربَ  
 ليسمن (٤) . والعقي وهو العقية الغيبة ، وإيأه عني ابن عمر حين قيل له :  
 هلاً بايعت أخاك ابن الزبير ؟ فقال : إن أخى وضع يده في عقية (٥) ودعاه  
 إلى البيعة . إني لا أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة (٦) .

وفي الحديث المرفوع : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » . وهذا  
 المثل في الكلب .

ويقال : « أبخل من كلب على جيفة » . وقال بعضهم في الكلب :  
 الجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ، يأكل العذرة ويرجع في قيئه ،  
 ويشغَر ببوله فيصير في جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تِلْقَاءَ (٧) خيشومه .

(١) ط : « بغير البيد » .

(٢) ط : « ربح خبيث » وهو تحريف . والمجمع بالكسر : الأحق ، إذا جلس لم يكده  
 يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفي ل « أطعمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتي .

(٤) في الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفي ط : « ضرب » مكان « قد صرب »  
 وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب في ل .

(٦) ط : « واضعا في فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إِنْ كُنْتُمْ لِمَا تَسْتَسْقُطُونَ الْكَلْبَ<sup>(١)</sup>  
وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أُنْتُنُ من العذرة ، والعذرة شرٌّ من  
القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط  
الغريض الغضّ .

### (مَا كُلُّ السَّبْعِ)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع  
الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة .  
ويبدأ بعد شُرْب الدّم فيقْرِ بطنه ويأكل ما فيه من الغثينة والثفل<sup>(٢)</sup>  
والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه<sup>(٣)</sup> ورث السنور ذلك .

### (مَا قِيلَ فِي السَّبْعِ مِنَ الْأَمْثَالِ)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شِدَّة الإقدام<sup>(٤)</sup>  
١٠٨ والصّولة ، فيقال : « ما هو إلّا الأسد على برائته » و « هو أشدُّ من الأسد »  
و « هو أجراً من الليث العادي » و « فلان أسدُّ البلاد » و « هو الأسد  
الأسود<sup>(٥)</sup> » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فسكفأك من نُبُل الأسد  
أنّه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسقطون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القتيئة » والثفل « وهو تحريف مافي ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسور » ولعله « وهو أسد الأسود » .



أَن يَصِفُوهُ بِالْكَبِيرِ وَبِقَلَّةِ الْإِتِمَاتِ ، وَبَأَنَّ أَنْفَهُ فِيهِ أَسْلُوبٌ <sup>(١)</sup> وَلِأَنَّ الْأَسَدَ يَلْتَفِتُ مَعاً لِأَنَّ عُنُقَهُ مِنْ عَظَمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ حَاتِمٌ <sup>(٢)</sup> :

هَلَا إِذَا مَطَرَ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ <sup>(٣)</sup> وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَصِيدِ  
وَقَالَ الْآخَرُ :

يَذُودُونَ كَلْباً بِالرَّيْحِ وَطَيْئاً وَتَغْلِبَ وَالصَّيْدَ النَّوَظِرَ مِنْ بَكَرٍ  
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَكَمْ لِي بِهَا مِنْ أَبٍ أَصِيدٍ نَمَاهُ أَبٌ مَاجِدٌ أَصِيدٌ <sup>(٤)</sup>  
وَبَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ الْجِيْفَةَ لَمْ يَبْعُدْ مِنْ طَبْعِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ  
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَهِي اللَّحْمَ الْغَابَّ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْتَهِي النَّمَكُسُودَ <sup>(٥)</sup> .  
وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمَكُسُودِ وَبَيْنَ الْمَصْلُوبِ الْيَابِسِ كَبِيرُ فَرْقٍ ، وَإِنَّمَا يَذْبَحُونَ  
الدِّيَكَةَ وَالْبَطْطَ وَالْدَّجَاجَ وَالْدَّرَاجَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، لِيَسْتَرْخِيَ لَحْمُهَا ،  
وَذَلِكَ أَوَّلُ التَّجْيِيفِ <sup>(٦)</sup> .

فَالْأَسَدُ أَجْمَعُ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنَ السَّكَابِ ، فَهَلَا ذَكَرْتُمْ بِذَلِكَ الْأَسَدَ  
وَهُوَ أَنْبَهُ ذِكْراً وَأَبْعَدُ صَيْتاً .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ نَتْنِ الْجِلْدِ وَمِنْ اسْتِنْشَاقِ الْبُولِ ، فَإِنَّهُ لِلتَّيْسِ فِي  
ذَلِكَ مَا لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَقَدْ شَارَكَهُ فِي الْحَذْفِ بِبُولِهِ تَلْقَاءُ أَنْفِهِ ، وَبَابِنَهُ  
بَشْدَةِ الصُّنَّانِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ لَهُ أَكْثَرُ ذِكْراً . وَفِي الْعِزِّ أَيْضاً عِيُوبٌ .

(١) ل : « وَبَأَنَّ أَنْفَهُ أَسْلُوبٌ » ط : « . . . فِي أَسْلُوبٍ » وَسَوِيَتِ الْعِبَارَةُ كَمَا تَرَى .  
وَالْأَسْلُوبُ : الشَّمُوحُ فِي الْأَنْفِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « أَبُو حَاتِمٍ » وَإِنَّمَا هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي ، وَالْبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ سِتَّةِهَا خَبِيرُ  
فِي آخِرِ دِيْوَانِهِ بِخَمْسَةِ دَوَائِنَ الْعَرَبِ ١٢٨ .

(٣) ط : « مَطَرَتْ سَمَاوُكُمْ بِهَا » ، وَفِي الدِّيْوَانِ :

« هَا إِنَّمَا مَطَرَتْ سَمَاوُكُمْ دَمَا »

(٤) ط : « نَمَاهُ لِمَجْدِ أَبٍ أَصِيدٍ » .

(٥) انْظُرْ لِلنَّمَكُسُودِ مَا وَرَدَ فِي تَذَكُّرَةِ دَاوُدَ .

(٦) مَاعِدَالُ وَالْأَمْبُرُوزِيَانَا « التَّجْيِيفُ » .

وفى توجيه التيس ببوله إلى حاق خيشومه قال الشاعر لبعض  
من يهجوّه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ      فعَادَ لك المُسْمَى فأَسْمَاك بالقحر<sup>(١)</sup>  
وما القَحْرُ إِلَّا التيسُ يَعْتِكَ بولُهُ      عَلَيْهِ فيمذَى فى لَبَانٍ وفى نحر<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر فى مثل ذلك<sup>(٣)</sup> :

أَعْمَانُ بنُ حَيَّانَ بنِ لُؤْم      عَتُودٌ فى مفَارِقِهِ يَبُولُ  
ولو أُنَى أَشَافُهُ لَشَالَتْ      نَعَامَتُهُ ويفهم ما يقول  
وبعد فما يُعَلِّمُ من صَنِيعِ العَزِ<sup>(٤)</sup> فى لبْنها وفى الارتضاع من خلفها  
إِلَّا أَفْبَحَ .

وقال ابن أَحْمَرَ البَاهِلَى فى ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنَى مَهْمٍ وَجَاهِلِهِمْ      كَالْعَزِ تَعَطِفُ رَوْقِهَا وَتَرْتَضِعُ<sup>(٥)</sup>  
وقلم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السَلْمَى<sup>(٦)</sup> بعضَ الكِرَامِ ، حينَ عَزَلٍ عن  
يَنْبُعٍ ، فقال لمن ظنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا عَزَلٍ لِمَكَانِهِ :

رَكِبُوكَ مُرْتَحِلًا فَظَهَرُوكَ مِنْهُمْ      دَبِيرُ الحِرَاقِفِ والفَقَارِ مُوقِعُ  
كَالسَلْبِ يَتَّبَعُ خَانِقِيهِ وَيَنْتَحَى      نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يَعْزُّ وَيَمْنَعُ

- 
- (١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما فى ل ، والقحر أصل معناه البير المسن .  
(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه  
أى لم يهنه عنه شيء . . . وفى ل : « ويمذى فى اللبان وفى النحر » .  
(٣) هو المزارر الفقعى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .  
(٤) ل : « فانعلم صنيع » .  
(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وحاملهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ ومنه يون  
الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .  
(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هرمة الفهرى :

فما عادت لذي يمنٍ رءوسا ولا ضرت بفرقتها زاراً  
كعز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه  
إلا أسمع<sup>(١)</sup> وأقدر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك  
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللجان أشد أكلاً  
ولا أشد عجباً به منكم<sup>(٢)</sup> ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم  
هذه الأنعام أفتانها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود الماشية في الجرة ، ورجوعها  
في الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع في القيء . وقد زعمت أن جرة البعير  
أنتن من قيء الكلاب لطول غبؤها<sup>(٣)</sup> في الجوف ، وانقلابها إلى طباع  
الزبل ، وأنها<sup>(٤)</sup> أنتن من الثلط . وإنما مثل الجرة مثل الريق الذي ذكره  
ابن أحرر فقال :

هذا الثناء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل<sup>(٥)</sup>  
فإنما مثل القيء مثل العذرة ؛ لأن الريق الذي زعمت ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف ما في ل .

(٢) وضعت كلمة ( به ) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريباً  
وكما في ل .

(٤) في ط : « وأنه » وفي ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع  
إلى الجرة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايل موضعه ، ومتى زایل فَمَ صاحبه إلى بعض جلده اشتدَّ نثنه وعادَ في سبيل القى .

١١٠ فالريق والجِرَّةُ في سبيل واحد ، كما أن القى والعذرة في سبيل واحد . ولو أن السكَبَ قلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مبانةٍ له ، اكان في ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام في جرَّتِها ، وحشيتِها وأهلِيتها ، وإنَّ الأرانِبَ لتَحِيضُ حِيضاً نَتِناً ، فإِذا عافَ لحمُها أصحابُ التَّقَدُّرِ<sup>(١)</sup> لمشاركتِها الأنعامَ في الجِرَّةِ .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عبتُموه من أكلِ العذرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ في الماشية المتخيرة لحمُها على اللُحْمان ؛ لأنَّ الإبل والشاء<sup>(٢)</sup> كلُّها جَلالَةٌ وهُنَّ على يابس ما يخرج من الناسِ أحرَصُ ، وعلى أنَّها إذا تَعَوَّدتْ أَكَلَ ما قد جفَّ ظاهره وداخله رطباً ، رَجَعَ أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعذرة ، وبما يَبْقَى من الحبوب التي لم يَأْتِ عليها الاستمراء والمضْم ، حتَّى تلتَمِسَ الديدانَ التي فيها ، فيجمع نوعين من العذرة<sup>(٣)</sup> لأنَّها إذا أَكَلت ديدان العذرة فقد أَتَتْ على النوعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكم<sup>(٤)</sup> في هجائه الأنصار نجيب الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقرز » وهو الاشتزاز . والتقدر من تقدر الشيء : عده قدراً .  
(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .  
(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو من ولى الكونة وأسأها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فعزله وأطرحه . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثلَ بالدَّجَاجِ من بين جميع الحيوان ، وترك ذِكر الكلاب وهي له مُعرِضة فقال :

وَلَلْأَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا مُلْحِثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ<sup>(١)</sup>  
ولو قال :

وَلَلْأَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا مُلْحِثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ  
لكان الشعر صحيحاً مرضياً .

وعلى أن الكلاب متى شِيعت ، لم تعرض للعذرة . والأنعام الجلالة . وكذلك الحافر ، قد جعلت ذلك كالحمض إذا كانت لها خلة ؛ فهي مرة تتغذى به ومرة تتحمض . وقد جاء في لحوم الجلالة ماجاء .

### ( رغبة الملوك والأشراف في الدجاج )

وملوكنا وأهل العيش منا ، لا يرغبون في شيء من اللحان رغبتهم في الدجاج ، وهم يقدمونها على البط والنواض ، والقبيج والدراج . نعم وعلى الجداء والأعناق الحمر من بنات الصفايا . وهم يعرفون طبعها وسوء قوتها<sup>(٢)</sup> ، وهم مع ذلك يأكلون الرواعي كما يأكلون السمكات .

### ( الشبوط أجود السمك )

وأطيب ما في الأنهار من السمك ، وأحسنها قدوداً وخرطاً ، وأسبغها سبوطاً<sup>(٣)</sup> ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطرى ، وفي

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوبة وسبوطا .

القريش والذشوط<sup>(١)</sup> ، وليس في الماء سمكة رفيعة الذكر ولا ذات  
نحول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإنها [ في ذلك ]<sup>(٢)</sup> لأشد  
طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

### ( لحم الخنزير )

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل  
١١٦ الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضلونها .  
ولولا التبعّد لجري عندنا تجراه عند غيرنا .  
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذنانها<sup>(٣)</sup> .

### ( ما قيل في الجري )

وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العُميان ، وجيد في السكوشان<sup>(٤)</sup>  
ودواء للسكريتين<sup>(٥)</sup> ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على  
اليهود ، وغيظ على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة  
بعض البدع ، ولم يفلح عليه أكثر منه قط ، وهو محنة بين المبتدع

(١) في القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جدد . وفي مبادئ  
اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش »  
وفي ل : « القريس » وهما كلمتان محرفتان . وأما الذشوط فهي كلمة ساقطة  
من ط . والذشوط : سمك يعمر في ماء وملح .

(٢) الكلمة من الأميروزيانا .

(٣) في ط : « لأذنانها محشوا » وفي ل : « لأذنانها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان  
مقحمتان فأسقطتهما . واللام في « لأذنانها » بمعنى إلى .

(٤) السكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في السكريتين » وهو تحريف .

والسُّنِّي ، هلك فيه فِتْنَتَانِ (١) مذ كانت الدنيا : محللٌ ومحرمٌ .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلد ، ناقصُ الدماغ ، يلتهم العذرة ويأكل الجرذان (٢) [ صحاحاً والفأر ] ، وزهيمٌ لا يُستطاعُ أكله إلا محسباً (٣) ولا يتصرفُ تصرفَ السمك ، وقد وقع عليه اسمُ المسخ ، لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ ولا يؤكل ] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرى كله إلا ذنبه (٤) .

والأصناف التي تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجلالات من الأنعام والجرى والشبوط من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاج والرخم والهداهد .

### ( الأنوق وما سمي بهذا الاسم )

وقد بلغ من شهوة الرنحة لذلك ، أن سموها الأنوق ، حتى سموا كل شيء من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حتى إذا أضحي تدري واكتحل لجارتيه ثم ولي فثقل  
\* رزق الأنوقين القرنبي والجعل (٥) \*

(١) ط : « فتیان » وليس بشيء .

(٢) ط : « يلتهم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما في ل . وانظر ماسياني في ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبخ للبندادي ٦٤

حيث ذكر صفة الحمى . وفي سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بکله إلا ذنبه » .

(٥) في الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

( ما قيل من الشعر في الجعل )

ولشدّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبيت في مجلس الأقبام يربوهم كأنه شرطيّ بات في حرس  
وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتوه بطعامٍ وأكل<sup>(٢)</sup> بات يعشى وحده ألقى جعل  
هذا البيت يدلُّ على عِظَم مقدار النَجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أن الجعل  
يقتات البراز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبّـل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا  
لأن الشعر يرتفع عنه .  
والشعر قوله :

نعم جارُ الخنزيرةِ الموضعُ الغر ثي إذا ما غدا أبو كلثوم<sup>(٣)</sup>  
ثاوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثريدٍ ملبّقٍ مأدوم<sup>(٤)</sup>  
ثم أنحى بجعره حاجبَ الشـمـ سرٍ فألقى كالمُعْدِفِ المَهْدُومِ<sup>(٥)</sup>  
بضريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلهِ المركومِ

وقال الراجز [ في مثل ذلك ] :

قد دقّه ثاردهُ وصومعا<sup>(٦)</sup> ثُمّتَ ألبانَ البَخاقي جعجعا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة الموضع الفرثي » ، وتصحيحه من ل ومن البيان  
٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجعره » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومعة :  
مدققة الرأس .



جَعَجَعَةَ الْعُودِ ابْتَغَى أَنْ يَنْجِعَا<sup>(١)</sup> ثَمَّتَ خَوْيَ بَارِكًا وَاسْتَرْجَعَا  
\* عَنْ جَائِثٍ يُحْسَبُ كَلْبًا أَبْقَعَا<sup>(٢)</sup> \*

وفي طلب الجعل للزبل قال الراجز ( وهو أبو العُصْنِ الأَسَدِي ) :  
ما ذا تَلَاقَى طَلَحَاتُ الحَرْجَةِ من كل ذات مُخْنَقٍ غَمَلَجَةٍ<sup>(٣)</sup>  
ظَلَّ لها بَيْنَ الحَلَالِ أَرْجَهُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الضُّرَاطِ وَالْفُسَاءِ السَّمِجَةِ<sup>(٥)</sup>  
فَجِئْتُهَا قَاعِدَةً مَنْشِجَةٍ<sup>(٦)</sup> تَعْطِيهِ عنها جُعَلًا مُدَحْرَجَةٍ  
وقال يحيى الأغر : تقول العرب « سَدَكْ به جُعَلُهُ »<sup>(٧)</sup> . وقال الشاعر :  
إِذَا أُتِيتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنَّ الشَّقَّ الَّذِي يُغْرَى بِهِ الْجُعَلُ<sup>(٨)</sup>  
يضرب هذا المثل للرجل إذا لَصِقَ به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه  
[ وهو ] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء ، فكلما قام  
لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

### ( القرني )

وفي القرنبي يقول ابن مقبل :

- (١) ط : « جعجعة العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .  
(٢) في القاموس : « البقع محرّكة في الطير والكلاب كالبلق في الدواب » وفيه :  
« البلق : سواد وبياض » وفي ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .  
(٣) ط : « نخنق » ولا معنى له وصوابه في ل . والبخنق : خرقه تتقنع بها الجارية .  
(٤) ل : « بين الحجال »  
(٥) ل : « السهجة » .  
(٦) ل : « مفسحة » .  
(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هي سدك - بمعنى لزم - كما في ل . وفي الأمثال :  
« ألصق من جعل » .  
(٨) شب ، أي أتيح . وعنى بالجعل الواشي . أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجاراتِ بالليلِ قابعاً قُبُوعَ القَرْنَبِيِّ أَخْلَفَتْهُ مجاعره (١)  
والقبوع: الاجتماع والتقبض . والقَرْنَبِيُّ : دويبةٌ فوق الخنفساء ودون  
الجعل ، وهو والجعل يتبعان الرجلَ إلى الغائط .

### ( الهدهد وخبث ريحه )

ومن الطير الذى يُضَارِع الرَّخْمَةَ فى ذلك الهدهد ، متنبئ البدن وإن لم  
تجدّه ملطخاً بشئٍ من العذرة ؛ لأنّه يبنى بيته ويصنع أفحوصه من الزُّبُل ،  
وليس اقتيائه منه إلّا على قدر رغبته وحاجته فى ألاّ يتخذ بيتاً ولا أفحوصاً  
إلّا منه ، فخامرّه [ ذلك ] الثَّئِنْ فَعَلِقَ ببدنه وجرى فى أعراق أبويه ؛ إذ كان  
هذا الصنيع عامّاً فى جنسه (٢) .

وتعترى هذه الشهوة الذّبان ، حتّى إنّها لو رأت عسلاً وقدراً ، لكانت  
إلى القدر أسرع . وقال الشاعر (٣) :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يُقْصَى الْمُومَ عَلَى بَثْقِ (٤)  
وأعظمُ زهوّاً من ذبابٍ على خيراً (٥) وأبخلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِ (٦)  
ويزعمون أنّ الزُّنْبُورَ لهجٌ بصيد الذّبان ، ولا يكاد يصيده (٧) إلّا وهو

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ما فى ل .

(٢) ط : « إذ كان هذا التضييع عامّاً فى جنبه » وهو تحريف ما فى ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكما فى البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار

١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى .

(٤) البثق : منبعث الماء . ماعدا ل : « بثق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإذا أكل لحمه فمراق - كغراب - أو  
كلاهما لكليهما .

(٧) ط : « يصيد » وأوجه ما فى ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ ولا ستفراغها ] ، فيعرف الزنبور ذلك ، ١١٣  
 فيجعل غفلته فرصة ونهزة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجد يروم صيده  
 وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الحلاوة .

### ( شعر في الهجاء )

وقال أبو الشَّمِمْق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسُ الْأَنْتَانِ وَالْقَذِرَةَ  
 وَابْنُ عَمِّ الْحَمَارِ فِي صُورَةِ الْفَيْلِ وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقَرَةَ  
 يَمْشِي رُويْدًا يَرِيدُ خَلَقْتُمْ كَمْشَى خِنْزِيرَةٍ إِلَى عَذْرِهِ<sup>(١)</sup>  
 وَقَالَ حَمَادُ عَجَرَدٍ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعَقِيلِيِّ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شِبْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوْرًا  
 أَشَبَّهَ بِالْخِنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا رَأْيَنَا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا<sup>(٣)</sup>  
 لَوْ طَلَيْتُ جِلْدَتَهُ عَنَبْرًا لَنَدَنَّتْ جِلْدَتُهُ الْعَنَبْرًا<sup>(٤)</sup>  
 أَوْ طَلَيْتُ مِسْكَأً ذَكِيًّا إِذْنُ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا  
 وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ :

إِذَا مَا مَدَحْتُ قَتِيَّ مِنْ خِرَا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرَا<sup>(٥)</sup>

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلُمُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كان مُتَنِّ العرق :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشي » والوجه ما في ل .

(٢) المسكر - كنزل - : الأصل والخبر .

(٣) الطفس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كقدر وزنا ومعنى .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفدت » .

(د) ط : « من خري » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا<sup>(١)</sup> وَرَعَدَتْ حَافَتُهُ وَبَرَقَا  
أَهْلَكَتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا  
\* أَخْبَثُ شَيْءٌ عَرَقَا وَخِرَقَا<sup>(٢)</sup> \*

وقال حمادُ عَجَرَدٍ فِي بَشَّارٍ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فَتُثَلِّ الـ كَلْبُ فِي الْخَلْقِ أَأَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ<sup>(٣)</sup>  
بَلْ لَعَمْرِي لَا أَنْتَ شَرُُّ مِنَ الْكَلْبِ وَأَوَّلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ  
وَلَرِيحُ الْخِنْزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التُّبَّانِ  
وقال بعض الشعراء في عبد الله بن عمير :

١١٤ غَزَا ابْنُ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ ثَنَاءً كَرِيحِ الْجَوْرَبِ الْمُتَخَرِّقِ  
وقال حمادُ عَجَرَدٍ فِي بَشَّارٍ<sup>(٤)</sup> :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَغْرِثُ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ<sup>(٥)</sup>  
لِلْقِرْدِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرِغْمِ الْقِرْدِ أَوْ تَعْسِهِ<sup>(٦)</sup>  
لِلْقِرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارُ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ<sup>(٧)</sup>  
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْمَةٍ بَنَابِهِ يَا قِرْدُ أَوْ ضِرْسِهِ  
نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إِذَا عَارِضِي تَأَلَّقَا » .

(٢) ط : « أَحْرَقَا وَعَرَقَا » .

(٣) في ط نقصان كلمة ( إِلَيْكَ ) وبذلك يَحْتَلِ البيت . والشعر من الخفيف لحقه التثنية  
في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . في رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نَحْسُهُ » ولعلها « نَحْسُهُ » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « مَا الَّذِي أَدْنَاكَ » .

وليس بالمُقْلِعِ عَنْ غِيَّهِ (١) حَتَّى يُدَلِّي الْقِرْدُ فِي رَمْسِهِ  
 مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئاً لَهُ مِنْ جَنْهِ طُرّاً وَمِنْ إِنْسِهِ  
 وَاللَّهُ مَا الْخَزِيرُ فِي نَتْنِهِ مِنْ رُبْعِهِ بِالْعُشْرِ أَوْ خُمْسِهِ  
 بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ وَمُسَّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ  
 وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَنَفْسُهُ أُنْبَلُ مِنْ نَفْسِهِ  
 وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ (٢) وَجِنْسُهُ أَكْرَمُ مِنْ جِنْسِهِ  
 وَأَنَا حَفَظْتُكَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْتَظْهِرُ وَضَعَهُ الْخَزِيرَ بِهَذَا الْمَكَانِ وَفِي هَذَا  
 الْمَوْضِعِ ، حِينَ يَقُولُ : وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ .

وَأَيُّ عُودٍ لِلْخَزِيرِ (٣) ؟ ! قَبَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، [ وَقَبَحَ مِنْ يَشْتَهِي أَكْلَهُ ] .  
 وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدُ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

إِنَّ ابْنَ بُرْدٍ رَأَى رُؤْيَا فَأَوَّلَهَا (٤)  
 رَأَى الْعَمَى نِعْمَةً لِلَّهِ سَابِغَةً عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَكْفُوفاً عَنِ النَّظَرِ  
 وَقَالَ : لَوْلَمْ أَكُنْ أَعْمَى لَكُنْتُ كَمَا  
 أَكَدْتُ نَفْسِي بِالتَّطْيِينِ مَجْتَهِداً  
 أَوْ كُنْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَقْنَعْ بِفَعْلِ أَبِي  
 كَأَخْوَتِي دَائِباً أَشْقَى شَقَاءَهُمْ  
 فَقَدْ كَفَانِي الْعَمَى مِنْ كُلِّ مَكْسَبَةٍ  
 وَلَا مَشُورَةٍ لِنَاسٍ وَلَا أَثَرٍ  
 قَدْ كَانَ بُرْدٌ أَبِي فِي الضِّيقِ وَالْعُسْرِ  
 إِمَّا أَجِيراً وَإِمَّا غَيْرَ مُؤْتَجِرٍ  
 قَصَّابَ شَاءَ شَقَى الْجَدِّ أَوْ بَقَرٍ  
 فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْإِدْلَاجِ وَالْبُسْكَرِ  
 وَالرِّزْقُ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدَرِ (٥)

(١) كَذَا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ . وَفِي ط : « غِيْلَهُ » وَ ل : « فَعْلُهُ » .

(٢) ط : « أَحْسَنَ » وَارْتَضَيْتُ مَا فِي ل وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ .

(٣) ط : وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ أَيْنَ عُودُ الْخَزِيرِ مِنَ الْكِرَمِ . وَوَضَعَ الْكَلَامَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ تَلَاْعِبِ النَّسَاجِ . وَقَدْ رَدَدْتَ الْأَمْرَ إِلَى نَصَابِهِ ، سَعْتِدا مَا فِي ل .

(٤) ل : « فَقَالَ بِهَا » .

(٥) ط : « بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْقَدَرِ » .

- ١١٥ فصرتُ ذَانَشَبٍ من غير ما طلب  
إِلَّا بِمَسْأَلَتِي إِذْ كُنْتَ فِي صِغَرِي <sup>(١)</sup>  
أُضْمُ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ فَأَذْخَرَهُ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْ لَمْ أَكُنْ زَمِنًا  
أَوْ كَانَ يَبْذُلُ لِي شَيْئًا سِوَى الْحَجَرِ ؟  
فَقُلْ لَهُ لَا هِدَاةَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ  
فَإِنَّهَا عُرَّةٌ تُرَبِّي عَلَى الْعُرَرِ <sup>(٣)</sup>  
لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ  
يَا ابْنَ الْتِي نَشَرْتَ عَنْ شَيْخِ صَبِيَّتِهَا  
أَمَا يَكْفُفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي  
لَا يَرِ ثُوبَانِ ذِي الْمَامَاتِ وَالْعُجَرِ <sup>(٤)</sup>  
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ <sup>(٥)</sup>  
نَفَتَكَ عَنْهَا عُقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ  
فَلِأَسِيدًا وَسَلَّ عَنْهَا أَبَا زُفَرٍ <sup>(٦)</sup>  
يَا عَبْدَ أُمِّ الطَّبَاءِ الْمُسْتَطَبِّ بِهَا  
مِنْ اللَّوَى ، لَسْتَ مَوْلَى الْغُرِّ مِنْ مُضَرٍ  
بَلْ أَنْتَ كَالْكَلْبِ ذُلًّا أَوْ أَدْلُ وَفِي  
نَذَالَةِ النَّفْسِ كَالْخَزِيرِ وَالْيَعْرَ <sup>(٧)</sup>  
وَأَنْتَ كَالْقَرْدِ فِي تَشْوِيهِ مَنْظَرِهِ  
بَلْ صُورَةُ الْقَرْدِ أَهْيَ مِنْكَ فِي الصُّورِ  
وَوَصَفَ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ حُشًّا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :  
وَلِي كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللَّهِ يَطْرُقُنِي أَرْوَاحُ وَادِي خَبَالٍ غَيْرِ فَتَّارٍ <sup>(٨)</sup>

- (١) ط : « إِلَّا بِمَسْأَلَتِي إِنْ كُنْتُ فِي صَفَرٍ » وهو تحريف .  
(٢) ط : « فَأَحْرَزَهُ » .  
(٣) العرر : المساوي والمثالب . في ط : « لَاهْدَاكَ اللَّهُ » .  
(٤) ط : « لَأَقْدَ » وهو تحريف ، وفيها « قَدْ وَفَقْتُ فِي النَّظَرِ » .  
(٥) ط : « عَنْ شَيْخِ مَيْتِهَا لَا يَرْمِيَانِ يَذِي » وهو تحريف .  
(٦) كَذَا فِي ل . وَفِي ط : « ذَفَرٍ » بِالذَّالِ . وَهِيَ بَعْنَى . فِي أَدَبِ السَّكَاكِبِ ١٥٧ :  
« الذَّفَرُ : شِدَّةُ رِيحِ الثَّيِّ الطَّيِّبِ وَالثَّيِّ الْخَيْثُ » .  
(٧) ط : « فَلَأَسِيدٍ أَوْ فَاسَالٍ » .  
(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجمى يشد عند زينة الذئب أو الأسد . ومن أمثالهم : « هُوَ أَذْلُ مِنَ الْيَعْرِ » . وَقَدْ جَاءَ مُحَرَّكَاً فِي هَذَا الشَّعْرِ . وَفِي ط :  
« وَفِي نَذَالَةِ النَّفْسِ وَالْخَزِيرِ وَالنَّقَرِ » .  
(٩) كَذَا فِي ل . وَفِي ط : « وَارَى خِيَالٍ » ، وَفِي س : « وَادِي خِيَالٍ » وَفِي م :  
« وَادِ خَبَالٍ » .

له بدائعُ نَتْنٌ ليس يَعْرِفُهَا<sup>(١)</sup> من البريّةِ إِلَّا خَازِنُ النَّارِ  
 إِذَا أَتَانِي دَخِيلٌ<sup>(٢)</sup> زَادَنِي بِدْعاً كَأَنَّهُ لَهْجٌ عَمْداً بِإِضْرَارِي  
 قَدْ اجْتَوَانِي لَهُ الْخِلَافُ كُلُّهُمْ وَبَاعَ مَسْكَنَهُ مِنْ قُرْبِهِ جَارِي  
 فَنِ ارَادَ مِنَ الْبِرْسَامِ أَقْتَلَهُ أَوْ الصُّدَاعِ فَرَّهْ يَدْخُلُنْ دَارِي  
 اسْتَكْشَفَ النَّتْنُ فِي أَنْفِي لِسْكَرْتِهِ فَلَيْسَ يَوْجِدُنِيهِ غَيْرُ إِضْمَارِي<sup>(٣)</sup>

### (ثروة المحلول من الشعر)

وقبل للمحلول<sup>(٤)</sup> : ويلك ، ما حفظت بيتَ شعري قط ؟ فقال : بيتاً  
 واحداً اشتبهته فحفظته . فقيل له : فهاته . فقال : أما إِنِّي<sup>(٥)</sup> لَا أَحْفَظُ إِلَّا بَيْتاً  
 واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فَأَنْشِدْهُ ، فَأَنْشَدَهُمْ :  
 كَأَنَّمَا نَكَهْتُهَا مِدَّةً تَسِيلُ مِنْ مَخْطَةِ مَجْدُومٍ  
 وزعم أصحابنا أَنَّ رجلاً من بني سعد - وكان أُنْتَنَ الناسَ إِبْطاً - بلغه أَنَّ  
 ناساً من عبد القيس يتحدّثونه برجلٍ منهم ، فضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦  
 وقد أَرْبَدَ<sup>(٦)</sup> إبطاه ، وهو يقول :  
 أَقْبَلْتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعَتَيْنَا<sup>(٧)</sup> بِبَذَى حُطَاطٍ يُعْطِشُ الْمُخْنُونَا<sup>(٨)</sup>

(١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشئ .

(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .

(٣) يوجدني : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .

(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البخلاء ٩٩ ما يفيد أَنَّ المحلول مولى لتمام بن جعفر .

(٥) في الأصل : « أما أنا » .

(٦) ط : « زيد » .

(٧) في معجم البلدان والقاموس أَنَّ « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما . . وفي ط : « باعطينا » بحرفة .

(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان في الإبل وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « بسنى حضيض يعطش المجنوننا » وهو تحريف .

يَزْوِي لَهُ مِنْ نَتْنِهِ <sup>(١)</sup> الْجَبِينَا حَتَّى تَرَى لَوَجْهَهُ غَضُونَا  
\* نُبَشَّتْ عَبْدَ الْقَيْسِ يَأْبِطُونَا \*

قال : ومتح أعرابي على بئر وهو يقول :  
يَارِيهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنَّي جَانِي عُبَيْثَرَانِ <sup>(٢)</sup>  
وقال آخر :

كَأَنَّ لِإِبْطَى وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةً خُرْعَةً مِنْ كَوَامِيخِ الْقَرَى <sup>(٣)</sup>  
ويقال إنه ليس في الأرض رائحة أتن ، ولا أشد على النفس ،  
من بخر فم أو نتن حر ، ولا في الأرض رائحة أعصم لروح من  
رائحة التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعَافُونَ تَسْمِيدَ بُقُولِهِمْ قَبْلَ  
مُجْمِئِهَا وَتَفْتَقِ زُرُورِهَا <sup>(٤)</sup> ولا بعد انتشار ورقها وظهور موضع اللب منها  
حتى ربما ذرؤوا عليها السَّامَ دَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى يَشْرَبَ  
اللَّبُّ <sup>(٥)</sup> قُوَى الْعَذْرَةِ ، بَلْ مَنْ لَهِمْ بِالْعَذْرَةِ ؟ ! وَعَلَى أَهْلِهِمْ مَا يَصِيبُونَهَا  
إِلَّا مَغْشُوشَةً مُفْسَدَةً . وكذلك صنعهم في الريحان . فَأَمَّا النَّخْلُ  
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا <sup>(٦)</sup> أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْدَاعَ طَلِيًّا <sup>(٧)</sup> لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِنُونَ بِهَا

(١) ط : « من شته » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من  
القيصوم ونوره مثل نورد وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا  
أن له شمراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالذي يكون في وسط الأتخوان .  
ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى في ط :  
« عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى في ط : « لقة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما فى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .



الْحَمَامَاتِ وَأَتَانِ الْمِلَالِ<sup>(١)</sup> ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمَادِهِمُ الْأَبْعَارُ كُلَّهَا وَالْأَخْنَاءَ إِذَا جَفَّتْ . وما بينَ الثَّلَطِ جَافَا وَالْحَنَاءَ يَابَسًا ، وبينَ الْعَدْرِ جَافَةً وَيَابِسَةً فَرَقَ . وعلى أَنَّهُمْ يَعَالِجُونَ بِالْعَدْرِ وَبُحْرَاءِ الْكَلْبِ ، من الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ<sup>(٢)</sup> في أَقْصَى مَوَاضِعِ التَّقْرِزِ<sup>(٣)</sup> وهو أَقْصَى الْحَلْقِ ، ومَوَاضِعِ الْإِلَهَاءِ<sup>(٤)</sup> ، وَيُضْعَوْنَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الشُّوكَةِ ، وَيَعَالِجُونَ بِهَا عُيُونَ الدَّوَابِّ .

### (أَقْوَالُ الْمَسِيحِ الْكَنَاسِ)

وَقَالَ مَسِيحُ<sup>(٥)</sup> الْكَنَاسِ : إِنَّمَا اشْتَقَّ الْخَيْرَ مِنَ الْخُرْءِ . وَالْخُرْءُ فِي النَّوْمِ خَيْرٌ . وَسَلْحَةُ مُدْرِكَهُ الْأَذَى مِنْ كَوْمِ الْعَرُوسِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا بِهِ قُعَاصُ زُكَّامٍ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وَإِذَا ذَلِكَ قَدْ طَاوَلَهُ ، وَقَدْ كَانَ بُلْغَى أَنَّهُ كَانَ هَجَرَ الْجُلُوسِ عَلَى الْمَقْعَدَةِ وَإِتْيَانِ الْخِلَاءِ ، فَأَمَرْتُهُ بِالْعُودِ إِلَى عَادَتِهِ ، فَمَا مَرَّتْ بِهِ أَيَّامٌ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ<sup>(٦)</sup> عَنْهُ . وَزَعَمَ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْتَنَةٌ الْحَيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَمَرَهُمْ ذَلِكَ لَنْتَنِ الْحَيْطِ بِهِمْ ، وَقَدْ مَحَقَّ جِسْمَهُمْ لَهُ طَوْلُ مُكْثِهِ ١١٧ فِي خِيَاشِمِهِمْ . قَالَ : فَمَنْ ارْتَابَ بِخَبْرِي ، فَلْيَقِفْ فِي الرَّدِّ إِلَى أَنْ يَمْتَحِنَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ بَيْتِ مَطْيَبٍ ، وَلَيْتَشَمَّ<sup>(٧)</sup> تَشَمُّمَ

(١) اللَّيْلِ : الْخَبْزُ وَاللَّحْمُ وَضَعْتُهُ فِي الْمِلَّةِ . وَالْمِلَّةُ : الرَّمَادُ الْحَارُّ . وَفِي ل : « الْقِتَالُ » .

(٢) الذُّبْحَةُ : وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ أَوْ دَمٌ يَخْتَقُ فَيَقْتُلُ . وَفِي ط : « الْخَانُوقُ » مَوْضِعُ الْخَانُوقِ .

(٣) ط : « التَّقْرِزُ » وَهُوَ تَصْحِيفُ مَا فِي ل .

(٤) ط : « وَمَوَاضِعُ الْإِلَهَاتِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) ط : « مَسِيحٌ » .

(٦) ط : « حَتَّى ذَهَبَتْ عَنْهُ » .

(٧) ط : « لَيْشَمَ » .

المتشَبِّث . عَلَى أَنَّ الْبَقَاعَ تَفَاوَتْ فِي النَّتْنِ . فَهَذَا قَوْلُ مُسَبِّحٍ <sup>(١)</sup> الْكَنَاسِ .

(عَصْبِيَّةُ مَسْمُومِيهِ وَإِبْنِ مَسْمُومِيهِ)

وَزَعِمَ لِي سَلْمَوِيَّةُ وَإِبْنُ مَسْمُومِيَّةٍ مُتَطَبِّبَا الْخُلَفَاءَ <sup>(٢)</sup> ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ جِيْفَةٌ أَنْتَنُ نَتْنًا وَلَا أَثْقَبُ ثُقُوبًا مِنْ جِيْفَةِ بَعِيرٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي وَهَمَهُمَا ذَلِكَ عَصَبِيَّتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبَغْضُهُمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي السِّكِّتِ بِرَاكِبٍ <sup>(٣)</sup> الْبَعِيرِ . [ وَيَقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ الْجِيْفِ أَنْتَنُ ؟ فَقِيلَ : جِيْفُ السِّكِّلَابِ . فَأَمْتَحِنْتُ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَنُ مِنْهَا جِيْفُ السِّنَانِيرِ ، وَأَنْتَنُ جِيْفُهَا الْمَذْكُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْنَ جِيْفَتَيْ سَنُورَيْنِ ذَكَرَيْنِ <sup>(٤)</sup> ] .

(أَطِيبُ الْأَشْيَاءِ رَائِحَةٌ وَأَخْبَثُهَا)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النَّتْنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لَعَلَّكَ إِنْ تَفَقَّدْتَهُ أَنْ تَوَافَقَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النَّتْنُ فَإِنِّي لَمْ أَشْمَ شَيْئًا أَنْتَنَ مِنْ رِيحِ حُشٍّ مُقَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْحِصْيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمِ الْمِتْرَادِفَةِ الْمِتْرَاكِبَةَ <sup>(٥)</sup> وَلِرِيحِ الْقَارِ وَرِيحِ هَوَاءِ الْحُشِّ <sup>(٦)</sup> وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحٍ

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خديم المعتصم . ترجم له النقفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليبسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خديم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ ليبسك ، ٤١١ مصر .  
وفى ط : « مطيب الخلقاء » وصحته فى ن .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبواهم المتراكة » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح دوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهة من الدُّنن ومذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الخلاء غير مكشوف ، وكان مغموماً غير مفتوح . فأما الطيب فإن لم أشم رائحة قطُّ أحياء للنفس ولا أعصم للروح ، ولا أفتق ولا أغنج ، ولا أطيّب خمرة من ريح عروس<sup>(١)</sup> ، إذا أحكمت تلك الأخطاط ، وكان عَرَفَ [بَدَنها] ورأسها وشعرها سايماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة .

### (ما قيل في الظربان)

ومما قالوا في الدُّنن ، وفي ريح جُحرِ الظَّربان خاصّة ، قول الحكم ابن عبدل :

ألقيتَ نفسك في عَرُوضٍ مَشَقَّةٍ      ولحصدُ أنفِكَ بالمناجِلِ أَهَوُنُ<sup>(٢)</sup>  
أنتَ امرؤٌ في أرضٍ أُمكُ فُلُقُلُ      جَمٌّ وفُلُفُلنا هُناكَ الدُّنْدِنُ<sup>(٣)</sup>  
فبحقِّ أُمكُ وهى منك حَقِيقَةُ      بالبرِّ واللَّطَفِ الذى لا يُخْزَنُ  
لا تُدْنِ فاكُ مِنَ الأَمِيرِ ونَحْه      حتّى يُداوِيَ ما بَأَنفِكَ أَهْرَنُ<sup>(٤)</sup>  
إن كان للظَّربانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ      فلَجُحْرِ أنفِكَ يا مُحَمَّدُ أَنتِنُ

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما اسود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبسك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧

وفى ط : « أهون » والصواب فى ل وفيها سيأتى قريباً ، وفى عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الطَّربان - حينَ رمى قوماً بأنهم  
يَفْسُون في مجالسهم ، لأنَّ الطَّربان أُنْتُنُ خَلَقَ اللهُ تعالى فُسُوءَةً . وقد عَرَفَ  
الطَّربانُ ذلكَ فجعلَ من أَشَدَّ<sup>(١)</sup> سِلَاحِهِ ، كما عَرَفَتِ الحُبَارَى مَا فِي  
١١٨ سُلَاحِهَا من الآلَةِ ، إِذَا قَرَبَ الصَّقْرُ مِنْهَا . والطَّربانُ يَدْخُلُ على الضَّبِّ  
جُحْرَهُ وفيه حُسُولُهُ أَوْ بَيْضُهُ ، فَيَأْتِي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ في الجُحْرِ فيسُدُّهُ  
بِيَدَيْهِ ، ويحوِّلُ اسْتِهَ فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حَتَّى يُدَارَ بالضَّبِّ فيخِرَّ<sup>(٢)</sup>  
سَكْرَانًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَيَأْكُلُهُ ، ثُمَّ يَقِيمُ في جُحْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ على آخِرِ حُسُولِهِ .  
وتقول العرب : إِنَّهُ رَبَّمَا دَخَلَ في خِلَالِ المَهِجَةِ فيفسو ، فلا تَمُّ  
له ثلاثُ فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الإِبِلُ عَنِ المَبْرَكِ ، تتركه وفيه قِرْدَانٌ فلا يَرُدُّهَا  
الراعى ، إِلَّا بِالْجَهْدِ الشَّدِيدِ .

فقال الربيع ، وهجاهم [ أيضا ] بريح التُّيوس :

قَلِيلٌ غَنَاؤُهُمْ في الهِجَاجِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرِ شَدِيدٍ  
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرُ هَرِيرَ الْعَقُورِ الرَّصُودِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتُمْ ظَرَابِيُّ إِذْ تَجْلِسُونَ وَمَا إِنَّ لَنَا فِيكُمْ مِنْ نَدِيدٍ<sup>(٤)</sup>  
وَأَنْتُمْ تَيُوسٌ وَقَدْ تُعْرِفُونَ بَرِيحَ التُّيُوسِ وَقُبْحَ الجُدُودِ<sup>(٥)</sup>

قال : ويقال : « أفسى من الطَّربان » ويسمى مَفَرَّقَ النَّعَمِ ،  
يريدون من نَتْنِ رِيحِ فُسَائِهِ . ويقال في المثل - إِذَا وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ

(١) ط : « أَحَد » .

(٢) ط : « فيحز » وصوابه في ل و ثمار القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثيل ، وفي ط : « مزيد » وهو تحريف مافي ل و ثمار القلوب .

(٥) ط : « الجدود » وفي الثمار : « ونتن الجلود » .

شرُّ فتباينًا وتقاطعًا - : « فسا بَيْنَهُمَا ظَرْبان » . ويقال : « أَتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبَّ إِنَّمَا يَخْدَعُ <sup>(١)</sup> فِي جُحْرِهِ وَيُوْغِلُ فِي سِرْبِهِ لشدَّة طلب الظَّربان له . وقال الفرزدق في ذلك :

ولو كنتُ في نارِ الجحيمِ لأصبحتُ ظرَّابِي من حِمَّانٍ عني تثيرها <sup>(٢)</sup>  
وكان أبو عبيدة يُسمِّي الحِمَّانِيَّ صاحبَ الأصمِّ : الظَّربان <sup>(٣)</sup> ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كل حِمَّانِيٍّ <sup>(٤)</sup> ظَرْبانًا .  
وقال ابن عبدلٍ :

لا تُدْنِ فَالِكَ مِنَ الْأَمِيرِ وَنَحْه  
حَتَّى يَدَاوِيَ مَا بَأْنَفِكَ أَهْرُنُ  
إِنْ كَانَ لِلظَّرْبَانِ جُحْرٌ مُدْنٌ  
فَلَجُحْرِ أَفْنِكَ يَا مُحَمَّدُ أَتَنُ  
فِي شَعْرِهِ الَّذِي يَقُولُ :

لَيْتَ الْأَمِيرَ أَطَاعَنِي فَشَفِيتُهُ  
مِنْ كُلِّ مَنْ يُكْفِي الْقَصِيدَ وَيَلْحَنُ  
مُسْكُورٌ يَحْثُو السَّكَّامَ كَأَنَّمَا  
بَاتَتْ مَنَاخِرُهُ بِدُهْنٍ تُعْرَنُ <sup>(٥)</sup>  
وَبَنَى لَهُمْ سِجْنًا فَكَنتُ أَمِيرَهُمْ  
زَمَنًا فَأَضْرَبُ مَنْ أَشَاءُ وَأَسْجُنُ  
قُلْ لَابْنِ آكِلَةِ الْعِفَاصِ مُحَمَّدٍ  
إِنْ كُنتَ مِنْ حُبِّ التَّقَرُّبِ تَجِبُنُ <sup>(٦)</sup>  
أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضِ مَشَقَّةٍ  
وَلَحَصَدُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ  
أَنْتَ أَمْرُوٌّ فِي أَرْضِ أُمَّكَ فَلْفَلُ  
جَمٌّ وَفَلْفَلْنَا هُنَاكَ الدُّنْدِنُ ٩١٩

(١) خلد الضب في جحره : دخل . وفي ط : « ينخدع » وهما بمعنى .

(٢) البيت في النواذر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط .

(٤) في الأصل « حان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفي ط : « متكوراً » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .

(٦) ل : « قد كدت من حب التزب تحتن » وهو تحريف مائى ط وما فى م .

فبحقُّ أُمَّكَ وهى منك حقيقةٌ  
لا تُدْنِ فَالِكَ من الأميرِ ونَحْه  
إنْ كانَ للظَّربانِ جُحْرٌ مِننٌ  
فسلِّ الأميرَ وَأَنْتَ غيرُ موفقٍ  
وسلِّ ابنَ ذِ كُوانٍ تَجِدُهُ عالِماً  
إِذْ أَنْتَ تَجْعَلُ كُلَّ يومٍ عَفْصَةً<sup>(٤)</sup>  
أشبهتَ أُمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ  
فلئنْ أصبتَ دراهماً فدفنتها  
فبما<sup>(٥)</sup> أراك وَأَنْتَ غيرُ مُدْرِهِمِ  
إِذْ رَأْسُ مَالِكٍ لُعبَةٌ بَصْرِيَّةٌ  
وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجُوتُ<sup>(٧)</sup> محمدًا ودخانُ فيه  
ركبتُ إِيْلِهِ فى رَجُلٍ أَتَانِ  
فقلْتُ له ولم أعجلْ عليه ،  
فأَعْرَضَ مُكَمِّحًا عَنِّي كَأَنِّى  
كربحِ الجعرِ فوقَ عَطينِ جِلْدِ  
كريمٍ يَطلبُ المعروفَ عِنْدِ  
وذلكَ بعدَ تَقْرِيطِى وَحَمْدِى  
أَكَلَمُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صَمْدِ<sup>(٨)</sup>

(١) ط : « لا يحزن » وهو تحريف .

(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغاني ٢ : ١٢ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .

(٣) من الخزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تحزن » .

(٤) ط : « غمصة » .

(٥) ل : « لبيا » وهما سيان .

(٦) المغربية : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .

(٧) ل : « فقدت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . واللبيت فى اللسان ( نجا ) بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٨) المكسح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » ونصحيحه من ل . والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « ضمد » بالضاد ولا ينتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ <sup>(١)</sup> لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ  
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مَسْتَنٍ يَمِينًا أبا بَخْرٍ <sup>(٢)</sup> لَتَشْخَمَنَّ رَدِّي  
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْذَبَ مِنْ تَمِيمٍ نَخَفْتَ مَلَامَتِي وَرَجَوْتَ حَمْدِي  
نَجَوْتُ <sup>(٣)</sup> مُحَمَّدًا فَوَجَدْتُ رِيحًا كَرِيحِ الْكَلْبِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدٍ  
وَقَدْ أَلْذَعْتَنِي <sup>(٤)</sup> ثَعْبَانِ نَتْنٍ سَيِّلُغِ إِنَّ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدٍ  
وَأَذْنِي خَطْمَهُ فَوَدِدْتُ أَنِّي قَرَنْتُ <sup>(٥)</sup> دَنُوهُ مِنِّي بِيُعْدٍ  
كَمَا افْتَدَيْتَ الْمَعَاذَةَ مِنْ جَوَاهُ <sup>(٦)</sup> بَخْلَعَتَهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَزَنْدٍ ١٢٠  
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَاخَتْ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأَسِيرٍ قَدْ <sup>(٧)</sup>  
وَقَدْ أَذْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَاكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدٍ  
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طَأَيْتَ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ <sup>(٨)</sup>  
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا زَعَا فَا إِنَّ هَمَمْنَ لَهُ بِوَرْدٍ <sup>(٩)</sup>  
فَلَمَّا فَاحَ قُوهُ عَلَى فَوْحًا بِمَثَلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمُغْدِّ <sup>(١٠)</sup>  
فَقَاتَ لَهُ : تَنَحَّ بِفِيَاكَ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحِ قُتَارٍ رَنْدٍ <sup>(١١)</sup>

- (١) الآصرة : الرحم والقراية . وفي ل : « ذى صر » وليس بشيء .  
(٢) البخري ، بالتحريك : نتن الفم . وفي ل : « بحر » والوجه مافى ط .  
(٣) ماعدا ل : « نجوت » بالخاء ، وهو تحريف . وانظر ماسبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩  
واللسان ( جلد ، نجا ) .  
(٤) ط : « لذعتني » .  
(٥) كذا فى ط . وفي ل : « فديت » .  
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .  
(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .  
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .  
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « زعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .  
(١٠) الغثيثة : القيقج . والمغد : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المغد » وهو تحريف .  
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عنى »  
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاً والسكن  
فحدثنى فإن الصدق أدنى  
أبات يجول في عَفَجٍ طحور  
[ نكحت على نكحة أهدرى  
فإن أهديت لي من فيك حثني  
لكم شرداً يسرن مغنيات  
أما تحزى خزيت لها إذا ما  
لأرجو إن نجوت ولم يُصبنى  
وقلت له : متى استطرفت هذا  
فقلت له : أما داويت هذا  
فقال : أما علمت له رقاء  
فقلت له : ولا آلوه عيا  
عليك بقيئة وبجعر كلب  
وحلتيت وكراث وثوم  
وحنجرة ابن آوى وابن عرس  
يفوح خراك منه غير سرد<sup>(١)</sup>  
لباب الحق من كذب وجحد  
فأعلم أم أذاك به مُغْدَى<sup>(٢)</sup>  
شتم أعصل الأناب ورد  
فإنى كالذى أهديت أهدى<sup>(٣)</sup>  
تكون فنونها من كل فند<sup>(٤)</sup>  
رواها الناس من شيب ومرد<sup>(٥)</sup>  
جوى إني إذن لسعيد جد  
فقال أصابني من جوف مهدي  
فتعذر فيه آمالا بجهد<sup>(٦)</sup>  
فتسديه لنا فيما ستسدى<sup>(٧)</sup>  
له فيما أسر له وأبدى<sup>(٨)</sup>  
ومثلي ذاك من نون كنعدي<sup>(٩)</sup>  
وعودى حرملي ودماغ فهدي<sup>(١٠)</sup>  
ووزن شعيرة من بزر فقدي<sup>(١١)</sup>

(١) الطلاء، بالكسر : الخمر . وفى ط : « فيه غير سرد » .

(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفى ط :

أبت تجول في عَفَجٍ طحون فاعلم إذا أذاك به معدى ( كذا )  
(٣) ل : « مهد » .

(٤) الفند، بالكسر : النوع . وفى ط : « قند » ولا وجه له .

(٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه ما فى ل . ل : « رآها الناس » والوجه ما فى ط .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « تسدى » ولا يستقيم بها القول .

(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفى البيت كلمة « عيا » وهى محرفة .

(٩) كذا فى ل . وفى ط : « من لون كهتدى » .

(١٠) ط : « وحلتيت » والصواب باللام كما فى ل .

(١١) فى القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفى ل : « فقد » بتقديم التاف وهو

تصحيف . وفى ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفى » .



وَكَفَّ ذُرْخُوحٌ<sup>(١)</sup> وَلِسَانِ صَقَرٍ وَمِثْقَالَيْنِ مِنْ صَوَّانٍ رَقْدٍ<sup>(٢)</sup>  
يُدَقُّ وَيُعْجَنُ الْمِنْخُولُ مِنْهُ بَبُولٍ آجِنٍ وَبَجَعِرٍ قِرْدٍ  
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لِبَرْدٍ<sup>(٣)</sup> ١٢١  
فَدَخْنٌ فَاكٌ مَا عَتَّقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأُظْفَارٍ وَنَدٍّ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ حَضَرَ الشِّتَاءُ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ غَيِّكَ أَمَرَ رَشْدٍ<sup>(٥)</sup>  
فَدَخَرِجْهَا بِنَادِقٍ وَازْدِرْذِهَا مَتَى رُمْتَ التَّسْكُلُمَ أَيْ زَرْدٍ  
فَتَقْدِفُ بِالْمِصَلِّ عَلَى مِصَلٍّ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ<sup>(٦)</sup>  
وَوَيْلَكَ مَا لِبَطْنِكَ مَذْ قَعْدُنَا كَأَنَّ دَوِيَّةً إِرْزَامَ رَعْدٍ<sup>(٧)</sup>  
فَإِنَّ لِحِكَّةَ النَّاسُورِ عِنْدِي دَوَاءً إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سِيْجِدِي  
يُمِيتُ الدُّودَ عَنْكَ وَتَشْتَبِيهِ إِنْ أَنْتَ سَنَنْتَهُ سَنَ الْمَقْدِي<sup>(٨)</sup>  
بِهِ ، وَطَلَيْتَهُ بِأُصُولِ دِفْلِي وَشَيْءٍ مِنْ جَنَى لَصَفٍ وَرَنْدٍ<sup>(٩)</sup>  
أَظُنِّي مَيِّتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

(١) الذرخوح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط :

« زرخوح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .

(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه . وفي ط : « رقد » محرفة .

(٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .

(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .

(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ وربما ، ومثله المصمعد والمسمعد . وفي ل : « مصمعد » .

(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .

(٨) السن : الصب في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد » وفي ط « المقد » محرفتان .

(٩) الدفلي : نبت مر قتال زهره كالورد الآخر وحمله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقة كورق لسان الحمل أو أداق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سعدلي » موضع « دفلي » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفي ل : « زبد » وليس بشيء .

## (أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سَنَذْكُرُ أشعار العرب في هجاء الكلب مجرداً على وجهه ، ثمَّ نَذْكُرُ ما ذُكِّمُوا من خلالِهِ وأصنافِ أعمالِهِ ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتولباً ولاسكلبُ خيرٌ من سويدٍ وتولبِ  
وقال بشارٌ أو غيره :

أتذكرُ إذ ترعى على الحىَّ شاءهمُ وأنتَ شريكُ السكلبِ في كلِّ مَطْعَمٍ  
وتلحسُ ما في القعبِ من فضلِ سورِهِ وقد عاثَ فيه باليدينِ وبالفمِ  
[ وقال ابن اللذئبة :

من يجمع المالَ ولا يَتَّبِعْ به <sup>(١)</sup> ويتركُ المالَ لِعَامٍ جِدْبِهِ  
\* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِهِ ] \*

وقال آخر :

إِنَّ شَرِيبي لَا يَغْبُ بوجهه كَأَمْي كَأَنْ كَلْباً يَهَارِشُ أَكْلِباً <sup>(٢)</sup>  
ولا أَقْسِمُ الْأَعْطَانِ <sup>(٣)</sup> بَيْنِي وَبَيْنَهُ ولا أَتَوَقَّاهُ وَإِنْ كَانَ مُجْرِباً  
وهجا [ أبو ] الأَحْوَصِ <sup>(٤)</sup> ابناً لَهُ فَشَبَّهَهُ بِجُرِّ كَلْبٍ فَقَالَ :  
أَقْبَحُ بِهِ مِنْ وَلَدٍ وَأَشْقَحُ مِثْلَ جُرِّ <sup>(٥)</sup> الكلبِ لَمْ يُفَقِّحْ

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يشبه » وهو تحريف إملائي . وفي البخلاء ١٥٥ : « يشبه » وليس بشيء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابي لا تغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعكان » .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفي ل : « جرى » .

إِنْ يَرِ سَوْءًا مَا يَقُمْ فَيَنْبَحُ<sup>(١)</sup>      بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتَحِ<sup>(٢)</sup>

وقال أبو حُزَابَةَ<sup>(٣)</sup> :

يَا ابْنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ      أَنْتَ لَعْنُورٍ طَلَحَ الْفِدَاءُ<sup>(٤)</sup>  
 قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ      أَنْكَ أَنْتَ النَّاقِصُ اللَّفَاءُ<sup>(٥)</sup>  
 حَبَلُكَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ<sup>(٦)</sup>      يَغْمُهُ الْمِئْزَرُ وَالرَّدَاءُ  
 بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ      كَأَنَّهُمْ زِينَةُ جِرَاءٍ<sup>(٧)</sup>

وقال عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ، وَذَكَرَ قُبْحَ وَجْهِهِ [ فَقَالَ ] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً      بِوَجْهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلٍ<sup>(٨)</sup>  
 فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ      وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

(١) ط : « إِنْ يَرِسُوا لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحِ » .

(٢) ط : « خَلْقَةُ الْمُسْتَفْتَحِ » .

(٣) كَذَا فِي لَوْهُو الصَّوَابِ ، وَفِي ط : « أَبُو خِدَانَةَ » . وَأَبُو حُزَابَةَ هُوَ الْوَلِيدُ ابْنُ حَنِيفَةَ ، أَحَدُ بَنِي رُبَيْعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . بَدَأَ حَضَرَ وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ ثُمَّ اكْتَتَبَ فِي الدِّيْوَانِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ إِلَى سَجِسْتَانَ فَكَانَ بِهَا مَدَّةً وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَمَّا خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأُظْهِرَ قَتْلَ مَعِهِ . وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِزًا فَصِيحًا خَبِيثَ اللِّسَانِ هَجَاءً . انْظُرِ الْأَغَانِي ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ وَالْمَشْتَبِهَ لِلذَّهَبِيِّ ١٦٠ لَيْدَنُ وَتَاجُ الْعُرُوسِ (حُزْبُ) .  
 (٤) الْفِدَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدَلِ . وَفِي ل : « أَنْتَ لَقَبْرٍ طَلَحَ الْفِدَاءُ » وَفِي الْأَغَانِي ١٩ : ١٥٣ : « أَنْتَ لَعْنُورٍ طَلَحَ الْفِدَاءُ » . وَابْنُ عَلِيٍّ هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَطَلَحَ هَذَا هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ طَلَحَةُ الطَّلَحَاتِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى سَجِسْتَانَ قَبْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَكَانَ طَلَحَةُ يُحِبُّ ابْنَ حُزَابَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ شَحِيحًا مَسْكًا .

(٥) الْفِدَاءُ ، كَسَجَابِ : الْحَسِيسُ الْخَفِيرُ . وَفِي ل : « الْفِدَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْحَبْلُ : غَنَمٌ صَغَارٌ لَا تَكْبُرُ أَوْ قَصَارٌ الْمَزْ وَدِمَامُهَا . وَفِي ط « الدَّعَاءُ » مَوْضِعُ « الرِّعَاءِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) الزَّيْنَةُ : كَلَابُ قَصِيرَةُ الْقَوَائِمِ . وَفِي الْأَغَانِي « بَنُو عَلِيٍّ » . . . الْخ .

(٨) كَذَا فِي لَوْعِيُونَ الْأَخْبَارِ ٤ : ٣٥ بِمَعْنَى خَلْقِهِ غَيْرَ جَمِيلٍ . وَفِي ط : « يَرَاهُ اللَّهُ » .

وقال أبو ذؤيب السَّعْدِيُّ<sup>(١)</sup> في هَوَانِ الكلب :

لِكِسْرَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ تَمِيمٍ      لِيَالَى فَرَّ مِنْ أَرْضِ الضَّبَابِ  
وَأَسْكَنَ أَهْلَهُ بِلَادَ رَيْفٍ      وَأَشْجَارَ وَأَنْهَارَ عِذَابِ  
فَصَارَ بَنُو بَنِيهِ لَهَا مُلُوكًا      وَصَرْنَا نَحْنُ أَمْثَالَ الْكِلَابِ  
فَلَا رَحِمَ إِلَهُ صَدَى تَمِيمٍ      فَقَدْ أُرْزَى بَنَا فِي كُلِّ بَابِ  
وَأَرَادَ اللَّعِينُ<sup>(٢)</sup> هِجَاءَ جَرِيرٍ - وَجَرِيرٌ مِنْ بَنِي كُليب - فَاشْتَقَّ

هِجَاءَهُ مِنْ نَسَبِهِ فَقَالَ :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كُليبٍ      وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ  
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَيْثٌ      وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ  
كِلَا الْعَبْدَيْنِ - قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ      لَتَيْمِ الْأَصْلِ مِنْ عَمِّ وَخَالِ  
فَمَا بُقِيََا عَلَى تَرْكَمَانِي      وَلَسَكُنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ  
وقال رجلٌ من همدان ، يقال له الضَّحَّاكُ بْنُ سَعْدٍ<sup>(٣)</sup> ، يَهْجُو مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ

ابن مروان بن الحَكَمِ ، وَاشْتَقَّ لَهُ اسْمًا مِنَ الْكَلْبِ فَجَعَلَهُ كَلْبًا فَقَالَ :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمَرْوَانَ فَقَلْتُ لَهُ      عَادَ الظُّلُومُ ظُلُمًا هُمُّهُ الْهَرَبُ<sup>(٤)</sup>  
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكْتُ الْمَلِكُ إِنِ قَبِلْتُ      مِنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا أَدَبُ<sup>(٥)</sup>

(١) أبو ذؤيب السَّعْدِيُّ : صحابي شاعر ، من سعد العشيرة . له في إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو في ط : « ابن دب » وفي ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها في الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زمعة المنقري ، من بني منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض ماني جل مأكله      إلا تنفجه عندي إذا قعدا  
ما زال ينفج كفتيه وحبوته      حتى أقول ليل الضيف قد ولدا

(٣) نسبة العسكرية في ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصي .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلمًا » . والظلم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبري ٩ : ١٣١ : « إذ ذهب عنك » .

فَرَأَسَةُ الْحَلَمِ فِرْعَوْنَ الْعَذَابِ ، وَإِنْ يُطْلَبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ  
وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللُّوم : ١٢٣

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ أَلَّامٌ مِنْ كَلْبٍ  
وكذلك قول الأسود بن المنذر (١) ، فإنه قال :

فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَّتَهُ بِالْقَبَابِ (٢)  
يُهِنُ سَرَاتِكُمْ جَاهِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ

وقال سحيمة بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ  
وقال النجرائي في ذلك :

مِنْ مَنْزِلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ  
زُوجْتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأَقْتُ جَرَتِي  
أُمَّ هِلَالٍ أَبْشَرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشَرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَقِ

### (الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحرص والإلحاح .  
ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . وفلحس : رجل من بني شيبان (٣) كان  
حريصاً رغيباً ، ومُلِحِفاً مُلِحًا . وكلُّ طُفَيْلٍ فهو عندهم فلحس .

والأرشم : (٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمم  
الطعام ويتبع مواضعه . قال جرير في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيت إلى لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة  
في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك \* على نأيتها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الميداني ( ١ : ٣١٧ ) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقَى حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيِّنٌ لِلضَّيَافَةِ أَرْشَمًا<sup>(١)</sup>  
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ<sup>(٢)</sup> :

وَبَنُو الْهَجِيمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ تُطُّ الْأَحَى مُتَشَابَهُ الْأَلْوَانِ  
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانَ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ  
مَتَابِّطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَا لِحُدُودٍ لَرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ<sup>(٣)</sup>  
وقال سَهْمٌ بن حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ في ذلك :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَنَلُّ الْكِلا ب لَا يُحْسِنُ السَّكْبُ إِلَّا هَرِيرًا  
وَأَمَّا مُعِيرٌ فَنَلُّ الْبِغَا لَ أَشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَمَّا هِلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءً وَعِطَّرَا كَثِيرَا<sup>(٥)</sup> ١٢٤

### ( بين جرير والراعى )

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعى وابنه جندل ، فقال له  
ابنه جندل : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا السَّكْبِ السَّكْلَبِيِّ ، فإلى متى ؟ !  
وضرب بغلته ، فضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : وَاللَّهِ لَأُثْقِلَنَّ

(١) ل : « أَرْشَمًا » مصحف . وفي ط : « فَي » محرفا . والبيت على الصواب في اللسان  
( ضيف ، رشم ، يتن ) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب  
في كل تلك إلى البغيث . ابن منظور ( رشم ) : قال ابن سيده : وَأَشْدَّ أَبُو عبيد  
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدى هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فَأَمَّا » مع انفصل بين البيتين بكلمة  
« وقال » وفي ط : « وَأَمَّا تَمِيمٌ فَنَلُّ الْبِغَالِ » .

(٥) السكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبداه في ل « ملابا » وهو  
كسحاب عطر أو للزعفران . والشعر في كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتِه ما يريد ، فلما كان مع الصبح  
انفتح له القولُ فقال :

فغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ      فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
ولو جُعِلَتْ فِقَاحُ بَنِي مُنْمِرٍ      على خَبَثِ الحَديدِ إِذَا لَذَابَا  
ثم وقف في موقفه ، فلماً مرَّ به جندلُ قبض على عنان فرسه ، فأنشده  
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجْنَدَلُ مَا تَقُولُ بَنُو مُنْمِرٍ      إِذَا مَا الْأَيْرُ فِي اسْتِ أَيْكَ غَابَا  
قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا<sup>(١)</sup> .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبْحِ الوجه - :  
سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا هَجٌّ فَتَبَرَّقَعْتُ      فذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتَ ضَبَّارًا<sup>(٢)</sup>  
وضَبَّارٌ : اسم كلب له<sup>(٣)</sup> .

### (أُمثال في الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وأراد سفرًا : إِنَّ لِسْكَلَّ رُفْقَةً كَلْبًا ، فلا  
تَكُنْ كَلْبَ أَصْحَابِكَ .

وتقول العرب : « أَحَبُّ أَهْلِي إِلَى كَلْبِهِمُ الظَّاعِنُ<sup>(٤)</sup> » . ومن الأمثال  
« وَقَعَ الْكَلْبُ عَلَى الذُّئْبِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ [ مثل ] مَا أَخَذَ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) في الصحاح : « هَجٌّ مخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في  
( هجج وهجر ) برواية « هبارا » ، وكذلك في اللسان ( هجر ) ولكن في ( هجج  
وضبر ) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » . وانظر أمثال  
المليدي ١ : ١٨٣ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« السكّابَ على البَقَرِ »<sup>(١)</sup> . ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلِها دَلَّتْ بَرَأَقِشٌ » . وبراقش : كلبة قومٍ نبحت على جيشٍ مرّوا ليلاً وهم لا يشعرون بالحيّ ، فاستباحوهم واستدلّوا على مواضعهم بنباحها .  
قال الشاعر :

ألم ترَ أنَّ سيّد آلِ ثورٍ      نُبّاتةَ عضه كلبٌ فنانا<sup>(٢)</sup>

(قتيل السكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب السكّاب : قد يموت الناسُ بكلِّ شيءٍ ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبّضٌ ولا نبّض<sup>(٣)</sup> . وقال عرفة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنزٌ بالمربد فذات - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذْ بانَ<sup>(٤)</sup> مني معشري      مكانَ قتيل العنز أنْ أتكلّمًا

فيا ابنَ قتيلِ العنز هل أنت ثائرٌ      بزُرعةٍ تيساً في الزّريّةِ أزنا<sup>(٥)</sup>

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى<sup>(٦)</sup> :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضّرْبِ      في طلبِ العُرفِ إلى السكّابِ

(١) في الأصل : « السكّاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك

للميرى في حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهري ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيّد آل شورٍ      نبّاته عضه كلب فنانا

(٣) في القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة في حلقة تحت الحية . وفي ط « أزما » .

(٦) أبو الهول الحميري شاعر مقل له شمر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم في

الفهرست ١٦٣ ليبسك ٢٣٢ مصر . . وفي ط « أبو الغول » محرفاً . والشعر في

العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق في الأوراق للصولي أخبار الشعراء



قد وَقَّحَ السَّبُّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلْسَّبِّ  
 إِذَا شَكَا صَبُّ إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ  
 أَعْنِي فَنِي يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ<sup>(١)</sup>  
 قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الْكِلَابُ أَمْثَلُهَا ؟ قال : لا .  
 قلت : ولم قال :

وَحِنْتُ هَجَاءَهُمْ لَمَّا تَوَاصَوْا  
 كَخَوْفِ الذُّئْبِ مِنَ بُقْعِ الْكِلَابِ<sup>(٢)</sup> ؟  
 قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :  
 \* كَخَوْفِ الذُّئْبِ مِنْ سُودِ الْكِلَابِ \*  
 ألا ترى أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْهَجَاءُ قَالَ :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرِ تَخْوَضُ غُمُورَهُ بُقْعُ الْكِلَابِ<sup>(٣)</sup>  
 ويدل على ذلك قول الْجَدَلِيِّ<sup>(٤)</sup> :  
 لَعَمْرِي لَجَوُّ مِنْ جِوَاءِ سُوبِقَةٍ أَسَافَلُهُ مَيْتٌ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعُ  
 أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ وَيَصْبِحَ مِنَّا وَهُوَ مَرَأًى وَمَسْمَعُ  
 مِنَ الْجَوْسَقِ الْمَلْعُونِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبِي عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي الْمَنِيَّةِ يَلْمَعُ  
 يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَقُلْتُ لَطَالَمَا صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

- 
- (١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .  
 (٢) ل : « وخفت هجينهم » .  
 (٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك .  
 وفي ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والغمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .  
 وفي ط : « غمورة » وفي ل : « غموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان  
 رسم ( المبارك ) . والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٧٨ .  
 (٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضببي في رسم ( الجوسق ) .

فليت عطائي كان قسّمَ بينهم وكان لي الصّمان والحزنُ أجمعُ<sup>(١)</sup>  
 وكان لهم أجرى هنيئاً وأصبحتُ بي البازلُ الكوماءُ بالرمْلِ تَضْبَعُ  
 أأجعلُ نفسي عدلَ علجٍ كأنّما يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقعُ  
 قال : فقد بينَ كما ترى أنّ الأبقعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتُ أسداً على بُقعِ الكلابِ فقد

أمسى شريدهم في الأرضِ فلألاً<sup>(٢)</sup>

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغر شأن من هزموا

١٢٦ فقد صغر شأن الممدوح . بل إنّما قال « أرسلتُ أسداً على سود الكلابِ » .

قال : وإنّما جاء الحديثُ في قتلِ سُود الكلابِ ، لأنَّ عُقرها أكثرُ ما تكون  
 سوداً ، وذلك من غلبة أنفُسها .

وليس في الأرضِ حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحمّارٍ وفرسٍ وكنبٍ وإنسانٍ ،

إلاّ والسُّودُ أشدُّها أسراً وعصبياً<sup>(٣)</sup> ، وأظهرها قوّةً وصبراً .

وقال أبو سعد الخزومي<sup>(٤)</sup> في هجائه دعبلاً :

(١) ط : « وكان لي الكنان » .

(٢) في اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . ولأخفش في هذه  
 الكلمة بحث جيد في اللسان .

(٣) في لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومي من عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .  
 وقد عاصر دعبلاً وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٧  
 بأنه دعي بنى مخزوم . وفي ط : « أبو سعيد » والصواب ماني ل . ويؤيد ذلك قول  
 ابن أبي الشيص فيه ( الأغاني ١٨ : ٥٤ ) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا بالوالد

يَا ثَابِتَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهَا دُولٌ وَأَخْرَجَهَا بَانَ تَنْقَلًا  
هَلَّا جَعَلْتَ لَهَا كَحُرْمَةِ دِعْبِلٍ فِي اسْتِ [ام] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دِعْبِلًا

[ وقال ابن نوفل ] :

وَجِئْتُ عَلَى قَصْوَاءَ تَنْقَلُ سَوَاءً إِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سَوَاءٍ لَا تَهَابُهَا (١)  
وَتَزْعُمُ أَنَّ لَمْ تَخْزِ سَلْمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتَ بَعْدَ الرِّجَالِ كَلَابُهَا (٢)

وقال الحسن بن هاني يهجو جعفر بن يحيى :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَثْقِ (٣)  
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِرَاءِ (٤) وَأَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِ

وقال أبو الشَّمْتَقِ :

أَهْلُ جُودٍ وَنَائِلٍ وَفَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِالنَّدَى وَالْعَطِيَّةِ  
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَدْنَى مَكَانِي وَتَلَقَّيْتُ بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ  
لَا كَيْشَلٍ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّؤْمِ مِ شَبِيهِ السَّكَلِيَّةِ الْقَلْطِيَّةِ  
جِئْتُهُ زَائِرًا فَأَعْرَضَ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَحْبَةِ سُوسِيَّةِ (٥)  
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرُ بَغْلٍ غَابَ فِي دُبُرِ بَغْلَةٍ مِصْرِيَّةِ

وقال أيضاً :

أَلَا قَوْلَا لِسِرَّانِ الْخِصَارِي وَوَجْهَ الْكَلْبِ وَالتَّيْسِ الضَّرُوطِ (٦)

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .

(٤) ل : « خير » .

(٥) ط : « سرسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لشران » .

له بطنٌ يَضُلُّ الفيلُ فيه ودُّبرٌ مثلُ راقود النشوط (١)  
 وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدورِ سفينةٍ في بَشَقِ رُوط (٢)  
 ولحيةٌ حائكٍ من بابِ قلب (٣) موصلةِ الجوانبِ بأُحْيُوطِ  
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرَقَّةٌ جوانبُهُ بِقُوطِ (٤)  
 إِذَا نَهَضَ الْكَرَامُ إِلَى الْمَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِي هَبُوطِ  
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يارازقِ السكلبِ والخنزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهماءِ دويَّة (٥)  
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتِه حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيه (٦)  
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلْتانَ العبدَيَّ (٧) :

أقولُ لها والدَّمْعُ يغسلُ كُحْلَهَا متى كان حَكْمُ اللَّهِ في كَرَبِ النخلِ  
 فأجابه الصَّلْتانُ فقال :

تُعَيِّرُنَا أَنْ كَانَتْ النُّخْلُ مَالَنَا ووَدَّ أَبوكِ السكلبُ لو كان ذا نَخْلٍ  
 يعيِّره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النُّخْلِ (٨) .

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيع داخله بالقار . والنشوط : سمك يمتدح في ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبشَقِ النهر : كسر شطه لينبتق الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشيء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بنوط » وقد كتب هذا البيت تالياً للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه سابقاً له كما في ل .

(٥) ط : « في يهما روية » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريراً » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعيِّر جريراً وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر إلى المراجع السابقة .

وقال وضّاح النين :

وأَكنم السّرَّ غضباناً وفي سكرى      حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ  
وأتركُ القولَ عن علمٍ ومقدرةٍ      حتى يكون لذاك النّجدرُ مُطْلَعٌ <sup>(١)</sup>  
لأقوَى قُوّةِ الراعى ركائبه      يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبعُ <sup>(٢)</sup>  
ولا العسيفُ الذى تشدُّ عَقْبَتُهُ      حتى يثوبَ وبقى نعلُه قطعُ <sup>(٣)</sup>

وقال محمد بن عبّاد السكاكب مولى بجيلة ، وأبوه <sup>(٤)</sup> من سبى دابق وكاتب-  
زهير ، وصديقُ ثُمّامة ، يهجو أبا سعد <sup>(٥)</sup> دعى بني مخزوم ، وبعد أن لقي  
منه مالتى :

فعلتُ نزارُ بك الذى اسأهلتَه نفياً وضرباً  
فهجوتَ قحطانا لأهـ جُوههم مكايدهً وإرباً <sup>(٦)</sup>  
وأردتَ كما تشقى بهجائهم منهم فترباً  
ووثقتُ أنّك ما سبيتَ ، حماكَ لؤمُك أن تُسبّا  
كالكلاب إن ينبج فليدس جوابه إلا أخسَ كلباً <sup>(٧)</sup>  
خفضْ عليك وقرْ مكا نك لا تطفُ شرقاً وغرباً  
واكشفْ قناعَ أبليك فالآباءُ ليس تُنال غصبا

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .

(٢) الربع : ولد الناقة في الربيع ، وفي ط : « الولع » وصوابه في ل ، وفي الحماسة :  
١ : ٢٦١ . والشعر في الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على  
الظرف ( برواية : يشتد ) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفي ط :  
« وبقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزي ( ٢ : ٩٧ ) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما في الأغاني ٦ : ١٤ . وانظر  
البيان ١ : ٤٤ . وفي ط : « من سبى وأبق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نهبت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

٢٨٠

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدْتُ كَطْعَمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ  
وَمُبْدٍ لِي الشَّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ طَالَ السُّرَى فِدَعَانِي  
فوصفه كما ترى أنه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبِ  
وقال راشد بن شهاب البشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبْتُ شَمَالَ عَرِيَّةً بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمَ  
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلًا من نعال السكرام (١) :  
إِذَا طَرَحْتَ لَمْ يَطَّبِ السَّكْلَبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُشَمَّتْ  
وقال اللعين في بعض أضيافه (٢) ، يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال

ابن الأعرابي : إنما وصف تيساً :

فَقُلْتُ لَعَبْدِي أَقْتَلَا دَاءً بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لِمَنْ زَوَائِدُ (٣)  
فَجَاءَا بِخَرِشَاوَى شَعِيرَ عَامِيهَا كَرَادِيسٍ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ  
وقال خلبد عَيْنِينَ (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيَّرْتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَائِنَا وَوَدَّ أَبُوكَ السَّكْلَبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ

(١) للبغدادى كلام في البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :  
إِذَا وَضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضُوعُ مَسْكَ مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرَا  
وروايته في اللسان ( نعل ) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانتفاخ ماقبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم ( حلمات ) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموم القافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :  
\* وَأَعْفَاجُهُ الْعَظْمَى ذَوَاتِ الزَّوَائِدِ \*

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضاً بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازته زياداً لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دِعبِل بن عليّ :

ولو يُرْزَقُ النَّاسُ عَنْ حِيلَةٍ لَمَا نَالَ كَفْأً مِنْ التُّرْبَةِ  
ولو يَشْرَبُ الْمَاءُ أَهْلُ الْعِمَا ف لَمَا نَالَ مِنْ مَائِهِمْ شَرْبَةً  
ولسكنه رِزْقٌ مَنْ رِزْقُهُ يَعْمُ بِهِ السَّكَلَبُ وَالْكَلْبَةُ

## باب

( ذكر من هُجِيَ بِأَكْلِ لَحُومِ السَّكَلَابِ وَلَحُومِ النَّاسِ )

قال سالم بن دَارَةَ الْغَطَفَانِيُّ (١) :

يَافَقَعَسِيَّ لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَ لَوْ خَافَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ  
\* فَمَا أَكَلْتَ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ \*

وقال الفرزدق في ذلك :

إِذَا أَسَدِيٌّ جَاعَ يَوْمًا بِبِلْدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِلُهُ

وقال مساور بن هند :

إِذَا أَسَدِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلَوْمٍ فِي الْغِلَامِ

يُخْرِسُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَجِدْنَ مِنَ الطَّعَامِ (٢)

تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْقِيَاتٍ بِرَأْسِهَا عَلَى وَضَمِ الثَّمَامِ (٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أَنَّ اللَّعِينَ إِنَّمَا قَرَاهُمُ كَلْبًا وَلَمْ يَقْرِهِمْ  
تيساً ، وَأَنَّ الصَّوَابَ خِلَافُ مَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ .

وقال مُسَاوِرُ بْنُ هِنْدٍ أَيْضًا :

بَنِي أَسَدٍ أَنْ تُمَحِلَ الْعَامَ فَقَعَسُ فَهَذَا إِذْنُ دَهْرُ السَّكَلَابِ وَعَامُهَا

(١) هو سالم بن مسافع . وداراة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلاً هجاء ، وله ترجمة مسهبية في الخزائن ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء ١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضَمِ الثَّمَامِ : مثلى للقلعة والهُون . وفيه ط : « الثَّام » وصوابه في ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شَرِيح بن أوس يهجو أبا المهوَّش الأسدي<sup>(١)</sup> :  
وعَيْرَتنا تَمَرُ العراقِ وَبُرَّهَ      وزادُك أير السَّكَلَبِ شَيْطَه الجَمَرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروفُ الذُّبيري<sup>(٢)</sup> في أَكْلِهِمَ لَحُومَ النَّاسِ :  
إِذَا ماضِفتَ يَوْمًا فَقَعَسِيًّا      فلا تَطْعَمَ لَهُ أَبدا طَعَاما  
فإنَّ اللَّحْمَ إِنسانٌ فَدَعَهُ      وخيرُ الزَّادِ ما مَنَعَ الحراما  
وقد هُجِيتَ هذيلٌ وأَسَدٌ      وَبَلَعَنَبَرٌ وباهلةٌ بأكلِ لَحُومِ النَّاسِ ،  
قال حَسَّان بن ثابتٍ يذكر هذيلًا :

إِنَّ سَرَكَ الغَدْرُ صِرْفًا لَمْزَاجَ لَهُ      فأَتَ الرَجِيعَ وَسلَ عَن دارِ لَحْيَانِ  
قَوْمٌ تَواصَوْا بِأَكْلِ الجارِ بَيْنَهُم      فَالسَّكَلَبُ وَالشَّاةُ وَالإِنسانُ سَيَّانِ  
وقال الشاعرُ في مِثْلِ ذلكِ في هذيل :

وَأَنتُمْ أَكَلْتُمْ شَحْمَةَ بَنِ مَخْدَمٍ      زَبابُ فلا يَأْمَنُكُمْ أَحَدٌ بَعْدُ<sup>(٣)</sup>  
تَداعَوْا لَهُ مِن بَيْنِ خَمْسٍ وَأَرْبَعٍ      وَقَدَنصَلَ الأَظْفارُ وَأَنسَبُ الجِلْدُ<sup>(٤)</sup>

(١) أبو المهوَّش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزائن ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزائن و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدي » وأثبت مافي ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدَم » . وفي البخلاء ١٩٨ : « شخفة بن مخدَم » وفي ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو ما يهجي به . قال :  
وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء وصوابه في ل والبخلاء .



وَرَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لِرئيسِكُمْ مُعَاوِيَةَ الْفُلَحَاءِ يَالِكَ مَا شَكَّدِ<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر في ذلك في باهله :

إِنَّ غَفَاقًا أَكَلَتْهُ بَاهِلُهُ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ

\* وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفَاقٍ ثَاكِلَةً<sup>(٢)</sup> \*

وهجا شاعر آخر بَلْعَنْبَرٍ، وهو يريد ثُوبَ بَنِ شَحْمَةَ<sup>(٣)</sup>، وكان شريفاً وكان ١٣٠

يقال له مجير الطير. فَأَمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خبيري<sup>(٤)</sup>

فغير الشاعر ثوب بن شحمة<sup>(٥)</sup> بأكل الرجل العنبري<sup>(٥)</sup> لحم المرأة إلى أن أتى

ثوب<sup>(٦)</sup> من الجبل فقال :

عَجَلْتُمْ مَا صَادَكُمْ عِلَاجٌ مِنَ الْعُنُوقِ وَمِنَ النَّعَاجِ

\* حَتَّى أَكَلْتُمْ طِفْلَةً كَالْعَاجِ \*

فلما عيَّره قال ثوب<sup>(٧)</sup> :

يَا بِنْتَ عَمِّيَ مَا أَدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَا تَجْنُ خَيْثَ الزَّادِ أَضْلَاعِي<sup>(٨)</sup>

إِنِّي لَذُو مِرَّةٍ تُحْشَى بُوَادِرُهُ عِنْدَ الصَّيَّاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعٍ

ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان<sup>(٩)</sup> :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ماشكد

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفاقا » و « أم غفاق » بالعين ، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

ابن شحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجاز الطير فكان لا يشار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني ( ١ : ٢٠٢ ) وبلوغ

الأرب ( ١ : ١٤٤ ) .

(٥) ل : « القيني » ، وفي البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سسيان ، ط : « لا تجر » ل : « لا يجر » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبه سوداء تغرى بناها عرقاً من الموتى مراراً وتكراراً<sup>(١)</sup>  
أُتِجَ لها كلبٌ فضنّتْ بعرقِها فهارشها وهي على العرقِ تغدُمُ<sup>(٢)</sup>  
فقفَ على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيْحُ بن رباح شار الزنجي<sup>(٣)</sup> :

مَا بِالْ كَلْبِ بْنِ كَلْبٍ سَبْنَا أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حَاجِبًا وَعِقْلًا

### (قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسمع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رفعك  
قَبْرُ بُدْسَتْ<sup>(٤)</sup> فقال شقيق : حينَ وضعك قبرٌ بالمشقَر ، يا ابن قتيلِ النساءِ  
وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ<sup>(٥)</sup> الكلاب ، وذلك أنه  
لجأ في البردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن  
يدلَّ على مكانه فقتله فقتلَ به .

### (أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرعُ من لحسَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

(١) ط : « تغرى بناها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكراراً » وصوابهما في ل .

(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذلي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله .

ما في رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي الكامل ١٥ : ليسك « رباح بن سنيح الزنجي » .  
وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بتشير » .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوَةٍ » وهى السكلبة ، وجمعها لِعَاءٌ<sup>(١)</sup> . وفى المثل : « ألام من كلبٍ على عَرَقٍ » ، و « نَعِمَ كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

### (رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : السكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربى ، وإن كان أبقعَ فهو عجمى .

وقال الأصمعى عن حماد بن سلمة عن ابنِ أختِ أبي بلالِ مرداسِ ابنِ أديّة<sup>(٢)</sup> قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النومِ كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إنا حوّلنا بعدكم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولما خرج شمر بن ذى الجوشن [ الضَّبَّابى ] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائمُ أنَّ كلباً أبقعَ يبلغُ فى ٩٣١ دماهم ، فأولَ ذلك أن يقتلهم<sup>(٣)</sup> شمر [ بن ذى الجوشن ] . وكان مُتسلخاً برصاً<sup>(٤)</sup> .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمون الخوارجَ : كلابَ النار<sup>(٥)</sup> .

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أديّة » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى

الأغانى وجهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك يقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١ .

(شعر في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب <sup>(١)</sup> يصفه بالسرعة في الحضر ،  
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضبع وبسط يديه  
ورجليه حتى يمس قصصه الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً <sup>(٢)</sup> أظفاره ،  
وأنه لا يختشى ريحاً مع ما <sup>(٣)</sup> يصيب الكلاب من اللهث . فإن كان كما تقولون  
فلم وصفتم الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء  
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ <sup>(٤)</sup> لا يلتفت أحد لفته <sup>(٥)</sup> ؟ !  
وقال أبو دؤاد الإيادي في ذلك :

عن لسان كجشة الورل الأحمر مجّ الندى عليه العرار <sup>(٦)</sup>

ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة السكابي <sup>(٧)</sup> :

كان لسانه ورل عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخد أسيل كالمسن وبركة كجؤجو هيق دفه قد تمورا

- (١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .  
(٢) شبا : جمع شبة : وهي الحد . وفي ط : « بساء » محرفاً .  
(٣) ل : « لا يختشى ريحاً مع ما » و ط : « لا يختشى ريحاً ما » وسويت القول  
كما ترى .  
(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسأ » وفي ط : « المنسأ » .  
(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .  
(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي  
ذبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجشة الورل  
الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .  
(٧) ط : « حماد عجرد السكابي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب  
وهذه الرواية :
- كان لسانه ورل عليه بدار مضية مج العرار
- وفي ل : « ندى ومصيه » .

ولم يذكره في شيء . وقال عُمَيْقَةُ بن سابق :

عريض الخلد والجبهة والصهوة والجنب

ولم يذكره في شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط رُحْب

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عُمَيْقَةُ بن سابق :

ولها بركة كجؤجؤ هَيْقٍ وَلَبَّانُ مَضْرَجٌ بِالْخَضَابِ

ولم يذكره في شيء . وقال خُفَاف بن نَدْبَةَ :

عَبْلُ الدَّرَاعِينَ سَلِيمُ الشَّظَا كَالسَّيِّدِ يَوْمَ الْقِرَّةِ الصَّارِدِ<sup>(١)</sup>

[ ولم يذكره في شيء من ذلك ] . وقال امرؤ القيس :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجِجُ النَّسَا أَقْبَّ كَتَيْسِ الْحَلَبِ الْغَذْوَانِ<sup>(٢)</sup>

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عُمَيْقَةُ بن سابق .

١٣٢

وَأَرْسَاغٌ كَأَعْنَاقِ ظِبَاءٍ أَرْبَعِ غُلْبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الجَعْدِيُّ :

كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وُغُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لَهَا مَثْنَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكْبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّعْمِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال أَبُو دُوَاد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافي ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعتاده الظباء ، يخرج منه شيء شبيه باللبن إذا قطع . والغذوان :

النشيط المسرع ، وفي ط : « العلوان » من العدو ، وهو الجري . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعماتين تَتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ  
ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال ابن الصِّعَقِ (١) :

بِمَحْنَبٍ مِثْلِ الْعُقَا بِ تَخَالَهُ لِلضُّمْرِ قِدْحًا (٢)  
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال رَبِيعَةُ بْنُ جُشَمٍ [ النمرى ] ، وِيَرُوى لَامِرِىُّ الْقَيْسِ (٣) :  
وَسَاقَانِ كَعِبَاهُمَا أَصَمَّعَا نِ لَحْمٍ حَمَاتِيهِمَا مِنْبِتْرٌ  
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حَسَّانَ بن ثابت الأنصارى :  
كَأَنَّ حَمَاتِيَهُمَا أَرْنَبَانِ تَقْبِضَتَا خَيْفَةَ الْأَجْدَلِ (٤)  
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك (٥) :  
كَأَنَّ حَمَاتَهَا كَرْدُوسٌ فَحُلٍ مَقْلُصَةٌ عَلَى سَاقَى ظَلِيمٍ  
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال الأعشى :  
أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَبَكَأَنَّهُ جِدْعٌ سَمًا فَوْقَ النَّخِيلِ مَشْدَبٌ  
وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْفَوَارِسُ مَعْرَضًا فَتَقُولُ سِرْحَانُ الْغَضَا الْمُتَصَوِّبُ (٦)  
أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسَوِّقُهُ سَاقٌ يَقْمَصُهَا وَظِيفٌ أَحْدَبُ

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة فى الخزائن ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنَّب : الموج الساقين . وفى : ط « بمحنب » وليس بشىء .

(٣) جملة « وِيَرُوى لَامِرِىُّ الْقَيْسِ » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفى ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف .  
والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منهُ وجاعرة كأنَّ حماتها لما كشفت الجِلَّ عنه أرنبُ<sup>(١)</sup>

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعفي<sup>(٢)</sup> :

أما إذا استقبلته فكأنَّه بازٍ يكفِّفُ أن يطيرَ وقد رأى

أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثلُ سرحان الغضا

أما إذا استدبرته ففسوقه ساقُ فموصُ الوقع عارية النساء ١٣٣

ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولي تقول ملَّمَّ ضربُ<sup>(٣)</sup>

لأمَّ إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانهُ عقبُ

يمشي كمشي نعامٍ تبعَ أخرى إذا هي راعها خطبُ

[ ولم يذكره في شيء من ذلك ] . وقال امرؤ القيس :

له أبطلاً ظبي وساقاً نعامٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تنفُّلٍ

[ ولم يذكره في شيء من ذلك ] . وقال ابن سنان العبدى :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجدع شذبه نقي المنجل

أما إذا ما أعرضت فنبيلة ضخم مكان جزامها والمر كل<sup>(٤)</sup>

أما إذا تشددت فهي نعامٌ تنفي سناكبها صلاب الجنادل<sup>(٥)</sup>

( قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان )

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعام طولُ وظيفها وقصرُ

(١) الجِل : غطاء الفرس . وفي ط : « الحبل » محرفاً . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الفالث على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « صرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت نعاماً »

ساقيا وعُرى نسيها<sup>(١)</sup> . ومما يشبه من خلقه خلق الأرنب صغر كعبيها .  
ومما يشبه من خلقه خلق الحمار الوحشي غلظ لحمه ، وظماً فصوصه  
وسرته ، وتمحص عصبه<sup>(٢)</sup> ، وتمكن أرساغه ، وعرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إن مما يشبه من خلقه  
خلق الكلب هرت شدقه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار  
قصه<sup>(٣)</sup> ، وسبوغ ضلوعه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .  
وقال طفيل الغنوي ، يصف الخيل :

تبارى مراحيا الزجاج كأنها ضرائء أحست نبأ من مكلب<sup>(٤)</sup>  
وقال طفيل أيضاً :

كأن على أعطافه ثوب مائع وإن يلق كلب بين لحيمه يذهب<sup>(٥)</sup>  
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيت والبيتان والثلاثة ، من جميع  
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلنا إن تتبعنا ذلك وجدناه كثيراً ،  
ولسكنك تقدمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعني ، فنلتقط<sup>(٦)</sup> من الجميع  
١٣٤ أكثر مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضع منه مواضع  
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراحى - وهن الممرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :  
جمع زج . أى تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المنتخل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراحيا » . وذلك تعريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائع : الذى ينزل البئر فيملا الدلو ، والمائع : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل  
« كأن على أعطافها ثوب مائع » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مائع » . وانظر  
أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فلتقط » .



وترى السكيتَ أَمَامَهُ وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ مُغَاضِبٌ ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصٌ تَرَّاحَ إِلَى الصَّرَاخِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَاءِ تَرَّاحَ لِلْكَلَابِ<sup>(١)</sup>  
وقد شبهوا بالكلب كلَّ شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والورد .

### ( شعر في وصف الناقة ونشاطها )

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها  
والذي يهيجها فقال :

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرُ<sup>(٢)</sup>  
فَهَلَّا قَالَ : وَالتَفَّ كَلْبٌ كَمَا قَالَ : وَالتَفَّ دِيكَ !! وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ :  
[ و ] تَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَن بَدَفَّهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأَظْفَرِ<sup>(٣)</sup>

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَدَفَّهَا<sup>(٤)</sup> هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شداد العبسي :

وَكَأَنَّمَا يَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَوِّمٍ<sup>(٥)</sup>

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك في اللسان مادة ( روح ) .

(٢) لابن طباطبا نقد في هذا البيت ذكره المرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزاها » ، والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هزج . . » . وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرٌّ جَنِيبٌ كَلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْقَمْرِ<sup>(١)</sup>  
وقال المثقَّبُ العَبْدِيُّ :

فَسَلِّهِمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَافِرَةٍ كِمِطْرَقَةِ الْقُمُيُونِ  
وَبِصَادِقَةِ الْوَجِيفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِيِّينِ<sup>(٢)</sup>

قال صاحب السكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة  
بالخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والسكلب ليس  
يوصف بالخالب ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بن حجرٍ  
قال في ذلك :

\* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا \*

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلب والحدش والحمش والتظفير ، فلما  
أراد أن يفزعها ويثورها حتى تذهب جافلة في وجهها<sup>(٣)</sup> ، أو ناذة ،  
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقَّ المرح والنشاط<sup>(٤)</sup> قال :

\* وَالتَّفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٍ<sup>(٥)</sup> \*

وقال أبو النجم :

لَوْ جَرَّشْنُ وَسَطُهَا لَمْ تُجْفَلِ<sup>(٦)</sup> مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرِزٍّ مَعْضَلٍ<sup>(٧)</sup>  
[ ويروى : تحفل ] . ولو قال أوس :

(١) ط : « اتقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدده :

\* كَأَنَّ هَرًا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا \*

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به اللوجع ، كما في اللسان ( ررز ) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رزه » ، تحريف .

\* والتفَّ شَنُّ برجلِها وخنزير \*

اسكان جائزاً ، لولا يُبْسُ الشَّنُّ وقحُوله ، وأنه ليس مما يلتوى على رجلِها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلَمْ بِنَابِيهِ ظَفَرًا  
وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر  
وعبد الله بن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَحِلُّ  
لِرَجُلٍ [ أَنْ ] <sup>(١)</sup> يُعْطِيَ عَطِيَّةً وَيَرْجِعَ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطَى وَلَدُهُ .  
ومثل الذى يُعْطَى الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ ، حَتَّى إِذَا  
شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » <sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الله بن عمر قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« لَا يَرْجِعُ فِي هِبَتِهِ إِلَّا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ . وَالْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ » .  
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَمَرَ  
بِقَتْلِ الْكِلَابِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : وَكَانَتْ أُمِّي تَحْتَ أَبِي بَكْرٍ ،  
وَكَانَ جَرَوْهُ لِي تَحْتَ سَرِيرِهِ <sup>(٣)</sup> فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَتِ ، وَكَلْبِي أَيْضًا ؟ فَقَالَ :  
لَا تَقْتُلُوا كَلْبَ ابْنِي ، ثُمَّ أَشَارَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْكَلْبِ — أَى خَذَوهُ مِنْ تَحْتَ  
السَّرِيرِ — وَأَنَا لَا أَدْرَى ، فَقَتَلُ .

وإسماعيل بن أمية قال : أُمَّتَانِ مِنَ الْجَنِّ مُسِيخَتَا ، وَهُمَا  
الْكِلَابُ وَالْحَيَّاتُ .

ابن المبارك قال : إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ قَدَرَ نَفْسِهِ صَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ  
أَذْلًا مِنَ الْكَلْبِ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاءه ثم عاد في قيه » .

(٣) ط : « تحت السرير » .

### (لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمِهِ أَنَّهُ إِذَا أَسْمَنَتْهُ أَكَلَك ، وَإِنْ أَجْعَلْتَهُ أَنْكَرَكَ . ومن لؤمِهِ اتِّبَاعُهُ لِمَنْ أَهَانَهُ ، وَإِلْفُهُ لِمَنْ أَجَاعَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَجْهَلُ مَنْ أَنْ يَأْنِسَ بِمَا يُونِسُ بِهِ <sup>(١)</sup> وَأَشْرَهُ وَأَنْهَمُ وَأَحْرَصُ وَأَلَجُّ مَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِمَطْمَعَتِهِ <sup>(٢)</sup> مَا يَذْهَبُ بِمَطَامِعِ السَّبَاعِ .

ومن جهله أيضا أَنَّا لَمْ نَجِدْهُ يَحْرُسُ الْمُحْسِنِينَ إِلَيْهِ بِنَبَاحِهِ ، وَأَرْبَابَهُ الَّذِينَ رَبَّوْهُ وَتَبَنَّوْهُ <sup>(٣)</sup> إِلَّا كَحِرَاسَتِهِ لِمَنْ عَرَفَهُ سَاعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ لِمَنْ أَذَلَّهُ وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ . بل ليس ذلك منه حِرَاسَةً ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ الْبَذَاءِ أَوْ الْفُحْشِ ، وَشِدَّةِ التَّحَرُّشِ وَالتَّسَرُّعِ . وقد قال الشاعر في ذلك :

١٣٦ إِذَا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ      ثُمَّ كَسَرْتَ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ <sup>(٤)</sup>  
أَبْدَى إِذَا بُودِيتَ مِنْ كَلْبٍ ذَكَرٍ <sup>(٥)</sup>      أَسْوَدَ قَزَاحٍ يُعَوِّي فِي السَّحَرِ <sup>(٦)</sup>  
وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَكْلٌ مِنْ شَكْلِ الْجَبَنِ ، وَكَالَّذِي <sup>(٧)</sup> يَعتَرِي نِسَاءَ السُّفْلَةِ مِنْ الصُّخْبِ .

### (جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأةٌ ولؤمٌ . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التَّهَيُّبِ

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعته : طمعه . وفي ط : « بمطمعه » .

(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبدى : من البذاء . ط : « أبزى إذا بوديت » صوابه في ل . وانظر الأمالي

( ١ : ٩٦ ) وأمثال الميداني ( ٢ : ١٢٧ ) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند الدميري ( ١ : ٤١٠ ) .

(٦) القزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط : « فراع » . وفي ط : « تعوى في السحر »

وفي ل : « يغضى في السحر » .

(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفزع من كل شيء وينبحه .

والبردون ربما رَمَحَ البردون مبتدئاً ، وقلق وصهل صهيلاً في اختلاط ، وليس ذلك من فضل قوةٍ يجدها في نفسه على المرموح ، وليكنه يكون جباناً ، فإذا رأى البردون الذي يظنُّ أنه يعجز عنه أراه الجبنُ أنه واقعٌ به ، فعندها يقلق وإذا قلق رَمَحَ . وهذه العلّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنون الذي تستولى عليه السّوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنّ المرّة أوهمته أنه يريد بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه<sup>(١)</sup> بالضرب . وعلى مثل ذلك يرمى بنفسه في الماء والنار .

### (مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيّار النّظام ، فإنّا خرجنا ليلةً في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدّمته شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب الرّعاء، وكره أن يعدو فيغريه ويضريه<sup>(٢)</sup> ، وأنف أيضاً من ذلك — وكان أنفياً شديداً الشّيكمة أباء للهزيمة — وكره أن يجلس مخافة أن يشغره عليه<sup>(٣)</sup> أو لعلّه أن يعضّه فيهرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء<sup>(٤)</sup> . فلما جُزنا حدّه وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم في كلامٍ له كثير ، يعدّد خصاله المذمومة ، فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبّع فاذهب مع السّباع ، وعليك بالبرارى والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنّا سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأه » .

(٢) يضريه : يغريه . وفي الأصل : « ويضربه » .

(٣) في ط : « يشغره عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولاتنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون . من قولي « إن كنت  
سبع » ولم أقل « إن كنت سبعا » ! .

### ( إفساد الإعراب لنوادير المولدين )

وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يفسد  
كلام الأعراب<sup>(١)</sup> ؛ لأن سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة<sup>(٢)</sup>  
وذلك الخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دخلت على هذا الأمر - الذي  
إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيه<sup>(٣)</sup> - حروف الإعراب  
والتحقيق والتثقيف<sup>(٤)</sup> وحولته إلى صورة ألقاظ الأعراب الفصحاء ،  
وأهل الروعة والنجابة<sup>(٥)</sup> انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته .  
ثم قال أبو إسحاق : إن أطمعه اللص بالنهار كسرة خبز خلاه ،  
ودار حوله ليلا . فهو في هذا الوجه مرتش وآكل سُحت ؛ وهو مع  
ذلك أسمع الخلق صوتا ، وأحق الخلق يقظة ونوما ، ينام النهار كله على  
نفس الجادة ، وعلى مدق الخوافر ، وفي كل سوق وملتقى طريق ، وعلى  
سبيل الحمولة<sup>(٦)</sup> وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب ، والنصب  
والتعب ، والغيظ والغضب ، وبالجمي والذهاب ، فيركبه من حب النوم

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه مافى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيف » والوجه مافى ل :

(٥) ل : « والثغاة » .

(٦) الحمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بعر وحمار ونحوه . وفي الأصل : « الحولة »

بالحاء مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطنته دابةٌ فأسوأُ الخلقِ جزعاً وألماً  
لوماً ، وأكثره نباحاً وعواءً ، فإن سلم ولم تطأهُ دابةٌ ولا وطنه إنسان ،  
فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنه في حالٍ متوقعٍ للبليّة . ومتوقعٍ البليّة في  
بليّة . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنه أسوأُهم  
جزعاً وأقلهم صبراً ، ولأنّه الجاني ذلك على نفسه ، وقد كانت الطرق  
الخالية له معرضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

وبعد فإنَّ كلَّ خلقٍ فارقَ أخلاقِ الناسِ فإنّه مذموم . والناس ينامون  
بالليل الذي جعله الله تعالى سكناً ، وينتشرونَ بالنهار الذي جعله الله تعالى  
لحاجات الناس<sup>(١)</sup> مَسْرَحاً .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إنَّ سهره بالليل ونومه بالنهار  
خَصْلَةٌ ملوكيّة لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك ألدَّ لكنت الملوك بذلك  
أولى . وأمّا الذي أشرتم به من النوم في الطرق الخالية ، وعبثتموه به من  
نومه على شوارعِ الطُّرق والسُّككِ العامرة<sup>(٢)</sup> وفي الأسواق الجامعة ،  
فكلُّ امرئٍ أعلم [ بِشأنِهِ ] . ولولا أنَّ الكلبَ يعلم ما يلقَى من الأحداث  
والشفهاء وصبيان الكتّاب ، من رضَّ عظامِهِ بألواحهم إذا وجدوه نائماً في  
طريق خالٍ ليس بحضرته رجالٌ يُهابون<sup>(٣)</sup> ، ومشِيخةٍ يرحمون ويزجرون  
السفهاء ، وأنَّ ذلك لا يعتريه في مجامع الأسواق - لقلَّ خلافه عليك ، ولما  
رقد في الأسواق . وعلى أنَّ هذا الخلقُ إنّما يعتري كلاب الحُرّاس ، وهي

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ ، وفي ل : « على مربعات السكك العامرة » .

(٣) في الأصل « في طريق ليس خال بحضرته .. الخ » وكلمة « خال » مزحزحة  
عن موضعها ،

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فن أخطأ وأظلمُ ممن يكلف السباعَ أخلاقَ الناس وعادات  
البهائم !! وقد علمنا أن سباع الأرض عن آخرها إنما تهيج وتسرح وتلتمس  
المعيشة وتلتاق على السفاد والعظام ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

### ( سبب اختيار الليل للنوم )

وإنما نام الناس بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين<sup>(١)</sup>  
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرّك بدُّ من سكون يكون جهاماً له .  
ولولا صرفهم<sup>(٢)</sup> التماسَ الجسام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع  
١٣٨ من التمييز والتبيين<sup>(٣)</sup> ، لسكانت الطبائع تنقض . فجعلوا النوم بالليل  
لضربين : أحدهما لأن الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ،  
كان ذلك أنزعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنه من شكله . و [ أمّا ]<sup>(٤)</sup>  
الوجه الآخر فلأن الليلَ موحشٌ مخوف الجوانب من الحوام والسباع ،  
ولأن الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ،  
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبرّهار<sup>(٥)</sup> وما لا يحصى عدده .  
فقداتهم طبائعهم وساقطهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرهار : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية  
وأهل البصرة لها : البرهار . أنساب الممغانى ٧١ . وانظر ماسياني في حواشي ٣ : ٤٣٥



والتصرف<sup>(١)</sup> في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنها تتصرّف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

### ( نوم الملوك )

وأمّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإنّ<sup>(٢)</sup> الملوك لم تجهل فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكنّ الملوك لكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن<sup>(٣)</sup> مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرّ المخزون ، جمعت المقدار الفاضل عن اتّساع النهار إلى المقدار الذي لا بدّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل صدرأ صالحاً . فلماً طال ذلك عليها أعانها الميران<sup>(٤)</sup> ، وخفّ ذلك عليها بالدربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوامّ إذا كانت لاتتناول الشراب ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء<sup>(٥)</sup> ، وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسرّ وأجدر أن يتمّ به التدبير<sup>(٦)</sup> ، وقال الراجز :

\* اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ \*

وقالوا في المثل : « اللَّيْلُ أَخْفَى<sup>(٧)</sup> لِلْوَيْلِ » .

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف مافى ل .

(٦) ط : « به باقى التدبير »

(٧) ط : « أنقى للويل » . وانظر أمثال الميداني ( ٢ : ١٢٧ ) .

### ( تلهى المحزون بالسماع )

وما زالت ملوك العجم تلهى المحزون بالسماع ، وتعذل المريض ، وتشغله  
عن التفكير ، حتّى أخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم . ولذلك  
قال ابن عسلة الشيباني (١) :

وسماع مُدجّنة تعلّنا حتّى ننام تناوّم العجم  
فصحوت والنمريّ يحسبها عمّ السالك وخالة النجم (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإنّما يعنى فى البيت الثرىا . ومدجّنة : يعنى  
سحابة دائمة .

### ( قول أم تأبط شرا فى ولدها )

وفىما يحكى عن امرأة من عقلاء نساء العرب — وإذا كان نساء العرب  
١٣٩ فى الجملة أعدل من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدّمة  
فيهم (٣) — فرووا جميعاً أنّ أمّ تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يذناً ، ولا سقيته  
غَيْلاً ولا أبته على مآفة » .

فأمّا البتين فخروج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سوء ،  
ودليل على الفساد . وأمّا سقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبل ، وذلك  
فساد شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

### ( ما ينبغي للأم في سياسة رضيعها حين بكائه )

وأما قولها في المأقفة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفرعة أو اللوعة أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللْ ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسرِّي فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأمُّ الجاهلة والمرقصة الحرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثر منها ذلك الفساد ، وترادف ، وأعان الثاني الأوَّل والثالثُ الثانيَ حتَّى يخرجَ الصبيُّ مائتاً . وفي المثل : « صاحبى متيق وأنا تتيق » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرِّفقي والزَّميل ، وقد استفرغه الضَّجَر لطول السفر <sup>(١)</sup> فقلَّبهُ ملآن ، فأوَّلُ شيء يكون في ذلك المتيق من المكروه لم يحتماه <sup>(٢)</sup> بل يفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ما قاسى من مكروه السفر .

### ( ما يحتاج إليه المملوك )

فاحتاج حُذَّاقُ المملوكِ وأصحابُ العناية التامة ، أن يداووا أنفسهم بالسَّماع الحسن ، ويشدُّوا من متَنِهم بالشراب ، الذي إذا وقعَ في الجوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرَّك الدَّم حرَّكَ طباعَ السرور ، ثمَّ لا يزال زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مكىال الدم ، زائداً فى الحركة المولدة للسورر . هذه صفة الملوك . وعلله  
بنوا أمرهم ، جهل ذلك من جهله ، وعلله من علمه .

وقال صاحب السكلب : أما تركه الاعتراض على اللص الذى أطعمه  
أياماً وأحسن إليه مراراً ، فإنما وجب عليه حفظ أهله لإحسانهم إليه ،  
وتعاهدتهم <sup>(١)</sup> له . فإذا كان عهده ببر اللص أحدث من عهده ببر أهله <sup>(٢)</sup> ،  
لم يكلف السكلب النظر فى العواقب ، وموازنة الأمور <sup>(٣)</sup> . والذى أضر  
اللس من الببات غيب قد ستر عنه ؛ وهو لا يدرى أجا لياخذ أم جا  
للعطى ، أوهم أمروه أو هو المتكلف لذلك ؛ ولعل أهله أيضاً [ أن ] يكونوا  
قد استحقوا ذلك منه بالضرب والإجاعة ، وبالسب والإهانة .

وأما سماجة الصوت فالبغل أسمع صوتاً منه ، كذلك الطاووس على  
١٤٠ أنهم يتشاءمون به . وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القمارى  
والدباسى ، وأصناف الشفانين <sup>(٤)</sup> والوراشين . فأما الأسد والذئب ؛  
وابن آوى والخزير ، وجميع الطير والسباع والبهايم فكذلك . وإنما لك  
أن تدم السكلب فى الشئ الذى لا يعم . والناس يقولون : ليس فى الناس  
شئ أقل من ثلاثة أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة  
الحسنة ؛ ثم الناس بعد مختلطون ممتزجون . وربما كان من الناس بل  
كثيراً ماتجده وصوته أقبح من صوت السكلب ، فلم تخصون السكلب  
بشئ عامة الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عواؤه من وطء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان ، فجزع

(١) ل : « وتمهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت  
ما فى ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر برذون ؛  
وهو في هذا الموضع للفرس أشد<sup>(١)</sup> مناسبة منه للحمار .  
على أن الذئب لا يُذكر بصبر ولا جزع .

### ( نوادر ديسيموس اليوناني )

قال صاحب الديك : حدثني العُتبي<sup>(٢)</sup> قال : كان في اليونانيّين ممرور  
له نوادرٌ عجيبة ، وكان يسمّى ديسيموس<sup>(٣)</sup> ، قال : والحكماء يروون له  
أكثر من ثمانين نادرة [ مامنها ] إلاّ وهى غُرّة وعينٌ من عُيون النوادر :  
فإنه أنه كان كلّما خرج من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط  
والطهور ، ألقي في أصل باب داره وفي دُوارته حجراً ، كي لا ينصفق الباب ،  
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه<sup>(٤)</sup> كلّما رجّع من حاجته ، فكان  
كلّما رجّع<sup>(٥)</sup> لم يجد الحجر في موضعه ، ووجد الباب منصفقاً . فكمن  
له في بعض الأيام<sup>(٦)</sup> ليرى هذا الذى يصنع<sup>(٧)</sup> ما يصنع . فبينما هو في  
انتظاره إذ أقبل رجلٌ حتّى تناول الحجر ، فلمّا نحا عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القيني » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم  
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجّع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

الياب ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشعر ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمسن الذي يشحد ولا يقطع .

ورآه رجل يأكل في السوق فقال : أأأكل في السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس في السوق أكل من السوق .

قال : وأسمعه رجل كلاما غليظا وسطا عليه ، وفحش في القول ، وتحلم عنه فلم يجبه ، فقيل له : مامنك من مكافأته وهو لك معرض ؟ قال : أرأيت لو رحك حمار أكنت ترحه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبج عليك كلب تنبج<sup>(١)</sup> عليه ؟ قال : لا ، قال : فإن السفية إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون ١٤١ كلباً ؛ لأنه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان فيه<sup>(٢)</sup> .

### (أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنما هو كلب ، وإنما أنت كلب نباح ، وما زال ينبج علينا منذ اليوم ، وكتب من هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، وأخساً كلباً<sup>(٣)</sup> .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصوف من جز كلبه » ، و « أجع كلبك يتبعك » ، و « أحب شيء إلى الكلب خائفه » ، و « سمن كلبك يأكلك »

(١) ل : « فإن نبج عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما ل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة وأخس كلباً » .

و « أَجَوَّعَ مِنْ كَلْبَةٍ حَوَمَلٌ » <sup>(١)</sup> ، و « كَالْكَلْبِ يَرِيضُ فِي الْآرِيِّ فَلَا هُوَ يَأْكُلُ وَلَا يَدَعُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ » .

### ( براقش )

وفي أمثالهم في الشؤم : « عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَاقِشٌ » .  
وبراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى ، فاستدلُّوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم <sup>(٢)</sup> .

### ( الجن والجن )

وقال صاحب الديك : روى إسماعيلُ المكيُّ عن أبي عطاءٍ العطاردي قال : سمعت ابن عبَّاس يقول : السُّود من الكلاب الجنِّ ، والبُقْع منها الجنِّ . ويقال إنَّ الجنَّ ضَعْفَةُ الجنِّ ، كما أنَّ الجنِّيَّ إذا كفر وظلم وتعدَّى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنیان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإن زاد فهو عَفْرِيت ، فإن زاد فهو عبقريٌّ . كما أنَّ الرجل إذا قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع <sup>(٣)</sup> ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمَةٌ ، فإن زاد قالوا : أَلَيْسَ <sup>(٤)</sup> . فهذا قول أبي عبيدة .

وبعض النَّاس يزعم أنَّ الجنِّ والجنَّ صِنْفَان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى بعض أبواب الملوك ليكتتب في الزَّمْنِي ، فقال في ذلك :  
إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمْنِي فَإِنِّي لَزَمَنْ مِنْ ظَاهِر الدَّاءِ وَدَائِ مُسْتَسْكِنٍ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقاً طريفاً للمثل في إكليل الهمداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يحجم . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليث » وهو تحريف .

أُيِّتْ أَهْوَى فِي شَيَاطِينَ تُرِنُّ مَخْتَلِفٍ نَجَارُهُمْ حِنْ وَجَنٌ

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي عنبسة<sup>(١)</sup> عن أبي الزبير عن جابر :<sup>(٢)</sup> قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلابها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبد الله وأبو بكر ابنا نافع<sup>(٣)</sup> عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكُنَّا نقتلها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بني عامر ، وإذا عجوز مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان<sup>(٤)</sup> فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسني ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر<sup>(٥)</sup> : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرخت . قالوا : فقد صحَّ الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنها من الجن والحن ، وأن أمتين مُسختا ، وهما الحيات والكلاب .

(١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .

(٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبي الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتي في ل روى بعد الذي يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أنباننا نافع » . (٤) ط : « يقرها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفي حديث » .



ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان خطبة إلا أمر بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اقتلوا الكلاب واذبخوا الحمام .

قال : وقال عطاء : في قتل كلب الصيد إذا كان صائداً أربعون درهما ، وفي كلب الزرع شاة ،

### ( ما ورد من الحديث والخبر في دية الكلب )

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup> قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد بأربعين درهما ، وفي كلب الغنم بشاة ، وفي كلب الزرع بفرق من طعام<sup>(٢)</sup> ، وفي كلب الدار بفرق من تراب ، حق على القتاتل أن يؤدِّيَه ، وحق على صاحب الدار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان في مقدار الفرق . وفي قوله : وحق على صاحب الدار أن يقبضه ، دليل على أنه عقوبة على اتخاذه<sup>(٣)</sup> وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [ و ] على وجه الإرغام لما لساكه . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإسكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريرك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهي عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

## (ما ورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .  
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك  
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد  
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجل وهو كاره ؟  
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة<sup>(١)</sup> المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في  
الجبان<sup>(٢)</sup> وهي مغورة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟  
قال : لا لا .

وعن ابن أبي أنيسة<sup>(٣)</sup> عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره  
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً<sup>(٤)</sup> فإنه  
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق<sup>(٥)</sup> قال : حدثنا هنيئة بن خالد<sup>(٦)</sup> الخزاعي  
قال : انطلقت مع نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيسلة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجبان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ما عدل : « ابن أبي شيبه » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق

قال : حدثنا هيرة » .

(٦) ط : « هنييرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلما انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلبٌ في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاء من عمل فلانٍ شيئاً ، كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً في كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقص من أجره كلَّ يومٍ قيراطٌ ، والقيراطُ <sup>(١)</sup> مثلُ جبلٍ أُحدٍ » .

يونس عن أبي إسحاق <sup>(٢)</sup> عن مجاهد <sup>(٣)</sup> قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمٍّ له تهاديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إلى الغنم فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكة لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوريُّ عن سمالك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ السكَّاب من الحِنِّ <sup>(٤)</sup> وإنَّ الحِنَّ من ضَعْفَةِ الجنِّ ، فإذا غَشِيَكُمْ منها شيءٌ فآلِقُوا إليها شيئاً أو اطرِدوه <sup>(٥)</sup> ، فإنَّ لها أنفُسَ سوء .

وهُشَيْم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهَوْنَا عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غلمانُ <sup>(٦)</sup> إلَّا السكَّاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجيم ، والصواب بالخاء كما في ل .

(٥) كذلك جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء . وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل <sup>(١)</sup> فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنه الناس ، لأن تأويله هذا ليس على وجهه ، ولسكنه كرهه للفرسان ورجال الحرب <sup>(٢)</sup> اتخاذاً ما يتخذونه الفلاح وأصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهب الفرسان وفي دربة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويل مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أن الحمام مسخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أن عمر إنما <sup>(٣)</sup> أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار بها . فاعل كلاب المدينة في تلك الأيام كثر فيها العقور <sup>(٤)</sup> وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولاية المدينة ربما دمروا على صاحب الحمام <sup>(٥)</sup> إذا خيف قبله

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « وللرجال » .

(٣) في الأصل « لما » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القمار<sup>(١)</sup> وظنوا أنه الشرف<sup>(٢)</sup> : وذكروا عنه الرمي بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالسكم لم تُخرجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرجهم للحمام والديكة .

### (المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري<sup>(٣)</sup> والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروى بعضهم في الإربيانة أنها كانت خيطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعض خيوطها لتسكون علامة لها ودليلا على جنس سرقتها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحانة ، وفي سهيل أنه كان عشارا باليمن<sup>(٤)</sup> وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكاة<sup>(٥)</sup> ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين<sup>(٦)</sup> وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن السكلاب أمة من الجن مُسخت . والذئب أحق بأن يكون شيطانا من السكلب ، لأنه وحشي وصاحب قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من غير أو شر . وفي ل : « به التشرّف » ، وفي ط : « أنه السرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدي » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاة : عطاءة مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري .

معجم المملوك ١٥٥ . وفي ط : « الخداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نهبت عليه ص ١٥٢ .

وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدي ، والكلب أليف وصاحب ديار ، وبه يضرب المثل .  
والذئب خثور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناس في الديار  
الكلاب مقام السنابير للفأر <sup>(١)</sup> . والذئب مضرّة كلّها ، والكلب منافع  
فاضلة على مضارّه ، بل هي غالبية عليها وغامرة لها ، وهذه صفة جميع هذه  
الاشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعباد  
والولاة والنسك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحتسبة  
وأصحاب التكليف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك التكبير على <sup>(٢)</sup>  
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دور من لا يعصيه ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا  
أنّه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلا فالتناس  
في جميع أقطار الأرض لا يجمعون على مسالمة أصحاب المعاصي ، الذين قد  
خلعوا عذرتهم وأبرزوا صفحتهم <sup>(٣)</sup> . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهد عند  
قاض بأن في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يردّ بذلك شهادة . بل لو كان اتخاذ  
الكلاب مأموراً به ، لما كان إلا كذلك .

ولو أنكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع  
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة <sup>(٤)</sup> ،  
وجميع الذئاب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حمار  
عزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » ولواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١

## ( ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي )

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباب في دهر الأنبياء ونزول الوحي ،  
لا يعرض مثلها في غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الأرض  
على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يترأى في السكك<sup>(١)</sup> في صورة  
سُرَاقَة المُلْجِي ، وظهر في صورة الشيخ النجدي . ومثل هذا كثير .

## ( ما يسمى شيطانا وليس به )

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع حاماً طياراً  
فقال : « شيطانٌ يتبع شيطانا » ، فخبرونا عن يتخذ الحمام<sup>(٢)</sup> من بين جميع  
سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين<sup>(٣)</sup> ومن بنى هاشم  
إلى من دونهم ، أنزعون أنهم شياطين على الحقيقة ، وأنهم من نجل  
الشياطين ؛ أو تزعمون أنهم كانوا إنساً فمُسِخُوا بعدُ جنّاً ؛ أم يكون قوله  
لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى  
قول عمر : لَأَنْزَعَنَّ شَيْطَانَهُ مِنْ نُخْرَتِهِ<sup>(٤)</sup> ، وعلى قول منظور بن رواحة<sup>(٥)</sup> :  
فلما أتاني ما تقولُ تَرَقَّصْتُ شَيَاطِينَ رَأْسِي وانتَشَيْنَ مِنَ الْخَمْرِ

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصريين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهمزة : مقهم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مرة أبو الوجيه العسكلى : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »  
 قيل له : وأى الشياطين تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمى كل حية شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تلاعب منى حضرمتى كأنه تعمج شيطان بذى خروع قفر<sup>(١)</sup>

وقالت العرب : ما هو إلا شيطان الحماطة . ويقولون : « ما هو إلا شيطان »

يريدون القبح ؛ و « ما هو إلا شيطان » ، يريدون الفطنة وشدة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلنا إلا شيطان برصا<sup>(٢)</sup>

١٤٦ لأن الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان : قال طفيل الغنوى :

\* وشيطان إذ يدعوهم ويثوب<sup>(٣)</sup> \*

وقال ابن ميادة :

فأما أتانى ما تقول محارب تغت شياطينى<sup>(٤)</sup> وجن جنونها

وقال الراجز :

إنى وإن كنت حديث السن وكان فى العين نبوءة

فإن شيطانى كبير الجن

وقال أبو النجم :

إنى وكل شاعر من البشر شيطانه أننى وشيطانى ذكر

وهذا كله [ منهم ] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن راحة :

أتانى وأهلى بالدماح فعمرة مسب عوفى اللوم حتى بنى بدر<sup>(٥)</sup>

(١) تمنع : تلوى . وفى ط : « تمنع » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما فى ط .

(٣) شيطان هو ابن الحسك ، فارس الخذواء . وصدر البيت كما فى اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :

\* وقد منت الخذواء منا عليهم \*

(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرماح » ل : « بالدماح » . وانظر ياقوت (دماح ، غمرة) . ل : « حتى بنى بدر » .



فلما أثنى ما يقولُ تَرَقَّصَتْ شياطينُ رأسي وانتشَيْنَ من الخمرِ

### ( خرافةُ العذريِّ )

وفد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [ يوما ] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وخرافة حقٌّ » .

### ( حديث عمر مع الذى استهوته الجن )

ورويتم أَنَّ شريك بن خناسة دخلَ الجَنَّةَ وخرجَ منها ومعه ورقةٌ من ورقِهَا ، (١) وَأَنَّ عمرَ سألَ الرجلَ المفقودَ الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفول والرَّمة . (٣) وسألَ عن شرابهم فقال : الجَدَفُ (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلمُ من أمسى أعقَّ وأحوبا  
لكالثورِ والجنِّ يضرب ظهْرُهُ (٦) وما ذنبه أن عافت المماء مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .  
وفى ط : « الجدق » وهو تحريف .

(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

( من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار )

وزعمتم أَنَّ الجنَّ خنقت حربَ بن أمية ، وخنقت مرداسَ بن أبي عامر ، وخنقت الغريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات <sup>(١)</sup> أقوياء على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث <sup>(٢)</sup> المشهورِ إلى أهوائكم . وقد ١٤٧ عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قص فقد أثم <sup>(٣)</sup> » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع والضرع والقص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضرع إلا ليحرسَ الماشية وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طروق الأسد والنمر والذئب وجميع ما يقتات اللحمان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره ودلائمه ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويهيج بها بعض الهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوaf إليها <sup>(٤)</sup> من يذود عنها ، إذ ليس في هذا القياس أنا متى وجدنا دهرأ تكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السرّاق ، وتظهر فيه الثقوب ، ويشيع فيه التسلق ، فمن إذا أفضى إلى منزل القوم لم يرض إلا بالحربية <sup>(٥)</sup> ليس دونها شيء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريد حتى يمرّ على النساء مكشّفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يدٍ ألا يرضى أن يتوعّد بذبح الأولاد [ و ] أن يتقى بالمال ، <sup>(٦)</sup> حتى يذبح ،

(١) ل : « ملأ بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب في ل .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحربية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحربية » .

(٦) ل : « وإن لم يتقى بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسكن شيئاً أو أمين قليلاً ، أن يركب الحرّم بالسوءة العظمى  
وبالتى لاشوى لها <sup>(١)</sup> . فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصرين <sup>(٢)</sup>  
يتزاورن نهراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهراً ، ونساء المصرين <sup>(٢)</sup> لا يرين  
ليلاً ، إلا للمكابرات ولمسكان كثرة من يستغنى ويتحوب <sup>(٣)</sup> للنقب  
والتسلق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين <sup>(٤)</sup> والحياطة ،  
وأيهما أشبه بالتغيرير والإضاعة : اتخاذ السكّاب التى لاتنام عند نوم من  
قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة الشراق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أننا لو حللنا <sup>(٥)</sup> بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب  
الناس <sup>(٦)</sup> ، وبين اتخاذ السكّاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمتنع  
كل محروس من إعطائهم <sup>(٧)</sup> تلك الأجرة ، ولوجد اللصوص ذلك من أعظم  
الغنم وأجود الفرص <sup>(٨)</sup> . أو ما تعلمون أن هذا الحرّم ، وهذه الحرمات <sup>(٩)</sup> وهذه  
العقائل من الأموال ، أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من  
حفظ الغنم وحرّم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لا يجتمع على قطيع واحد ، والذى يخاف من الذئب  
السلة والخطفة <sup>(١٠)</sup> ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لا تخطئ .

(٢) ط : « المصرين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرمة .

(٧) فى الأصل : « إعطائهم » والضمير ضمير الحرم . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الغرض » .

(٩) ط : « الحريمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعدة ، ومن تُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخدافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثم يجالدون دون ذلك <sup>(١)</sup> بسيف الهذ وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليئة لولا <sup>(٢)</sup> أنهم قد أحسوا من أنفسهم الجراءة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أن قلوبهم أشد من قلوب الأسد لما خرجوا ، على أن جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أن السلطان لم يؤل <sup>(٣)</sup> إلا لمكانهم . و [ السكالب لم تتخذ إلا لـ ] الإنذار بهم ، وعلى أنهم إن أُنذر بهم قاتلوا قتال من لا ينجيه إلا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كراما .

ولعل المدينة قد كانت [ في ] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد <sup>(٤)</sup> وكان أكثر كلابها عقورا ، وأكثر فتيانها من بين مُهارش أو مقامر . والكلب العقور والكلب السكلب أشد مضرّة من الذئب المأمور بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكلب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

### ( قتل العامة للوزغ )

وجّهال الناس [ اليوم ] يقتلون الوزغ ، على أن آباءها وأمهاتها <sup>(٥)</sup> كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الخطب . فأحسب أن آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يؤلم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أباءها وأمهاتها » والوجه ما في ل .

وأُمَّهَاتِهَا قد كنَّ يعرفن فصل<sup>(١)</sup> ما بين النبيِّ والمنتبئ ، وأنَّهن اعتقدن عداوة إبراهيم ، على تقصير في أصل النظر ، أو عن معاندة بعد الاستبانة حتَّى فعلن ذلك - كيف جاز لنا أن تَزِرَ وازرةٌ وزراً أخرى ؟ ! إلا أن تدَّعوا أن هذه التي نقتلها هي تلك الجاحدة للنبوة ، والكافرة بالربوبية ، وأنَّها لاتتناكح ولا تتوالد .

وقد يستقيم في بعض الأمر<sup>(٢)</sup> أن تقتل أكثر هذه الأجناس ، إمَّا من طريق الخنة والتعبُد<sup>(٣)</sup> وإمَّا إذ<sup>(٤)</sup> كان الله عزَّ وجلَّ قد قضى على جماعتها الموت ، أن يجرى ذلك الجرى على أيدي الناس ، كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد ، وهو ملك الموت .

وبعد فلعلَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول [ إن ] كان قاله ، على الحكاية لأقوايل قوم . ولعلَّ ذلك كان على معنًى كان يومئذٍ معلوما فترك النَّاسُ المِعلَّةَ ورووا الخبر<sup>(٥)</sup> سالماً من العِلل ، مجرداً غير مضمَّن<sup>(٦)</sup> . ولعلَّ مَنْ سمع هذا الحديث شهد آخرَ الكلام ولم يشهد أوَّلَه ، ولعلَّه عليه الصلاة والسلام قصَّد بهذا الكلام إلى ناسٍ من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شيء . وكلُّ ذلك ممكنٌ سائغٌ<sup>(٧)</sup> غير مستنكر ولا مدفوع .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فصل » .

(٢) ل : « في البدئ الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبُد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإمَّا إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مِيز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويتم [ في الفواسق ما قد رويتم في <sup>(١)</sup> الحية والحدأة والعقرب  
والفأرة والغراب ، ورويتم ] في الكلب العقور ، وكيف يُقتلَن <sup>(٢)</sup> في الحِل  
والحرَم . فإن كنتم فقهَاء فقد علمتم أن تسمية الغراب بالفِسق ، والفأرة  
١٤٩ بالفؤيسة ؛ أن ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق <sup>(٣)</sup> ، ولا من شكل  
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .  
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :  
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة <sup>(٤)</sup> فلا يقربن مصلانا » وهو على غير  
قوله عز وجل ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ . وقد قال بعض الرُّجَّاز  
وذكر ذنباً :

أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائطِ أستغيثُ  
والذئبُ وَسَطَ غنمي يعيثُ وصحتُ بالغائطِ يا خبيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب  
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطِّ  
في القرطاس ، وإن اختلفت أما كنهه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنما يعرف  
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنوا بالكلام .  
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما قبل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

### ( القتل والقصاص )

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، والمذئب والأسد ، على معنى ينتظم معنيين<sup>(١)</sup> : أحدهما الامتحان والتعبد بفسكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العصى لا تُغنى فيه على جهة الدَفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمّر بالقصد إلى قتله ، وإِنَّمَا الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ ماتَ من قطع يده ، وقاذفٍ ماتَ عن جلد ظهره<sup>(٢)</sup> . وقد أمرنا بالقصد إلى قتل الحيّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛ لأنَّ جنسها الجنسُ المتلف متى همَّ بذلك . وليس لنا أن نضربَ الباغى بالسيف إلا وهو مقبلٌ غيرُ مدبرٍ ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما يُقتل الكافرُ مقبلاً ومدبراً ؛ إلا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان<sup>(٣)</sup> والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن بحبسها<sup>(٤)</sup> والاحتياط لمنعها ، دون قتلها . وإذا ولَّى الباغى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [ أبداً ] إلى أن يؤنَّسَ منه النُّزوعُ . وسبيل الأحناسِ والسُّباع وذواتِ السموم من الهمج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيع لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « معنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناياتهما علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،  
والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان  
قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

### ( طائفة من المسائل )

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجُرِّيِّ ، وعن مسخ السِّكَّابِ والحِكَاةِ  
وَأَنَّ الحِمَامَ شيطان ، من جنس المَزاح الذي كُنَّا كُتُبنا به إلى بعض  
إخواننا<sup>(١)</sup> مَن يدَّعي علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الفُطُنَ  
الصِّغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشَّنَقُاقُ والشَّيْصَبَانُ<sup>(٢)</sup> وتنكوير<sup>(٣)</sup> ودركاذاب<sup>(٤)</sup>  
ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغريص<sup>(٥)</sup> ؟ ومن هاتف سعد<sup>(٦)</sup> ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذي صنع فيه الجاحظ رسالة « الترييع والتدوير » .  
(٢) الشنقناق والشيصبان - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيحدث عنهما الجاحظ  
في الجزء السادس . وانظر الثمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » محرفاً .

(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاذاب » .

(٥) الغريص هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولَّاه للثريا صاحبة عمر  
ابن أبي ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له  
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي كان سيد الخزرج ، وكان  
يلقب في الجاهلية بالسكامل ، لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ١٥ وزعموا  
أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباد  
ورميناه بسهمين فلم نخط فواده



وخبّرنا عن بني أقيش<sup>(١)</sup> وعن بني لبنى ، ومن زَوْجُها ؟ وعن بني غزوان  
ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزوبعة<sup>(٢)</sup> ، والميدعان<sup>(٣)</sup> ، وعن النّقار ذى الرقبة<sup>(٤)</sup>  
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم<sup>(٥)</sup> ، وعن أطيّقس اسم كلب  
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لا تنبج من سَمَاهُ<sup>(٦)</sup> ؟ وأين  
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير  
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّيّ ، أُنْهِنَ كُلَّهُنَّ مِسْخٌ [ وكيف خُصَّتْ  
هذه بالمِسْخِ ؟ ] وهل يحلُّ لنا أن نصدّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟  
وكيف صارت الطّبَاءُ مَاشِيَةً الجَنِّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّرُ كلَّ شَيْءٍ  
إِلَّا حَوَافِرَهَا ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشت من ضربتين<sup>(٧)</sup> ؟ ولم صارت  
الأرانب والكلاب والنّعَامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا  
السّوّاحر ؟ وبأى شَيْءٍ زَوَّجَ أَهْلُ السَّعْلَةِ ابنَ يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين  
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت سميت بصبر على يد حرمى

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مردا من قوارير التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبي فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ،  
وقد عجن دواء أصفر لكل ما شرب له ، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ،  
فصار مثلاً فى البركة وحسن الموضع » اهـ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان  
لعبيد الله بن أبي بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ،  
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشعار بأصفر  
سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيّقس » . وفى ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى فى كلب  
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وأبى منصور<sup>(١)</sup> ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه  
شفشف<sup>(٢)</sup> ؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء<sup>(٣)</sup> .  
وشيطان الحماطة ؟ ولم علق السمك المالح بأذنايه [ والطرى بأذانه ]<sup>(٤)</sup> .  
وما بال الفراخ تحمّل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل  
لسانه ممّا يلي الحلق<sup>(٥)</sup> وطرفه ممّا يلي الهواء ، إلّا لسان الفيل ؟ ولم قالت  
الهند : لولا أنّ لسانه مقلوب لتسكّم ؟ ولم صار كل ما ضغ وآكل يحرك فكّه  
الأسفل ، إلّا التماسح [ فإنه<sup>(٦)</sup> ] يحرك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان  
الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بال عين  
الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العقر<sup>(٧)</sup> وما بيضة الديك ؟  
ولم اذنتع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباتى العقوق<sup>(٨)</sup> وما بال لسان سمك  
البحر [ عديما ] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء  
١٥٤ على وجهه<sup>(٩)</sup> ؟ ولم صار القتييل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقبله ذكره ؛

(١) ل : « سمية نصير على يد جرمي . الخ » .

(٢) ل : « سفشف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المالح بأذنايه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكية ، فليس للسمك  
أذن ظاهرة .

(٥) ط : « ممّا يلي الفم » ل : « ممّا يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقر قيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الافتضااض  
أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى  
أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب<sup>(١)</sup> شَيْشَقَةُ البعير وغُرْمُول الحمار [ والبغل ] وكَيْدُ الكوسج  
بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان ؟ ]  
وخَبَرُنِي عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل<sup>(٢)</sup> وإذا أوقدت النارُ  
أَمَسَكَتَ<sup>(٤)</sup> ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة . لنردَّكم إلى  
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر<sup>(٤)</sup> .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطَرَفْتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتي<sup>(٥)</sup>  
إلى أحمد بن عبد الرهّاب الكاتب ، [ فهي مجموعةٌ هناك ] .

### ( أصناف الكلاب )

والكلاب أصنافٌ لا يحيط بها<sup>(٦)</sup> إلّا من أطال الكلام . وجملة  
ذلك أنّ ما كان منها للصيد فهي الضّراء ، وواحدُها ضِرْوَةٌ<sup>(٧)</sup> ، وهي  
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلّا السِّلُوقِيَّةَ ؛ وهي من أحرار الكلاب  
وعتاقها<sup>(٨)</sup> ، والجلّاسية<sup>(٩)</sup> هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيّتها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضنّذع . وفي ط : « تنق » ، والتعيق إنما هو لليوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي  
الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقرأ رسالتي » والرجع « فاقرأ » .

(٦) ل : « لا يحصيا » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » وبحجته كما ترى .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها<sup>(١)</sup> .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلَوقِيَّةِ ، ولكنَّها تقصِّرُ عن السَّلَوقِيَّةِ بعيداً . وسَلُوقٌ من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة<sup>(٢)</sup> :

تَمَدُّ السَّاقِيَّ المَضَاعَفَ نَسْجُهُ      وَتَوَقَّدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَابِ  
وقال الأصمعيّ : سَمِعْتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كَلْبٍ وقد دنا خَطَمُه من عَجَبٍ ذنبِ الظبي<sup>(٣)</sup> وهو يقول : إِيه فِدَتَكَ<sup>(٤)</sup> نفسي !!  
وأنشد لبعض الرجاز<sup>(٥)</sup> :

\* مَفْدِيَّاتٌ وَمَلْعَنَاتٌ<sup>(٦)</sup> \*

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والنَّذالة ، والحرصِ والشَّرهِ<sup>(٧)</sup> ، والبَذاء والتسرُّعِ وأشباه ذلك ، صاروا يشْتَقُّونَ من اسمه لمن هَجَّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

وَاسْتَعْنِ بِالْوَجِبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ      لَمْ يَبْقَ قَبْلَكَ لَامِرِيٌّ ذَهْبُهُ<sup>(٨)</sup>  
يَرُدُّ الحَرِيصَ عَلَى مِتَالِفِهِ      وَاللَيْثُ يَبْعَثُ حَيْنَهُ كَلْبُهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كَلْبِي لَمْ يَأْمِمْ نَاصِبٌ      وَلَيْلَ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إِيهَا » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشدة » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليلة وجبة » . وفي ل : « الوجنات » وهو تحريف .

## (ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما<sup>(١)</sup> اشتقوا من اسمه للأشياء المحموده أكثر -

قال عامر بن الطفيل<sup>(٢)</sup> :

ومدجج يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب<sup>(٣)</sup>

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب<sup>(٤)</sup> بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ، ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [ بن نزار ] . وفيهم من السباع أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب<sup>(٥)</sup> بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وبرة . ومنه بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سكفيلك من ابني نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع<sup>(٦)</sup> ٩٥٢  
والكلبة لقب مئة بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة الذين سمعت بهم - تزوجها خزيمه بن [ النعمان ] من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عذرة<sup>(٧)</sup> الضبعي

(١) في الأغاني ( ١٢ : ٥٠ ) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عني به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان ( دجج ) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزائن الأدب ( انظر ١ : ٩٢ ) برسم ( شبل بن عمرو ) ، وفي الأمل ( ١ : ٤٨ ) ( شبيل بن عروة ) وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر ( شبيل بن عرعة ) وفي القاموس ( شبيل ابن عروة ) وفي ط من الحيوان ( شبيل بن غزرة ) ، وصواب هذا كله ما أثبتته من ل ، وما نبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد في الاشتقاق ١٩٤ جوتنجن . وقد نهت على ذلك في تصحيح الخزائن . =

صاحب الغريب - وكان شيعياً من الغالية <sup>(١)</sup> ، فصار خارجياً من الصُّفْرية - :

بنو كلبية هَرَّارة وأبُوهُمُ خَزِيمَةُ عَبْدُ خَامِلُ الْأَصْلُ أَوْ كَسُ  
وفي مَيَّةَ [ الكلبة ] يقول أبوها ، وهو علاج بن شحمة <sup>(٢)</sup> :

إِنْ تَكُ قَدْ بَانَتْ بِمَيَّةَ غَرْبَةً فَقَدْ كَانَ مِمَّا لَا يُمَلُّ مَزَارُهَا <sup>(٣)</sup>  
دَعَتْهَا رِجَالٌ مِنْ ضُبَيْعَةِ كَلْبِيَّةٍ وَمَا كَانَ يُشْكِي فِي الْمَحُولِ جَوَارُهَا <sup>(٤)</sup>

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم في الرُّقعة التي كانت بإِرمِ الكلبة <sup>(٥)</sup> . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فُهم بن غَنَم بن دُوس إلى أزد شنوءة من السراة <sup>(٦)</sup> أَنْ بَنَى أَخْتَهُ قَتَلُوا كَلْبَةً لَجَارِهِ ، وَكَانُوا أَعَدَّ مِنْهُ <sup>(٧)</sup> فغضب ومضى ، فسمي ذلك النجد الذي هَبَطَ مِنْهُ نَجْدُ الْكَلْبَةِ .

[ وَبَطْشُوج بِأُدُورِيَا نَهْرٌ يَقَالُ لَهُ : نَهْرُ الْكَلْبَةِ ] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب ، وكان أولاً رافضياً ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النجاج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفي ل : « أنجد » . وفي ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عَبَادُ بْنُ أَنْفِ الْكَلْبِ . وَمِنْ ذَلِكَ أَبُو عُمَرَ الْكَلْبُ الْجَرْمِيُّ النَّحْوِيُّ <sup>(١)</sup> ،  
وَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْعَالِيَةِ عَالِمًا ، عَرُوضِيًّا [نَحْوِيًّا] فَرَضِيًّا . وَعَلَوِيَّةٌ <sup>(٢)</sup> كَلْبُ الْمَطْبَخِ ،  
وَكَانَ أَشْرَبَ النَّاسِ لِلنَّبِيدِ ، وَقَدْ رَاهَنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ .

وَالْكَلْبُ : كَلْبُ الْمَاءِ ، وَكَلْبُ الرَّحَى <sup>(٣)</sup> وَالضُّبَّةُ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْكَلْبُ .  
وَكَذَلِكَ الْكَلْبَةُ وَالْكَلْبَتَانِ ، وَالْكَلَّابُ وَالْكَلُّوبُ .

وَقَالَ رَاشِدُ بْنُ شِهَابٍ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى :

أَمْكَنْ كَلَّابَ الْقَنَا مِنْ ثَغُورِهَا وَأَخْضَبَ مَا يَبْدُو مِنْ اسْتَاهَا بِدَمٍ <sup>(٤)</sup>  
[وَقَالَ] :

فَسَوْفَ يَرَى الْأَقْوَامُ دِينِي وَدِينَكُمْ إِذَا كَلْبَتَا قَيْنٍ وَمِقْرَاضُهُ أَزَمَ <sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

مَا زَالَ مَذْكَانٌ غُلَامًا يَسْتَبِرُ <sup>(٦)</sup> لَهُ عَلَى الْعَيْرِ لِكَافٍ وَثَقَرُ  
\* وَالْكَلْبَتَانِ وَالْعَلَاةُ وَالْوَتَرُ \*

وَقَالَ أَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بَنِي مَجَاشِعَ بِأَسْمِهِمْ قَيُونَ : ١٥٣  
يَا عَجَبًا هَلْ يَرْكَبُ الْقَيْنُ الْفَرَسُ وَعَرَقُ الْقَيْنِ عَلَى الْخَيْلِ لَحَسَ <sup>(٧)</sup>  
وَلِنَمَّا أَدَاتُهُ إِذَا جَلَسَ الْكَلْبَتَانِ وَالْعَلَاةُ وَالْقَبَسُ  
وَكَانَ اسْمُ الْمَزْنُوقِ فَرَسِ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ : الْكَلْبُ .

(١) هُوَ صَالِحُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَرْمِيِّ ، مَوْلَى جَرْمِ بْنِ رِبَانَ ، أَخَذَ عَنِ الْأَخْفَشِ وَيُونُسَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ،  
وَحَدَّثَ عَنْهُ الْمُبَرَّدُ وَمَاتَ سَنَةَ ٢٢٥ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو عَمْرٍو » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . انْظُرْ  
تَرْهَةَ الْأَلْبَاءِ ١٩٨ وَبِفَيْةِ الْوَعَاةِ ٢٦٨ وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « عِلْمُوِيَّة » . مُخَرَّفٌ . وَانْظُرِ الْخَيَوَانَ ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرِّحَاء » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) ط : « مِنْ نَحْوَرِهِ » .

(٥) ط : « كَلْبَتَا قَيْنٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي ل : « بَدَم » بَدَلُ « أَزَم » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) ل : « تَسْتَبِرُ » .

(٧) ل : « لَحَسَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَأَشْهَبُ يَهْجُو بِهَذَا الشَّعْرَ الْفَرَزْدَقُ . وَانْظُرْ خَبَرَ الشَّعْرِ  
فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٢ : ٥١٠ بُولَاقُ .

وقد زعمت العلماء أن حرب أيام هراميت<sup>(١)</sup> إنما كان سببه كلب -  
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح :  
كلاب النار .

وقد قال جندل بن الراعي [ لأبيه ] في وقوفه على جرير : مالك تطبل  
الوقوف على كلب بني كليب ؟ !  
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عَلَيْكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنَّا عَذَابُ مُرْسَلُ  
إِنَّ السَّماوَةَ لَاسَماوَةَ فَالْحَقِّي بِمَنابِتِ الزَّيْتونِ وابْنِي بِحَدَلُ<sup>(٢)</sup>  
وبأَرْضِ عَكٍّ في السَّواحلِ إِنَّها أَرْضٌ تَذوبُ بها اللَّقاحُ وتَهْزَلُ  
وقال حصين بن القعقاع<sup>(٣)</sup> يرثي عُتَيْبَةَ بنِ الحارث :

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ خِنْدِفٍ كُلَّها بِعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهابِ  
قَتَلُوا ذُؤاباً بَعْدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ فَشَقَى الغَلِيلَ وَرَبِيبَةَ المَرْتابِ  
يَوْمَ الحَلِيسِ بَذَى الفَقارِ كَأَنَّهُ كَلِبٌ بِضَرْبِ جَماجمٍ وَرِقابِ  
وقال آخر<sup>(٤)</sup> :

لِلَّهِ دُرٌّ بنى الحَداءِ مِنْ نَفَرٍ وَكُلُّ جاريٍّ على جيرانِهِ كَلِبُ  
إِذا غَدُوا وَعِصَى الطَّلحِ أَرَجُلُهُم كَما تَنصَبُ وَسَطَ البِيعَةِ الصُّلْبُ  
وإذا كان العود سريع العلوق في كلِّ زمانٍ أوكلَّ أرض<sup>(٥)</sup> ، أو

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .  
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان ( هراميت ) والعمدة لابن رشيق  
٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س والأغاني ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .



بمعنى عامة ذلك قالوا : ما هو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [ في وزر بن ] جابر <sup>(١)</sup> حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدر كنه أم كلبته »  
يعنى الحمى .

ومما ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو  
الصفة الواحدة من صفاتها ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :  
\* لاقيت مطلاً كنُعاس الكلب <sup>(٢)</sup> \* .

يقول : مطلاً مقرّماً <sup>(٣)</sup> دائماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم كعين الكلب في هبي قباع <sup>(٤)</sup>

قال : هذه أرض ذات غبرة من الجذب <sup>(٥)</sup> لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤  
الذى يهتدى به إلا وهو كأنه عين الكلب ، لأن الكلب أبداً مُغمضٌ  
غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهبي : الظلمة واحداً هاب ، والجمع هبي  
مثل غازٍ وغزى . والقباع : التي قبعَت في القتام ، واحداً قابع ، كما يقبع  
القفند وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرُق الجارات بالليل قابعاً قبوع القرنبي أخلفته مجاعره <sup>(٦)</sup>

والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرنبي : دويبة أعظم من الحنفاء .

(١) كان من وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للشاعبي قول في هذا البيت بشار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني ( أنوم  
من كلب ) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط : « مقرطاً » وليس له معنى يصح . وأصل الترمطة : مقارنة الخطو .

(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني ( كعين الكلب النعاس ) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل : « أسلمته بجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ  
إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عوى متهِمَّ الأسنانِ<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر في منظور بن زبَّان :

لبئس ما خَلَفَ الآباءُ بعدهمُ في الأمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظُورُ  
ومن هذا الضرب قول الأعرابي<sup>(٢)</sup> :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيْنَا لصغرى فتى من أهلها لا يَزِينُها  
كلاب لعاب الكلب<sup>(٣)</sup> إن ساق هَجْمَة

يعذبُ فيها نفسَه ويُهِنُها

وقال عمرو بن معديكرب<sup>(٤)</sup> :

لحا اللهُ جَرَمًا كلِّمًا ذرَّ شارِقَ وجوهَ كِلابٍ هارِشتُ فازبَارَتْ

وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشئتُ نَجَّتني كُمية طِمْرَة ولم أجعل النِّعماءَ لابنِ شَعوب  
وما زال مُهرى مَزَجَرًا الكلبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غَدوةٍ حَتَّى دَنَتْ لِرُغُوبٍ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « إن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتلى سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزائن ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري ٤٢ وحامسة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِعٍ مِنْ الطَّرَفِ حَتَّى خَافَ بِصَبْصَةِ الْكَلْبِ

وَقَالَ شَرِيحُ بْنُ أَوْسٍ (١) :

وَعَيْرَتَنَا تَمَرُّ الْعِرَاقِ وَنَحْلُهُ وَزَادَكَ أَيْرُ السَّكَلْبِ شَيْطَهُ الْجَمْرُ

وَقَالَ آخِرُ (٢) وَهُوَ يَهْجُو قَوْمًا :

فَجَاءَا بِخَرْشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيْهِمَا كِرَادِيسٌ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الْوَلِيدِ :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا : مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ

وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَغُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ ، حِينَ ارْتَشَى ضَمْرَةَ النَّهْشَلِي ، وَنَفَرَ عَلَيْهِ

عِبَادُ بْنُ أَنْفِ الْكَلْبِ الصَّيْدَاوِيِّ (٣) فَتَمَالَ سَبْرَةُ :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أَمْلَكَ هَابِلٌ وَالْحَسْبُكُمْ مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمَّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمَثَلِهَا لَا يُنْشَدُ

شَعَاءٌ فَاقِرَةٌ تَجْدُلُ نَهْشَلًا دَنْسًا تَغُورُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرِّفَاقَ أَمَالَ حَكَمَكَ حُبُّهَا فَلَكَ اللَّقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يَبْصِصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَابْكُنْ دُونَهَا خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابُ شَوْكَتِهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَنًا زَيْفِيَّةً غَلْمٌ يَشُورُ عَلَى الْبَرَاثِنِ أَعْقَدُ

وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَارٍ :

وَإِنَّ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمَّكُمْ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقرى كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمال المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة .

وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بني الصياد . المعمرين ٤٣ .

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحله لتَقْرِيه بالتَّ عايه الثَّعالبُ  
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِ كَرِ الأعضاء .  
وقال :

ياسبِرُ يا عبدَ بنى كِلابٍ يا أيرَ كلبٍ مُوثِقٍ بِبابِ  
أكان هذا أوَّلَ الثَّوابِ يا ورلاً رَقَرَقَ فى سِرابِ  
\* لا يعلِّقَنَّكُم ظُفْرى ونابِ \*

وقال الآخر (١) :

كأنَّ بنى طَهْيَةَ رهطَ سَلَمَى حجارةٌ خارى يرمى السِّكِلابَا  
وقال صاحب السِّكَلَب : ومما اشتقَّ من اسم السِّكَلَب فى موضع ١٥٦  
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائل . ويقال إنَّه قيل فى رجلين  
من بنى ربيعة ما لم يُقَلِّ فى أحدٍ من العرب ، حتَّى ضُربَ بهما المثل ، وهو  
قولهم : « أعزُّ من كليبٍ وائل » ، والآخر : « لآخرٌ بوادى عَوْف » .  
قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّضَ حوضاً ،  
وكان يحمى السِّكَلَا ولا يَتَسَكَّمُ عندهُ إلاَّ خفصاً ، ويجير الصيد ويقول :  
صيدُ أرضٍ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتَّعه (٢)  
فربما قذَف به فى الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقيه بحريم  
الحوض فلا يرُدُّه بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

(١) هو جرير كما فى البيان ٢ : ٢٥٠ . ولبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) كتَّعه بمعنى شدَّ قوائمه . وانظر أمثال الميدانى ١ : ٤٤٦ وانمار ٧٧ .

## ( ما قيل من الشعر في كليب )

وفى ذلك يقول معبد بن شعبة التميمي <sup>(١)</sup> :

أظنَّ ضِرَارُ أَذْنَى سَأْطِيعَهُ وَأُنَى سَأْطِيعِهِ الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ  
إِذْ اغْرُورِقْتَ عَيْنَاهُ وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ وَقَدْ كَادَ غِيْظًا وَجْهُهُ يَتْبَضُّعُ <sup>(٢)</sup>  
تَقَدَّمَ فِي الظِّلْمِ الْمُبِينِ عَامِدًا ذِرَاعًا إِذَا مَا قَدَّمْتَ لَكَ إِصْبَعُ <sup>(٣)</sup>  
كَفَعَلِ كَلِيبٍ كُنْتُ أَنْبَيْتُ أَنَّهُ يَخْلُطُ أَكْلَاءَ الْمِيَاهِ وَيَمْنَعُ <sup>(٤)</sup>  
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَرَانِبُ ضَاخٍ وَالظَّبَاءُ فَتَرَعُ  
وَقَالَ دَرِيدُ بْنُ الصَّمَةِ :

لَعَمْرُكَ مَا كَلِيبٌ حِينَ دَلَّى بِحَبْلِ كَلْبِهِ فِيمَنْ يَمِیحُ <sup>(٥)</sup>  
بِأَعْظَمَ مِنْ بَنِي سَفِيَانٍ بَغِيًّا وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِیحُ <sup>(٦)</sup>  
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كَلِيبٌ بِظُلْمِهِ مِنْ الْعَزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا  
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يُنْزِلُ السَّكْلَبَ مَائِحًا وَإِذْ يُمْنَعُ الْأَكْلَاءَ مِنْهَا حُلُولُهَا <sup>(٧)</sup>  
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا لِكَلِيبِ بْنِ عَهْمَةَ الظَّفَرِيُّ <sup>(٨)</sup> :

(١) هنا ينتهى السقط في ل .

(٢) ط : « يتبضع » .

(٣) ل : « إذا ما أرخيت لك إصبع » .

(٤) ( يخلط ) لعلها ( يخل ) .

(٥) ط : « كليبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يترك الكلب » وتصحيحه من ل . وفى ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا في ل . وفى ط : « عيمة » وفى الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمْتُ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ  
تَبْغِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ  
وإِخَالُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتِكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ<sup>(١)</sup>  
وقال الذابغة الجعدى :

١٥٧

كَلِيبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدَّمِ  
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَهَّمِ  
وقال قَطِرَانُ الْعَبْسِيُّ ، [ وَيُقَالُ الْعَبْسِيُّ<sup>(٢)</sup> ] :

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَائِلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْلُهَا<sup>(٣)</sup>  
أَجَرَ كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَّتْ وَائِلًا حَتَّى اسْتَخَفَّتْ عَقُولَهَا<sup>(٤)</sup>  
بَاهُونَ مِمَّا قُلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا<sup>(٥)</sup>  
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة<sup>(٦)</sup> :

نَحْنُ أَبَسْنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَحَيَّلَا<sup>(٧)</sup>  
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مُتَذَلِّلًا<sup>(٨)</sup>  
وقال رجل من بني سدوس :

وَأَنْتَ كَلِيبِي لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سنانها مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسي » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدث وائلا » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام ، وهي تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفي ط : « أثابته بالناب » وليس بشئ .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أم بكرٍ إذ تبدد رهطها وأن أصبحوا منهم شريد وهالك  
وإن كلاً حييكَ فيهم بقية لو أن المنايا حالها متماسك<sup>(١)</sup>  
كلاب وكعب لا يبيت أخوهم ذليلاً ولا تعيى عليه المسالك<sup>(٢)</sup>  
وقال رجل من بني كلاب من الخوارج<sup>(٣)</sup> ، لمعاوية بن أبي سفيان :  
قد سرت سَيْرَ كليبٍ في عشيرته لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جساسِ  
الطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد، أعيافتُها الآسى<sup>(٤)</sup>

### (أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أول عمل وليه  
الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،  
وعلى أي سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراني أميراً  
إلا على موضعٍ تسترني منه أكمة ، أهون بها عليّ ؟ ! وكرراً راجعاً ، فقيل  
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » .

والعامة تقول : هو أهون عليّ من الاعراب على عركوك<sup>(٥)</sup> .

١٥٨

(١) ل : « وإن كلي حييك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبي العباس .

(٤) المائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عائذها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن

عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .

هذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على

النسخة س .

(٥) كذا .

### (الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولى قبل ذلك ما ولى ،  
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟  
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، وأنت اسمك الحجاج .  
قال : فأنا والله كليب ، أمي سمّيتني به وأنا صبي . فمات ، و [ كان ]  
استخلفَ على الخراج <sup>(١)</sup> يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن  
أبي كبشة .

### (ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنما كانت تسمّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،  
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج  
يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى <sup>(٢)</sup> حجراً  
سمّى ابنه به وتفاعل فيه الشدة <sup>(٣)</sup> والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم  
ما لقي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئباً ، تأوّل فيه الفطنة  
والخبّ والمسكر والكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة  
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعد الصوت ،  
والكسب وغير ذلك .

(١) في الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت  
كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦



ولذلك صوّر عبيد الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدّاً ، وقال :  
 كلب نابج ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطير إلى ذلك فطارت عليه .  
 وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنّما كان يسمّى ابنه بحجر وجبل ،  
 وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجعل ، على هذا المعنى فهلاًّ سَمِي  
 ببرذون<sup>(١)</sup> ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .  
 قال الأوّل : إنّما لم يكن ذلك ، لأنّه لا يكاد يرى بغلا وبرذونا ،  
 ولعلّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عديدة لأموّر لعلّهم  
 يحتاجون إليها يوماً ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد  
 كان يستقيم أن يشتقّ منهما اشتقاقاً محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك  
 ونحن نجده يسمّى بنجم ولا يسمّى بكوكب ! إلّا أنّ بعضهم قد سمّى بذلك  
 عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إِنَّمَا فَهِيَ مِيتَى لَا مَتَّ إِلَّا هَرِمًا يَا كَوْكَبُ  
 ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود<sup>(٢)</sup> ، ولا يسمّون بأحد ولا بشير  
 وأجاء وسلمى ورَضوى ، وصنّيد وحميم<sup>(٣)</sup> ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا  
 رؤوسهم من خيامهم . ويسمون ببرج ولا يسمون بفلك ، ويسمون بقمر  
 وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسمّوا بأرض وسماء ، وهواء ١٥٩  
 وماء ، إلّا على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أنّ جبلاً أبلغ

(١) في الأصل : « سمي برذون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لعاه « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقوني وقالوا لاتغن ولو سقوا ( جبال حنين ) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا<sup>(١)</sup> أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .  
وقد سَمَّوا بأسد وليث وأسامَة وضرغامَة<sup>(٢)</sup> . وتركوا أن يسمَّوا بسبع  
وسبعة . [ وسبع <sup>(٣)</sup> ] هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .  
قال الأول : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوا بأَبان وسلَمَى .  
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت  
لها أسماء تركت لثقلها ، أو لعلّة من العلل ؛ وإلّا فكيف سمَّوا<sup>(٤)</sup> بسلمى  
وتركوا أجاً ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربّما فعلوا ذلك على أن يتَّفَقَ لواحدٍ ولودٍ  
ولمعظمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمّارا ، فيسمَّى ابنه بذلك ؛ وكذلك  
الكلب والذئب ، ولن يتَّفَقَ في ذلك الرقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْرٍ  
أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمّار ، أو نور ، أو كلب اسم رجلٍ معظّم ،  
تتابعت عليه العرب تطيُّرٌ إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصّةً بعده . وعلى  
ذلك سمّت<sup>(٥)</sup> الرعية بنيتها وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك  
صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكلُّ عُمرٍ يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك .  
فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار ،  
وأسماءٌ أُخرٌ مشتقّاتٌ منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامَة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط : « بسما » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمرا . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمى إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

### ( ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية )

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى موضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحملان والمكس . وقال جابر بن خنثي<sup>(١)</sup> :

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم وكما قال العبدى في الجارود<sup>(٢)</sup> :

أيا ابن المعلى خلتنا أم حسبتنا صرارى نعطى الماكسين مكوسا<sup>(٣)</sup>

(١) في الأصل : « خارجي » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان ( مكس ) ، وقصيدته في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاق : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعل ، صحابي كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذي يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سراق الهجد عليك ملود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم؟

وفال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً  
أبا ضمرة! قال: نعمت فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عِمُّ صباحاً أيُّها الطَّلُّ البالي وهل يَعِمُّ مَنْ كان في العَصْرِ الخالي  
وعلى ذلك قال الأول<sup>(١)</sup>:

أَتَوْنا نَارِي فَقُلْتُ مَدُونٌ قالوا سَرَاةَ الْجَنِّ قُلْتُ عِمُّوا ظَلَاماً  
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيّد المطاع: أبيت اللعن،  
كما قيل<sup>(٢)</sup>:

\* مَهْلًا أَيْبَتَ اللَّعْنُ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ \*

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحَيِّيًا بِتَحِيَّةِ الْمُلُوكِ ويقول له: أبيت  
اللّعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفرًا.

وقد ترك العبد أن يقول لسيده ربّي، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ  
البيت. وكذلك حاشية السيّد والمملك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال  
الحارث بن حلزة:

رَبُّنَا وَابْنَا وَأَفْضَلُ مَنْ يَمِ شَيْءٌ وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب  
٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال ليبد حين ذكر حذيفة بن بدر :  
وأهلكن يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنه وربَّ معدِّ بين خَبْتٍ وعَرَعرِ  
وكما عرَّ زيدُ الخليل حاتمًا الطائيَّ في خروجه من طيِّ ومن حرب  
الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول (١) :

وفرَّ من الحربِ العوانِ ولم يكنْ بها حاتمٌ طبًّا ولا متطبًّا  
وريب حصنا بعد أن كان آبياً أبوة حصنٍ فاستقال وأعتباً  
أقيم في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ماتقضت حربنا أن تطربا  
وقال عوف بن محمَّل (٢) ، حين رأى الملك : إنَّه ربِّي وربُّ الكعبة .  
وزوجه أمُّ أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقوَّام الملوك السدنة وقالوا الحجة (٣) .  
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب  
النحوى حين أنشدَه شعر الأسدَى :

ومركضة صريحي أبوها تُهان لها الغلامه والغلام (٥) ٩٦١

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر نسخة دواوين العرب  
١٠٧ والأغانى ( ١١ : ١٢٧ ) وأمثال الميداني ( ٢ : ٣٥٨ ) .

(٢) هو الذى يقال فيه : « لاجر بوادى عوف » . أمثال الميداني ١٦٧ : ٢ . وهو  
من بنى ذهل بن شيبان ، ومن أشرف العرب في الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه .  
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محمَّل الخزاعى ، فإن هذا إسلامى كان  
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التى فيها :  
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجمان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن  
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد  
أخذ عنه أبو عبيدة كما في البنية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهري : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له: فتقول: للجارية غلامه؟ قال: لا، هذا من الكلام المتروك، وأسماءه زالت مع زوال معانيها، كالمربع والنشيطه وبقى<sup>(١)</sup> الصفايا؛ فالمربع: رُبع جميع الغنيمة الذي كان خالصاً للرئيس، وصار في الإسلام الخمس، على ماسنّه الله تعالى. وأما النشيطه فإنه كان للرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استحلّاه. وبقى<sup>(١)</sup> الصفي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم، وهو كالسيف اللّهزم<sup>(٢)</sup> والفرس العتيق، والدروع الحصينة، والشئ النادر.

وقال ابن عَنمة الضبي<sup>(٣)</sup> حليف بني شيبان، في مرثيته بسطام ابن قيس:

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول  
والفضول: فضول المقاسم، كالأشياء إذا قسم وفصّلت فضلة استهانت، كاللواؤة، والسيف، والدروع، والبيضة، والجارية، وغير ذلك.

### ( كلمات إسلامية محدثة )

وأسماء حدثت ولم تسكن، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة، على التشبيه، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم كأبي رجاء العطاردي<sup>(٤)</sup>، بن سالم<sup>(١)</sup>، وشقيق بن سالم؛ ومن الشعراء النابغة الجعدي

(١) كذا ولعلها «نقى».

(٢) س: «الهدام» وهما بمعنى.

(٣) ط: «ابن غنمة» وصوابه في س. وابن عنة هذا هو عبد الله، وهو من شهد القادسية، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام في الحماسة ١: ٤٢٠.

(٤) لأبي رجاء ترجمة في الإصابة ج ٧: ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم.

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنَّهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سَمَّى الأرضَ التي لم تُخفَر قطُّ ولم تحرث إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا      وَالنَّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ

ومنه قيل سقاء مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظَلَمَ الْبِطَاحَ لَهُ انْهَالُ حَرِيصَةٍ      فَصَفَا النَّطَافُ لَهُ بُعِيدَ الْمَقْلَعِ

وقال الآخر :

قَالَتْ لَهُ مَيِّ بِأَعْلَى ذِي سَلَمٍ      لَوْ مَا تَزَوَّرْنَا إِذَا الشَّعْبُ أَلَمٌ

\* أَلَا بَلَى يَامَيَّ وَالْيَوْمُ ظَلَمَ <sup>(١)</sup> \*

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

\* أَنَا أَبُو زَيْنَبٍ وَالْيَوْمُ ظَلَمَ <sup>(٢)</sup> \*

وقال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذْلَةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا      هَرَّتُ الشَّقَاشِقُ ظَلَامُونَ لِلْجَزْرِ

وقال آخر :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ لَمْ تَنْلَى أَذَاتَهُ      ظَلَمْتُ رَفِي ظُلْمِي لَهُ عَامِداً أَجْرُ

وقال آخر :

لَا يَظْلِمُونَ إِذَا ضَيَّفُوا وَطَابَتْهُمْ      وَهُمْ لِحُودِهِمْ فِي جُزْرِهِمْ ظَلَمٌ

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان ( ظلم ) والرجز فيه .

(٢) في الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان في الحق أن تُنحر نحرًا . وظلمهم الجزر<sup>(١)</sup> أيضا أن ينحروها صحاحا سماناً لأعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سُميت بهذا لأنها تنال غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع الشبه في موضعه .

ومن المحدث المشتق ، اسم منافق لمن رآى بالإسلام واستسرى بالكفر أخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدائماء<sup>(٢)</sup> ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحروا ذلك وتوخوه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملاستهم له<sup>(٣)</sup> .

وكما سَمَوْا رَجِيع الإنسان الغائط ، وإنما الغيطان البطون التي كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاء الحاجة للستر .

ومنه العذرة ، وإنما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والنَّزْبِل في أفنيتهم ، سُميت تلك الأشياء التي رَمَوْا بها ، باسم المكان الذي رميت به . وفي الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتِكُمْ » . وقال ابن الرقيّات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هي من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان ( دم ) .

(٣) في الأصل : « صحبته وملاسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفي سنة ٦٥ .

وانظر ص ٢٥٥ .



كان لا يحجبُ الصديقَ ولا يعْتَلُّ بالبخلِ طيبَ العذراتِ  
ولكنَّهم لسكثرةٍ ما كانوا يُلقونَ نجوهم في أفئدتهم سموها باسمها .  
ومنه النُّجو : وذلك أنَّ الرجلَ كان إذا أراد قضاءَ الحاجةِ تَسْتَرُ بنجوة . ١٦٣  
والنُّجو : الارتفاعُ من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهبَ يَنْجُو ، كما قالوا ذهب  
يتغَوِّطُ إذا ذهبَ إلى الغائطِ لذلك الأمر ، ثُمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل  
موضعَ النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهبَ إلى المخرجِ ، وإلى المتوضأ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،  
وإلى الحشِّ ، وإِنَّمَا الحشُّ القطعةُ من النخلِ وهى الحِشَّان . وكانوا بالمدينة  
إذا أرادوا قضاءَ الحاجةِ دخلوا النخلَ ؛ لأنَّ ذلك أَسْر ، فسموا المتوضأ  
الحشِّ ، وإن كان بعيداً من النخلِ ؛ كلَّ ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب  
للخَرءِ ، لأنَّ الاسمَ الخَرءُ ، وكلُّ شَيْءٍ سواه من (١) ورجيع وبراز وزبل وغائط  
فشكله كناية .

ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّةُ موضعُ الخُبْزةِ ، فسموا الخُبْزةَ باسمِ موضعها .  
وهذا عند الأصمعيّ خطأ .

ومن هذا الشكلِ الراويةُ ، والراويةُ هو الجملُ نفسه ، وهو حاملُ المَزَادَةِ  
فسميتِ المَزَادَةُ باسمِ حاملِ المَزَادَةِ . ولهذا المعنى سَمَّوْا حاملَ الشعرِ  
والحديثِ راويةً .

ومنه قولهم : ساقَ إلى المرأةِ صدَاقَها . قالوا : وإِنَّمَا كان يقال ذلك

---

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة .  
وقال شاعرهم :

وليس تِلَادِي من وِرَاثَةِ والدي ولا شَادَ مَالِي مُسْتَفَادِ النَوَافِجِ  
وكانوا يقولون : تَهْنِيكَ النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ  
عيناً وورقاً فلا يقال ساق إليها الصَّدَاق .

ومن ذلك أَنَّهُمْ كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقَبَّة والخيمة  
والخيام<sup>(١)</sup> ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا  
يقال ذلك اليوم . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تُتَحَوَّلُ  
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجور : قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا  
القُحَابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا السكناية عن من زنت وتكسبت  
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

\* إِنَّ السُّعَالَ هُوَ الْقُحَابُ \*

[ وقال<sup>(٢)</sup> ] :

وإذا ما قَحَبْتَ واحِدةً جَاوِبَ المِعْدُ منها<sup>(٣)</sup> فَخَضَفَ  
وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا  
متاعه وعورته وشواره . والشَّوَار : المتاع<sup>(٤)</sup> . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون<sup>(٥)</sup>]   
الأيَر والحِرَّ والامْت .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما في س و م . ومعنى خضف خسرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

( كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد )

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد<sup>(١)</sup> : من ذلك ١٦٤ قوله : « إذا لا ينتطح فيها عزان » . ومن ذلك قوله : « مات حتف أنفه » . ومن ذلك قوله : « يا خيل الله اركبي » ومن ذلك قوله : « كل الصيد في جوف النمر » ، وقوله : « لا يلسع المؤمن من جحر مرتين » .

( شنشنة أعرفها من أخزم )

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، يعني شبه ابن العباس بالعباس . وأخزم : فحل معروف بالكرم .

( ما يكره من الكلام )

وأما الكلام الذي جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن لقل لقيست نفسي » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمن للطاهر إلى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهي عن قول القائل : استأثر الله بفلان ، بل يقال مات فلان . ويقال<sup>(٢)</sup> استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب المغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه قل .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم ، وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنة الله وسنة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحِفٌ ، للمسجد القليل الذَّرْعُ ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه بذلك شبيه .

### ( وجوه تصغير الكلام )

وربما صَغَرُوا الشَّيْءَ مِنْ طَرِيقِ الشَّفَقَةِ وَالرَّقَّةِ ، كَقَوْلِ عُمَرَ : أَخَافُ عَلَى هَذَا الْعَرِيبِ . وَلَيْسَ التَّصْغِيرُ بِهِمْ يَرِيدُ . وَقَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ : إِنَّمَا فُلَانٌ أَخِيَّ وَصُدَيْقِي ؛ وَلَيْسَ التَّصْغِيرُ لَهُ يَرِيدُ . وَذَكَرَ عُمَرُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ كُنَيْفٌ مُلَى عَلِيًّا<sup>(١)</sup> . وَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمَنْذَرِ<sup>(٢)</sup> يَوْمَ السَّقِيْفَةِ : أَنَا جُذَيْلُهَا الْمَحْكُوكِ ، وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ . وَهَذَا كَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ : الْحُمَيْرَاءُ ، وَكَقَوْلِهِمْ لِأَبِي قَابُوسَ الْمَلِكِ : أَبُو قُبَيْسٍ . وَكَقَوْلِهِمْ : دَبَّتْ إِلَيْهِ دَوَاهِيَةُ الدَّهْرِ ، وَذَلِكَ حِينَ أَرَادُوا لَطَافَةَ الْمُدْخَلِ وَدَقَّةَ الْمَسْلَكِ .

(١) كُنَيْفٌ : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فُعِيلٍ في أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقولهم المَعِيدِيَّ ، وكنحو سُلَيْم ، وَضُمَيْر ، وَكَلِيب ، وَعُقَيْر ، وَجُعِيل ، وَحُمِيد ، وَسُعِيد ، وَجُبِير ؛ وكنحو عُيِيد ، وَعُمِيد الله ، وَعُمِيد الرماح <sup>(١)</sup> . وطريق التحقير والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجِيل ونُذِيل . قالوا : وَرُبَّ اسمٍ إذا صَغُرَتْه كان أملاً لِلصَّدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله ، وكعب بن جُعِيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربما كان التصغير خِلقة ١٦٥ وبنية ، لايتَغَيَّر ، كنحو الحُمَيَّا والسُّكَيْتِ ، وَجُنَيْدَة ، والقَطِيعا ، والمَرِيطاء ، والسُّمِيراء ، والمَلِيساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرَى ، وفي كبيدات السماء والثَرَيَا .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقالت : أنا . فقال : أنا ! كأنَّه كره قوله أنا .

وحدَّثني أبو عليُّ الأنصاريُّ ، وعبد الكريم الغِفَارِيُّ قالَا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُيَيْد <sup>(٢)</sup> يجلس في داره ، وكان لا يَدْعُ بابَه مفتوحا ، فإذا قرعَه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحَه له . فأتيتُ البابَ يوماً فقرعته فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ما أعرف أحداً يسمَّى أنا . فلم أَقُلْ شيئاً وقتُ خَلْفَ الباب ، إذ جاء رجلٌ من أهل

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان ففرع الباب ، فقال عمرو : من هذا ؟ فقال : رجل غريب قدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلمّا وجدت فرجةً أردت أن ألق الباب ، فدفع الباب في وجهي بعنف ، فأقمت عنده أياماً<sup>(١)</sup> ثم قلت في نفسي : والله إنني يوم أتغضب على عمرو بن عبّيد ، لغير رشيد الرأي . فأتيت الباب ففرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقالت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجل عند الشعبيّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علّمك ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتّقوا تكذيب الله ، ليتّق أحدكم أن يقول قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبت لم أقله .

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه : لا يقل أحدكم أهريق الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمر رجلاً عن شيء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزينا إن كنّا لانعلم أنّ الله أعلم ؛ إذا سئِلَ أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا علم لي بذلك .

وسمع عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اللهم اجعلني من الأقلين ! قال : ما هذا للدعاء ؟ قال : إنني سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وقليلٌ من عبّادِي الشُّكُور ﴾ وقال : ﴿ وما آمنَ معهُ إلّا قليلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قول الرجل لصاحبه : ضعه تحت إبطك ، وقال :

هَلَّا قُلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنَكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرِاثَ فَرَسٍ بِحَضْرَةِ  
سَالِمَانَ - <sup>(١)</sup> فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّثِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحِجَّاجُ لِأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ <sup>(٢)</sup> : عَمَدْتَ إِلَى مَالِ اللَّهِ  
فَوَضَعْتَهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦  
فَتَلْجُلِجُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَذَعًا أَوْ رَفَثًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذِيكَ .  
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي  
وَأَمْتِي ، وَلَسَكُنْ يَقُولُ : فَتَاىَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولَ الْمَمْلُوكُ رَبِّى وَرَبَّتِى ،  
وَلَسَكُنْ يَقُولُ سَيِّدِى وَسَيِّدَتِى » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَتَائِلِ لِلسَّكَابِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .  
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِمُصَاحِبِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ  
عَيْنًا » ؛ وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعَرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى  
أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ  
أَكْثَرَ مِنَ السَّكْرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوْنَ الْأُمُورَ مَعَ عِلْلِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتِ  
الْمُؤَنَّةُ ، وَلَسَكُنَّ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةً ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ  
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِنْخِبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا  
النُّوعَيْنِ مُشَاهَدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عَمْرًا ، وَوَلَّى عَمْرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ  
بَعْدَ مَنِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْعَثُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَاطِمٌ فِيهَا الْحِجَّاجُ  
وَانْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقْعَةُ دِيرِ الْجَمَّاجِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةً  
وِثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لَا تَسْمُوا الْعِزَّ الْكَرَّمَ ؛ فَإِنَّ الْكَرَّمَ هُوَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ » فما أحسن ما فسر ذلك عبد الرحمن بن مهدي<sup>(١)</sup> قال : وجهه هذا عندنا ، أن القوم قالوا : ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله » . يعنى أن الذى أهلك القرون هو الله عز وجل ، فتوهم منه المتوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أن موسى قال : « لَيْتَ أَنْ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا<sup>(٢)</sup> ، ومعه روح سيفرت<sup>(٣)</sup> . وتقول اليهود : معه روح بعلزبول<sup>(٤)</sup> ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعنى القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لأعرف له نظيراً في الدنيا . توفي بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .



وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهَيْلٌ وبرُدَ الليل . فكره ذلك وقال :  
إنَّ سُهَيْلاً لم يأتِ بحرٌ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد  
كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجلُ للغيمِ والمسحابة : ما أخلقها للمطر !  
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنَّهم من خوفهم عليهم العودَ  
في شيءٍ من أمر الجاهليَّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوه من الكلام الذي فيه ١٦٧  
أدنى متعلِّق .

ورروا أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمته على فمى ، فإنَّما  
يختم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قُزَح . وقال : قُزَح  
شيطان ، وإنَّما ذهبوا إلى التعريب والتلوين ، كأنَّه كره ما كانوا عليه من  
عادات الجاهليَّة . وكان أحبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما  
يقال بيت الله ، وزوَّار الله ، وأرض الله ، وسماؤه الله ، وأسَدُ الله <sup>(١)</sup> .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم  
النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيَّ بعده» . فإلَّا تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح  
فما أعرف له وجهاً إلَّا أن تكون قالت لا تغيروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل  
لكم ، والفيظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضى الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ،  
وقال : ليس الإسلام إلَّا لله <sup>(٢)</sup> عزَّ وجلَّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس  
سهل ، وقد كرهه ابنُ عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث فسر  
الثعالبي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُوا الطريق السُّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبع جنازة .  
كأنه ذهب إلى أنه عني أنه كان في جوفها ، وقال قل تبع جنازة .  
والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ،  
وهي عندي شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .  
وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز  
بدُنَيْنِير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا السكيلة .  
وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال  
يل قولوا : قد قَضَوْا الصلاة ، وقد فرَغُوا من الصلاة ، وقد صَلَّوْا ؛ لقوله :  
﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين  
انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف  
الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أوَّل المنصرفين . وقد كرهه  
ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طامِث ، وكره مجاهد  
قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،  
فعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قواه تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي ﴾

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿١﴾ فَقَدْ قَالَ النَّاسُ يَوْمَ التَّوْبَةِ ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَلَمْ ١٦٨  
يَقُولُوا عَرَفَةَ .

### ( رَأَى النِّظَامَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ وَصُورَ مِنْ تَسْكُلُفِهِمْ فِي التَّأْوِيلِ )

كان أبو إسحاق يقول : لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا  
أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على  
غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن  
عندكم عكرمة ، والكلبي ، والشَّدي ، والضَّحَّاك ، ومقاتل بن سليمان ،  
وأبو بكر الأصبم ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم <sup>(١)</sup> وأسكن إلى  
صوابهم ، وقد قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عزَّ  
وجلَّ لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها ، بل إنما عني الجباه وكل  
ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجبهةٍ وأنفٍ وثفنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه  
ليس يعنى الجمال والثَّوق ، وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلَحَ مِنْضُودٍ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن  
الناس غيروه ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

(١) في الأصل : « بتفسير » .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>  
قالوا : يعنى أنه حَشَرَهُ بِإِلَاحِجَّةٍ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .  
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الودى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف  
كان في الجاهلية قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :  
وادٍ في جهنم ، ثم قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ<sup>(٢)</sup>  
بلغة اليمن .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ  
من وصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هِيَ : سَلٌّ سَبِيلًا إِلَيْهَا  
يا محمد . فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالُوا فَأَيْنَ مَعْنَى تُسَمَّى ، وعلى أَى شَيْءٍ وَقَعَ قَوْلُهُ  
تُسَمَّى فَتُسَمَّى مَاذَا ، وما ذلك الشئ ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْجُلُودُ هُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود  
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أَنَّ كلام الجلد من أعجب العجب !  
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَاذِبًا يَأْكُلَ الْإِنْسَانَ الْطَّعَامَ ﴾ : إِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ  
كناية عن الغائط . كأنه لا يرى أَنَّ في الجوع وما ينال أهله من الذلَّة  
والعجز والفاقة ، وأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ — مَا يُسَكِّنْفِي بِهِ فِي الدَّلَالَةِ  
على أَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ ، حَتَّى يَدْعَى عَلَى الْكَلَامِ وَيَدْعَى لَهُ شَيْئًا قَدْ أَغْنَاهُ  
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

(١) في القاموس : المِقْطَرَةُ : الحُمْرَةُ ، وخَشَبَةٌ فِيهَا خُرُوقٌ عَلَى قَدَرِ سَعَةِ رَجُلٍ الْمُحْبُوسِينَ ،

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إِنَّهُ إِنَّمَا عَنِ قَلْبِهِ . ١٦٩

وَمَنْ أَعْجَبَ التَّأْوِيلَ قول اللّحياني : ( الجبّار ) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً في الضّمّ والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبّاراً على معنى قتّالا ، وتأوّل في ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ أى قتّالاً بغير حقّ . والجبّار : المتكبر عن عبادة الله تعالى ، وتأوّل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾<sup>(١)</sup> ، وتأوّل في ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ أى لم يجعلنى متكبراً عن عبادته ، قال الجبّار : المسلّط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . والجبّار : الله .

وتأوّل أيضاً ( الخوف ) على وجوه ، ولو وجدّه في ألف مكان لقال : والخوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبّار . وهذا كله يرجع إلى معنى واحد ؛ إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصف به إلاّ الله عزّ وجلّ .

### ( تكلف بعض القضاة في أحكامهم )

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي<sup>(٢)</sup> : إنّ أبى أوصى بثلث ماله في الحصون . قال : اذهب فاشتر به خيلاً ، فقال الرجل : إنّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ الحصون ! قال : أما سمعت قول الأسعر الجعفيّ :

(١) في الأصل : « ولم أك » وليس في الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمتُ على تجنُّبي الرَّدى<sup>(١)</sup> أنَّ الحصونَ الخليلُ لا مدْرُ القرى  
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن  
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخليل .

وخبَّرني النُّشروانيّ قال : قلت للحسن القاضي : أوصي جدِّي بثلاث  
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :  
أو ما سمعت قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

بُنُونَا بنو أَبْنَانِنَا وبنَاتُنَا بنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرُّجَالِ الأَبَاعِدِ  
قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًّا .

وقالوا في قوله : مَاسَاءُكَ وَنَاءُكَ : [نَاءُكَ] : أبعدك . قالوا : وساءك<sup>(٣)</sup>  
أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيْنَظَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلُّف .  
وقال ابن قتيبة<sup>(٤)</sup> :

وَحَالُ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ عَلَى الْأَصْلِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَكَلِّفُ  
وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يُؤْتَى القوم إلا من الطمع ، ومن شدَّةِ إعجابهم بالغريب  
من التأويل .

(١) في ط : « الوري » وهو تحريف ما في س .  
(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم  
يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٢٨٧ .  
لكن وجدت البغدادى في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله  
هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وثائك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكثفين  
ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قمتة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

### (رأى في أبي حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبي حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهل الناس بما كان <sup>(١)</sup> !

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لِنَسَائِنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠ الماء الحار في الشتاء ، والبارد في الصيف .

### (الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثّة التي قامت مقامَ الأسماء الجاهليّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجّ : صَّرورة .

وأنت إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبّي <sup>(٢)</sup> :

لو أنّها عَرَضَتْ لَأَشْمَطَ رَاهِبٌ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَبَتِّلٍ  
لَدُنَا <sup>(٣)</sup> لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهْمٌ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزِيلِ

والصَّرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ في مراتب العبادة ، وهو اليومَ اسمٌ للذي لم يحجّ إمّا لعجزٍ ، وإمّا لتضييعٍ ، وإمّا لإنكار <sup>(٤)</sup> . فهما مختلفان كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبّي ، من خضرمي الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفي نحو سنة ٢٠ .

(٣) هي في شعر شبيه بهذا للتأبغة « لرنا » .

(٤) في الأصل : « وأما الإنكار » .

## (ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،  
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألمهم وعلمهم ، وكان ذلك  
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق  
وأوجب طاعة . وكما أن له أن يتبدى الأسماء ؛ فكذلك له أن يتبدى  
مما أحب . . قد سمي كتابه المنزل قرآناً ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،  
وجعل السجود للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً  
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشيء لا يكون إلا  
بالجراحة التي <sup>(١)</sup> كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه  
وعقبا . فواحدة أن يسمى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً  
وإذا كان جحوداً كان شركاً ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك  
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [ به <sup>(٢)</sup> ] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي <sup>(٣)</sup> :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ      وَلَمْ تَرَ نَاراً تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ  
وإنما أخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

\* عوازب لم تسمع بنوح حمامة \*



وذكروا أن الظبي إذا أسنَّ ونبتت لقرونه شُعبُ نَبَج ، وهو قول  
أبي دُوَاد (١) :

وقصرى شَنِج الأُنْسَا ٤ نَبَاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نَبْحاً كأنه نَبَاحُ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَا يُرِيئُهَا  
وَيَبِيضُهَا هُزْلُ الْمَسْوُودِ غَيْرَهَا كَمَا ابْيَضَّ عَنْ حَمَضِ الْمَرَا حِمٍ نَبِيْهَا (٢)  
لأن الظبي إذا هزل ابيض ، والبمير يَشِيب وجهه من أكل الحَمْض .  
وكذلك قال ابن لجأ (٣) :

\* شَابَتْ وَلَمَّا تَدُنْ مِنْ ذَ كَائِهَا (٤) \*

كما قال الآخر :

أَكَلْنُ حَمْضاً فَالْوُجُوهُ شَيْبُ شَرِبْنِ حَتَّى نَزَحَ الْقَلِيبُ  
وقد تصير الناقة الحمراء إذا أتممت حبشية . ولذلك قال الشاعر :

\* حمراء لاحتبشية الإمام \*

وما أشبه ذلك بقول العبدى (٥) :

وداويتها حتى شدت حبشية كأن عليها سُنْدُسَا وَسَدُوسَا

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما فى اللسان ( نبح ) . والقصرى :

أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفاً على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأتثا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيت فى المعاني الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تيم بن عبدمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لجح الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر ثم استحالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفى الأصل : « من ركاها » . وانظر المعاني الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاف . الاقتضاب . . ٤ والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا أَلقت شعرها وطرَّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِيُّ<sup>(١)</sup> :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بَطْنٌ خَبِتَ تَطَلُّ حَمَاهُ مِثْلَ الْخُصُومِ  
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبْطٍ وَرُومِ<sup>(٢)</sup>  
نُبَاحُ الْهَدْهَدِ الْخَوَلِيُّ فِيهِ كَنَبِجُ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْمُتَقِيمِ<sup>(٣)</sup>

ويقال إِنَّ الْهَدْهَدَ يَنْبَحُ . وَرَبَّمَا جَعَلُوا الْهَدْهَدَ ، (الذى ينبح) ،

الحمامَ الذَّكَرَ . قال الشاعر - وهو يصف الحمامَ الذَّكَرَ كيف يصنع فيها - :

وَإِذَا اسْتَرَنَ أَرَنَّ فِيهَا هُدْهُدٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضِبَتْهُ بِجِسَادِ<sup>(٤)</sup>

وقال طُفَيْلٌ فِي الشُّبُوحِ وَالْجَمَاعَاتِ<sup>(٥)</sup> :

وَأَشَعَتْ تَرْهَاهُ الشُّبُوحُ مُدْفَعٌ عَنْ الزَّادِ مِمَّا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلِ<sup>(٦)</sup>

وقال الجَعْدِيُّ<sup>(٧)</sup> :

فَلَمَّا دَنَوْنَا لَصَوْتِ النَّبَاحِ وَلَا نُبْصَرُ الْحَيِّ إِلَّا التَّمَاسَا

وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مُجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتًا مَابَهُ بَحْجُ  
لَا يُدْرِكُ الشُّعْرَاءُ مَنَزَلَتِي فِي الشُّعْرِ إِنْ سَكَنُوا وَإِنْ نَبَحُوا

وقال عمرو بن كلثوم : ١٧٢

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسته وفسرها ( ٢٨٩ - ٢٩١ ) .

(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاح » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .

(٣) هذه في ط . وليست في س .

(٤) ط : « وَإِذَا اسْتَرَنَ » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) في الأصل : « الجماعات » .

(٦) المحتل : السبيء الحال ، ورواية اللسان : « من حرف الدهر » . وفي الأصل :

« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المخصص ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعدي . وانظر الأغاني ( ٤ : ١١٩ ) .

وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا  
وقال بعض العلماء : كلاب الحي شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ،  
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحي كل عقور ، وكل  
ذئ عيون أربع <sup>(١)</sup> .

وأما قوله <sup>(٢)</sup> :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مَقِيدَةِ الْحِمَارِ <sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ <sup>(٤)</sup>  
فالطَّوَاعِينُ <sup>(٥)</sup> هي عند العرب رماح الجن . وفي الحديث : « إن  
الطَّاعُونَ وَخَزَ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال أبو سلمى <sup>(٦)</sup> :

لَا بَدَّ لِلسُّودَدِ مِنْ أَرْمَاحِ رَمَنٍ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ  
وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ  
رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كُلَّمَا كَلَبُ مِنَ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشعر في الحيوان ( ٦ : ٢١٩ ) منسوب إلى « الأسدي » يقوله للحارث الغساني  
وفي آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون في الحرة . اللسان ( رمح ،  
حر ) .

(٤) ط : « رماح الحي » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة في التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « والطَّوَاعِينُ » .

(٦) الرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد في ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كُلِّي جَاهِدًا مِنْ ورائِكُمْ وَأَعْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤْتَبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كُلِّي لِيَعِدَ تَعْرِهَا <sup>(١)</sup> وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابُهَا

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَأَيُّ وَالشَّكَاةِ لَأَلٍ لَأَمْ كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرِّفَاقِ

وقال أبو زبيد <sup>(٢)</sup> :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيًّا كَلَابَهُمْ وَكَفَكَفْتَ عَنْكُمْ كُلِّي وَهِيَ عُقْرٌ

### (هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣٠ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنكم تتبّعتم على الكلب كلّ

شيء هُجِيَ به ، وجعلتم ذلك دليلاً على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد

رأينا الشعراء قد هَجَّوْا الأصنافَ كلّها ، فلم يُفْلِتْ منهم إنسان ولا سبع ،

ولا بهيمةٌ ولا طائرٌ ولا هَمَجٌ ولا حشرةٌ ، ولا رفيعٌ من الناس ولا وضعيعٌ ،

(١) تعر ، كنع : صاح . وفي ط : « تعرها » مخرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر نخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لسنا فصيحا بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية .

الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزائن ٤ : ١٤٣ والسجستانى

فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٨٠ : ٤ قم السكى وزبيد بهيئة الصغير .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالْخُمُولِ ، فَكَفَاكَ بِالْخُمُولِ دِقَّةٌ وَلَوْماً وَقِلَّةٌ  
وَنَذَالَةٌ . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

فَأُبْلِغْ إِيَّاساً أَنَّ عِرْضَ ابْنِ أُخْتِكَمُ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنْ حَسَنَهُ أَوْ تَبَدَّلْ<sup>(١)</sup>

فَإِنْ تَكَذَا طَوَّلِ فَإِنِّي ابْنُ أُخْتِكَمُ

وَكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مَغْتَلِي<sup>(٢)</sup>

فَكُنْ أَسْداً أَوْ ثَعْلَباً أَوْ شَيْبَهَهُ

فَهُمَا تَسْكُنُ أَنْسَبَ إِلَيْكَ وَأَشْكَلُ

فَمَا ثَعْلَبُ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ<sup>(٣)</sup>

وَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِبَالُ أَشْبَلِ

وَلَنْ تَجِدَ الْآسَادَ أَخْوَالَ ثَعْلَبٍ إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بِمَدْخَلِ

فَهَذَا مِنَ الثَّعْلَبِ . وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ<sup>(٤)</sup> :

وَإِنْ كُنَّا زَالِجُ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهْرُ عَلَيْهَا<sup>(٥)</sup> أُمُّكُمْ وَتَسْكَالِبُ

وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاوُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِيَهُ بِالتُّ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

فَقَدْ وَضَعَ الثَّعْلَبُ كَمَا تَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي كَفَاكَ بِهِ نَذَالَةٌ . قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ :

فَمَا عَادَتْ بِذِي يَمَنٍ رُءُوساً وَلَا ضَرَّتْ لِفَرْقَتِهَا نِزَاراً

(١) فِي الْأَصْلِ : فَاصْبِرْ خَشْيَةً وَتَبَدَّلْ « ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَغْتَلٍ » وَالصَّوَابُ « مَغْتَلِي » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ أَوْ « مَغْتَلِي » كَمَا فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَى وَاعْتَلَى : ارْتَفَعَ .

(٣) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « ثَعَالِبُ » .

(٤) فِي ط : « مَزْرُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الشَّامِخِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْنَا » .

كعنزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها<sup>(١)</sup> وترَأْمُ من يُحِدُّ لها الشِّفَارُ

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحر :

إنا وجدنا بني سَهْمٍ وجاملهم كالعنزِ تَعْطِفُ رَوْقِهَا فترَضِعُ  
وقال الفرزدق :

على حينَ لم أتركْ على الأرضِ حَيَّةً ولا نابجاً إلا استقرَّ عقورها  
وكان نَفِيعٌ إذ هجاني لأهلِهِ كباحثةٍ عن مُدِيَّةٍ تستثيرُها  
فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شراً ولا أكثرَ خيراً  
من شاة .

وقال الخريمي<sup>(٢)</sup> :

يا للرجالِ لقومٍ قد ملَّتْهُمْ أرى جوارهمُ إحدى البلياتِ  
ذئبٌ رضيعٌ وخنزيرٌ تُعارِضُها عَقَارِبٌ وَجُنَّ بِحَيَّاتِ<sup>(٣)</sup> ١٧٤  
ما ظنُّكم بأناسٍ خَيْرُ كسبهمُ مُصْرَحِ السُّحْتِ سَمَوْه الأماناتِ  
فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عَجْرَدٍ في بَشَّار :

قد كان في حَيٍّ غزالةٌ شاغلٌ للقرَدِ عن شَتْمِي وفي ثوبانٍ  
أو في سمِيعَةٍ أُخْتِها وشرادِها لمجونها مع سِفْلةِ المُجَانِ  
أو بيت ضيق عروسه وركوبها شرَّ البِغَاءِ بأوكسِ الأثمانِ<sup>(٤)</sup>

(١) ط : « فلاحا » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الخريمي » وهو « الخريمي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

ولكن معاذ الله لست بقاذفٍ بريئاً لسواقٍ لقومٍ نوائح  
وما قلتُ في الأعمى لجهلٍ وأمه ولكن بأمرٍ بينٍ لى واضح  
سأعرضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمه ولست عن القرد ابن بردٍ بصافحٍ  
وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيد بن خنعمٍ أرى القردَ والخنزيرَ مُحْتَبِيَانِ  
أمامَ بُيوتِ القومِ من آل خنعمٍ وراءَ قبيحاتِ الوجوهِ بطنِ  
وقال العتّابي :

اسجدْ لقردِ السوءِ في زمانِهِ وإن تلقاكْ بخنزِرِ وانيه<sup>(١)</sup>  
\* لا سيّما ما دام في سلطانه \*

وقال أبو الشمقمق :

إن رياحَ اللّومِ من شحّه<sup>(٢)</sup> لا يطمع الخنزير في سلّحه  
كفاه قُفلٌ ضلّ مفّاحه قد يئس الحدّاد من فتحه  
وقال خلف بن خليفة<sup>(٣)</sup> :

فسبحانَ من رزقه واسع يعُمُّ به القردَ والقردة

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : السكبر . وانظر

اللسان (قرا ص ٣٦) والمعرّب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شمه » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو جُمِعَ كلُّه لكان مثل هِجاءِ الناس للكلب ، وكذلك لو جمع جميع ما مُدِح به الأسدُ فما دُونُه ، والأمثالُ السائرةُ التي وقعت في حمد هذه الأشياء ، لما كانت كلها في مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنَا في مرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ في قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنما جعلتَ الكلبَ شرَّ الخلق بهذه العلة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قال في الإبل والبقر والغنم أعظم ، فَاسْقِطَ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشْرِكَ بين الجميع في الذمِّ فإنَّكَ متى أنصفتَ في هذا الوجه ، دعاكَ ذلك إلى أن تُنصفَها في تبَّع ما لها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبَّعت ما عليها .



## ( الشرف والجهول في قبائل العرب )

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلاً بيننا يكون عدلاً : إذا استوى  
القبيلان في تقدم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء<sup>(١)</sup> والفرسان  
والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء  
[ في ] الأرحاء<sup>(٢)</sup> وكان الآخر قليل الذرء<sup>(١)</sup> والعدد ، ولم يكن فيم خير  
كثير ولا شر كثير ، خلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم  
الناس<sup>(٣)</sup> ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء  
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلة ونذالة إذا لم  
يكن شر ، وكان محلهم من القلوب محل من لا يغبط الشعراء<sup>(٤)</sup> ، ولا يحسد  
الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرض عامر وجاوزتما الحيين نهذاً وخشعما  
تزيعان من جرم بن ربان إنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محججا<sup>(٥)</sup>  
وإذا تقدم الميلاد ولم يكن الذرء<sup>(١)</sup> وكان فيهم خير كثير وشر  
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجوا ويضرب بهم المثل ،  
ولعل أيضاً أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) الذرء : النسل . وفي الأصل : « الذرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » .  
وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرقوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابهما ما أثبت من س .

(٤) أى يغبطهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يغبط الشعراء » .

(٥) ط : « تزيعان من جرم بن ريان » س : « تزيعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرٍّ ، أمثلَ حالاً في العامة ،  
ممن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيما إذا جاؤروا من يأكلهم  
١٧٦ وحالفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنيّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبساً أقامت في بني عامر ضعفاً ما أقامت ؛ لذهب شطرُ  
شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زهير لما رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه :  
الذلُّ في بني غطفان خير من العزِّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم  
وإن تركوا شيئاً من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاضمهم ، بأكثر من  
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين  
نهكهم وحملوا عليهم ، فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم  
ذلك إلى النَّدَم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً <sup>(١)</sup> ،  
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام <sup>(٢)</sup> في حلفائهم  
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدَّة الصَّولة عليهم .

### ( بكلِّ وادِ بنو سعد )

وقد خرج الأضبط بن قريع السَّعْدِيُّ من بني سعد ، فجاورَ ناساً ،  
فلما رأى مذهبهم وظلمهم ونهكهم <sup>(٣)</sup> ، قال : « بكلِّ وادِ بنو سعد ! »  
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « وتهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عباس بن ربيعة الرُّعْلَى سَيِّدَ بَنِي سُلَيْمٍ ، وقد ناله ضيمٌ في بعض الأُمُر ، فأبى الضَّيْمُ ، فلما حاولَ مفارقتَهُمْ [ إلى ] بَنِي غَنَمٍ عَزَّ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> فقال في كلمة له :

وَأُمُّكُمْ تُزْجِي التَّوَامَ لِبَعْلِهَا وَأُمُّ أُخِيكُمْ كَزَّةُ الرَّحْمِ عَاقِرُ  
وزعموا أَنَّ أَبَا عمرو أَنشدَ هذا الشعرَ <sup>(٢)</sup> ، وخبرَ عن هذه القِصَّةِ في يومٍ  
من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلفَ شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ <sup>(٣)</sup> بالطلاق : إِنَّهُ لَعَرَبِيٌّ  
فِي الْحَقِيقَةِ لَغِيَّةٌ أَوْ لِرِشْدَةٍ !

### (قبائل في شطرها خير كثير)

### (وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شِطْرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر  
شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة .  
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِيٌّ <sup>(٤)</sup> وباهلة ، واليعسوب والطفافة  
فالشرف والخطر في عَبْسٍ وذبيان ، والمبتلى والملقى والمحروم والمظلوم ،  
مثل <sup>(٥)</sup> باهلة وغَنِيٌّ ، ممَّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتَّى كأنَّهم  
آلة <sup>(٦)</sup> للمدارج الأقدام ، ينسكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماشٍ .

(١) في الأصل : « فلما حاول مفارقتهم بني غنم أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يخيى » وإنما هو « غنى » وسيكرر الحديث عن غنى وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليّسوب والطفافة ، وهاربة البقاء<sup>(١)</sup> وأشجع الخشي  
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .  
وجلّ معظم البلاء لم يقع [ إلا ]<sup>(٢)</sup> بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر  
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرّ عنده أحسن حالاً ممن  
فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

١٧٧ اضرب ندى طلحة الطلحات مبتدئا

ببخل أشعث واستثبت وكن حكما<sup>(٤)</sup>

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم

ولا تعدّ لها لؤماً ولا كرمًا<sup>(٥)</sup>

وقد ظرف في شعره فظلم خزاعة ظلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرقيبان<sup>(٦)</sup> الأسديّ :

(١) هاربة البقاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس ( هرب ) ومعجم البلدان ( الهاربة )  
مع المعارف لابن قتيبة ( نسب ذبيان بن بغض ) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبيل بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :

\* بلؤم ( مطلب ) فينا وكن حكما \*

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان والياً على مصر . وقد كان ولي دعبلا

على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغركها » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرقيبان » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرقيبان »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقيبان ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالي ٢ : ٢١١ . وانظر

اللسان وتاج العروس ( ضرر ، مسخ ) .

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر  
وأنت مليخ كلحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مر

وكما قال الشاعر في علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العلباء كالعلباء لا حلو ولا مر  
شيخ من بني الجارو د لا خير ولا شر  
فهذا ونحوه من أشد الهجاء .

والحمول اسم لجميع أصناف النقص كلها أو عامتها ، ولكنه كالسرو  
عند العلماء . وليس ينفعك العامة إذا ضرتك الخاصة .

ومن هذا الضرب تميم بن مر ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففي  
عُكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ، ما ليس في ثور ، وقد سلم ثور إلا  
من الشئ اليسير ، مما لا يرويه إلا العلماء ، ثم حلت البلية وركد الشر ،  
والتحف الهجاء على عُكل وتيم ، وقد شعثوا بين مزينة شيئا ، ولكنهم  
حببهم إلى المسلمين قاطبة ما تهبأ لهم من الإسلام ، حين قل حظ تيم فيه .  
وقد نالوا من ضبة ، مع مافي ضبة من الخصال الشريفة ؛ لأن الأب متى  
نقص ولدته في العدد عن ولد أخيه <sup>(١)</sup> فقد ركبهم الآخرون بكل عزيمة ،  
حتى يروا تسليم المرباع إليهم حظا ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم  
في النوائب ؛ وحتى ربما كانوا كالعضاريط والعسفاء ، والأتباع ، وفي الأتباع  
والدخلاء ، ثم لا يجدون من ذلك بدا ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلواهم ،  
فاستباحوهم ، فرأوا أن النعمة أربح لهم .

(١) في الأصل : « متى نصر ولده في العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان<sup>(١)</sup> على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ  
في الجاهليّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمهم حكم من  
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك  
حيث لا يرفعون رؤوسهم من الذلّ والغرم .

### (الحلف عند العرب)

والحلف<sup>(٢)</sup> ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبة ، وأسد وغطفان  
فإن هؤلاء أقوياء لم يُنهكوا كما نُهكت باهلة وغنيّ ، لحاجة القوم إليهم ،  
١٧٨ ولخشونة مسهم إن تذكروا<sup>(٣)</sup> على حال ؛ فقد لقيت ضبةً من سعدٍ ، وعبسٌ  
من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما<sup>(٤)</sup> لقوا .

وقد رأيت مشقةً ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من  
بنى ذبيان .

وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإن النابغة  
كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة .

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ما » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خثيم<sup>(١)</sup> وسُفيان الثوري ، لما علمت العامة أنَّ في العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولشريف واحدٌ ممن قبلت<sup>(٢)</sup> تيم أكثر من ثور وما ولد .

وكذلك بلعنبر ، قد ابتليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميين وجاهليين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلا الخمش<sup>(٣)</sup> والتنتف .

وربَّ قومٍ قد رضوا بحمولهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قمر رعوسهم حجارةً القذف ، بأبياتٍ يسيِّرها شاعر ، وسوطٌ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إِنْ مَنَافَاً فَفَقْحَةٌ لِدَارِمٍ<sup>(٤)</sup>      كَمَا الظِّلْمُ فَفَقْحَةُ الْبِرَاجِمِ

وقال الشاعر<sup>(٥)</sup> :

وَجَدْنَا الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا      كَمَا الْحَيَاطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خثيم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجه .

(٣) الخمش بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العيني ، ونقلها عنه البغدادى في خزنة

الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد      كما النشوان والرجل الحليم

أريد حباه ويريد قتلى      وأعلم أنه الرجل اللئيم

فإن الحمر من شر المطايا      كما الحيطات شر بني تميم

### (أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد  
والفعل ، مثل ثُمير ، يصير أهله إلى ما صارت إليه ثُمير وغير ثُمير ، فما ظنك  
بالظلم وبمناف وبالحيطات ، وقد بلغ مضرّة جرير عليهم حيث قال :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ ثُمِيرٍ      فَلَ كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كَلَابَا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرِينَ :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَاؤِي      كَمَا وَضَعَ الْهَجَاءُ بَنِي ثُمَيْرٍ

وحتى قال أبو الرُّدَيْنِيّ :

أَتُوْعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي ثُمَيْرٌ      مَتَى قَتَلْتَ ثُمَيْرٌ مَنْ هَجَاها

( بكاء العرب من الهجاء وذ كر بعض من بكى منهم لذلك )

ولأمر ما بكى العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من  
أوّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شهاب<sup>(١)</sup> ، وكما بكى علقمة بن علاثة ،  
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخدّاش<sup>(٢)</sup> بن زهير . وما زال يهجو  
من غير أن يكون [رآه ، ولو]<sup>(٣)</sup> كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و]<sup>(٤)</sup> الذي  
يقع في النفوس من تفضيله ومحبته [و]<sup>(٤)</sup> من إجلاله والرقّة عليه - أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكبر العنبري ، وانظر الحديث في البيان ٤ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « نخراش » .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .



ترى أن التَّيْتِ وغَسَّانَ بن مالك بن عمرو بن تميم<sup>(١)</sup> ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة  
إِلَّا دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ<sup>(٢)</sup> ، وإِلَّا النُّخَّارُ العُذْرِيُّ وإِلَّا الكَيْسُ النَّمْرِيُّ<sup>(٣)</sup> ،  
وإِلَّا صُحَّارُ العَبْدِيِّ ، وإِلَّا ابن شَرِيَّةَ وأبو السَّطَّاحِ<sup>(٤)</sup> وأشباههم ومن شابه  
طريقهم والافتباس من موارِيثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب  
فالرجل منهم عربي تميمي ، فهو يعطى حقَّ القوم في الجملة ولا يقتضى ما عليه  
وعلى رهطه في الخاصَّة . والحُرمان أسوأ حالا في العامة من هذه القبائل  
الحاملة وهم أعدَّ وأجلد .

### ( ما تبلى به القبائل فيصيبها بالحمول )

وبليَّة أخرى : أن يكون القبيلُ متقدِّم الميَّاد ، قليل الذلَّة قليل  
السيادة ، وتبيُّ أن يصير في ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ،  
فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلِّ من رآهم أو سمع بهم ،  
أضعافُ الذي هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .  
ومن شؤم الإخوة أنَّ شرفهم ضعةُ إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنَّ  
شرفهم شرفُ من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم  
وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان  
خيراً له .

(١) في الأصل : « تميم » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) في الأصل : « من حَنْظَلَةَ » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين في فهرسته ١٣١ .

(٣) في الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) في الأصل : « ابن أبي السطاح » وانظر البيان ( ١ : ٣٦٢ ) وما سيأتى في ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعُضتْ قُرَيْشٌ — لما جاءتْ به من الخصال الشريفة الثامنة ؛  
 مِنْ أركانِ كنانة — سَنَامَ الأرضِ وجبلها <sup>(١)</sup> وعينها التي تبصر بها ، وأنفها  
 التي بها تعطس ، فما ظَنُّكَ بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى  
 نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير  
 ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوين إذا برَعَ أحدهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ في الجود  
 والإفضال ، أو في الفُرُوسَة <sup>(٢)</sup> أو في البيان ، فإن كان الآخر وَسْطًا من  
 الرجال ، قصدوا بحسن مآثره في الطبقة السفلى لتبيين البراعة في أخيه ،  
 فصارت قرابته التي كانت مفخرةً هي التي بلغت به أسفل السافلين .  
 وكذلك عَنَزَة بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً في عَنَزَة  
 ومرَّةً في ضَبِيعَة أضجَم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو دَّ كثير من هؤلاء  
 القبائل التي سامت على الشعراء أو على العوامَّ أن يكون فيهم شَطْرُ  
 ماللعنزيين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [ هذه <sup>(٣)</sup> ] القبائل  
 خيرها وشرَّها لكانوا سَوَاءً <sup>(٤)</sup> .

١٨١ وقال صاحب السكاب : ذكرتَ عيوبَ السكاب فقلتَ : السكلب  
 إذا كان في الدار محقَّ أجور أهل الدَّار حتى يأتى على أقصاها ، لأنَّ الأجور  
 إذ أُخذ منها كلُّ يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك  
 أن يأتى على آخرها . وقلتَ : في السكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسية والفروسية : الخدق بركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سعداء » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنع النّوم ليلاً والقائلة نهاراً ، وأن يسمع الحديث . ثمّ الذى على سامع النّباح من المؤنة من الصوت الشديد .  
ولولم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدة صوته إلا بإدامة مجاوبة الكلاب لكان فى ذلك ممّا ينغص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

### (شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أوطاة بن سُهَيْمَة فى بعض افتخاره :

وإني لَقَوَّامٌ إلى الضَّيْفِ موهناً إذا أغدِفَ السَّترَ البَخِيلُ المَوَاكِلُ<sup>(١)</sup>  
دعاً فأجابته كلابٌ كثيرةٌ على ثقةٍ مِنِّي بما أنا فاعلُ  
وما دونَ ضيبي ، من تَلَادٍ تحوزُهُ يدُ الضيف ، إلا أن تُصانَ الحَلَالِلُ  
وقال ابن هرمة :

ومستنجحٌ نبهتُ كلبى لصوتهِ وقلتُ له قُمْ فى اليَفَاعِ فجأوبِ  
فجاء خَفِيَّ الصوتِ قد مسَّهُ الضَّوْى بضربةٍ مسنونِ الغرايِنِ قاضِبِ  
فرحبتُ واستبشرت حتى بسطته<sup>(٢)</sup> وتلك التى ألقى بها كلُّ آئِبِ  
وقال آخر :

هجمناً عليه وهو يَكْعُمُ كلبه  
دعِ الكلبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الكلبُ نَابِحٌ<sup>(٣)</sup>

(١) ط : « إلى الضيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار ( ٣ : ٢٣٩ ) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه فى س .

(٣) قال المرتضى فى أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفاً من أن ينبح ، فيدل عليه » . والبيت للرأى كما فى العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الخطيئة ، وانظر ماسياتى فى نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

نشأتُ غلاماً أتقى الذمَّ بالقرى إذا ضاف ضيف من فزارة راغب  
فإنَّ أبَّ سارٍ أسمعَ الكلبَ صوته  
أنى دون نبحِ الكلبِ ، والكلبَ دائبُ

وقال بشار بن برد :

سقى الله القبابَ بطلَّ عبدى وبالشرقين أيامَ القباب<sup>(١)</sup>  
وأياماً لنا قصرتُ وطالتُ على فُرعان نائمةٍ للكلابِ

وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان<sup>(٢)</sup> :

إذ أنتَ لم تستبقي وُدَّ صحابةٍ على دخنٍ أكثرَ بثَّ المعاتبِ<sup>(٣)</sup>  
ولأنى لأستبقى أمراً السوءِ عُدَّةً لعدوةٍ عريضٍ من الناسِ جانبِ<sup>(٤)</sup>  
أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها  
وقال أحيحة بن الجلاح<sup>(٥)</sup> :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةٍ والَّا بَّاتِ إذ زانها ترائبها  
يا ليتنى ليلةً إذا هجع ال نَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبها  
وقلتَ : وفي الكلبِ قذارةٌ<sup>(٦)</sup> في نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة سُلَّاحه  
وبوله ، على أنَّه لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتَّى يحفر ببرائته وينقبُ  
بأظافره ، وفي ذلك التخريب .

(١) في الأصل : « آثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب في حاسة البحرى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر في الخزانة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصل : « قذرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب المؤكف ، وفي المؤكف من منع النوم ومن  
إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتفزع  
الولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرض للزوّار ، ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع  
المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجحه وتهيجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم  
والوثوب عليهم <sup>(١)</sup> .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرم والأزواج ، والسراري  
والحظيات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقبِع  
وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أشطّ <sup>(٢)</sup> وأنعظ بمحضرتهن ، ولعلهنّ  
يكنّ مغيبات <sup>(٣)</sup> أو محتاجات إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلهنّ ، وإذا  
عجز عن أن يعمهن .

### ( وفد قرحان )

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجمي أمّ أناس من العرب ، أن الكلب  
الذي كان يسمّى قرحان <sup>(٤)</sup> ، كان يأتي أمهم ، حتّى استعدوا عليه ، وحبسه  
في ذلك عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشطّ الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق والتقاوض ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويخاف مثله ، لما بلغ منه عثمان ما بلغ ، حتى مات في حبسه <sup>(١)</sup> . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجَشَّم نَحْوِي وَفَدُّ قَرَحَانَ شَقَّةً      تَظَلُّ بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ  
فَزَوَّدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا      حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْمَرْمَزَانِ أَمِيرُ <sup>(٢)</sup>  
فَأَمَّكُمْ لَا تَرْكُوهَا وَكَلْبَكُمْ      فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ  
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً      يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرُ <sup>(٣)</sup>

### (قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبي أنه أبصر رجلاً يكوم كلبه من كلاب الرعاء ، ومراً بذلك الزُّبَّ العظيم في نفرها - والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحر من المرأة والطَّبية من الأتان والحجر ، والحياء من الناقة والشاة - فزعم أنها لم تعقِد عليه ، ولا ندرى أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما النَّاسُ ففي مُلح أحاديثهم : أَنَّ رجلاً أَشْرَفَ عَلَى رجلٍ وَقَدْ نَاكَ كَلْبُهُ فَعَقَدَتْ عَلَيْهِ ، فَبَقِيَ أَسِيرًا مُسْتَحْزِيًا <sup>(٤)</sup> يَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ . قَالَ : فَصَاحَ بِهِ الرَّجُلُ : اضْرِبْ جَنْدِيهَا . فَأَطْلَقَتْهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْزَاهُ اللَّهُ أَيُّ نِيَّاكِ كَلْبَاتٍ هُوَ !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابطاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابطاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ : « بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ،  
 فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أُبينُ كلبة ، فرأى  
 رأسَ إنسانٍ يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،  
 فتأمل في ذلك (٢) فإذا هو بحارسٍ يملك كلبة . قال : فرجمته وأعلمته أنني  
 قد رأيته ، فصبَّحني من الغد يقرع الباب على ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما  
 جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمضي على وجهك إلى  
 البراري . قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أسألك أن تسرَّ علي ، سترَ الله عليك ،  
 وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلك ، فما اشتبهت من كلبة ؟ ! قال :  
 جُعِلْتُ فِدَاكَ ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو يملك إناثَ  
 الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضَّه ؟  
 قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها  
 في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [ أن ] (٥)  
 يوعبه كلَّه لم تستقرَّ له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور  
 الناس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة ، فقال :  
 لا أدري لعلها لا تعقد عليه ، لأنه لا يُدْخِلُ فيها إلى أصله ، ولعلَّ ذلك أيضاً  
 إنما هو شيءٌ يحدث بين الكلاب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع  
 الالتحام . قال : فقلت : فَطَيِّبٌ هو ؟ قال : قد نكحت عاثةً إناثِ  
 الحيوانات فوجدتهنَّ كلَّهنَّ أطيبَ من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا  
 ١٨٣ دار الماء في صلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فربما التزمت السكبة  
 وأهويت إلى تقبيلها . ثم قال : أما إن الكلاب أطيب شيء أفواهاً ،  
 وأعذب شيء ريقاً ، ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام ، ولو ذهبت  
 أن أنيكها من خلف وثنيت رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظن بي أني  
 أريد غير ذلك فتسكدم في وجهي . قال : فقلت : فإني أسألك بالذي  
 يستر عليك ، هل نزعته عن هذا العمل منذ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة ؟  
 قال : ربما حننت إلى ذلك فأحتبس<sup>(١)</sup> بعهدك . قال : وقلت : وإنك  
 لتحنن إليها ؟ قال : والله إني لأحنن إليها ، ولقد تزوجت بعدك امرأتين ،  
 ولى منهما رجالاً ونساءً ، ومن تعود شيئاً لم يكذب صبراً عنه ! قال :  
 فقلت له : هل تعرف اليوم في الحراس من ينك السكلبات ؟ قال : نعم ،  
 خذ محموديه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارساً  
 الحمائي فإن فارساً كان حارساً وكان قيم حمّام ، وكان حلقياً ، فزعم أنه  
 ناك الكلاب خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبح وتشنج ، حتى كان  
 لا ينيكه أحد . قال : فلم يزَل يحتال السكلب عنده حتى ناكه . قال :  
 وكان معه بخير حتى قتله اللصوص ، ثم أشرف على فارس<sup>(٢)</sup> ، هذا المحتسب  
 الأحذب ، وهو ينك كلبة فرماه بحجر فدمعه<sup>(٣)</sup> .

قال : فالسكلاب كما ترى تُتهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك  
 الرجال ، وليس شيء أحق بالنفي والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمه : أصاب دماغه .



من السباع العادية الوحشية في راحة ، إلا في الفَرْط<sup>(١)</sup> فإن لها غراماً على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامة<sup>(٢)</sup> . وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بغير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمح حمار ، ولعل ذلك يكون في الدهر المرة والمرتين ، ولعل ذلك أيضاً لا ينال إلا عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسلاح تذهبون ، وإلى قسريطين السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى نتن السلاح وقذر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسنور أكثر في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَافَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان ذلك في السنابير مغتفراً ، لانفعاعهم بها في أكل الفأر ، فنافع الكلاب أكثر ، وهي بالاعتقاد أحق . وفي إطلاق ذلك في السنور دليل على أنه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاضه ، فلعمري إنه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرس ولا البرذون والبغل والحمار والتيس في المواضع التي تراها النساء . والكلب ١٨٤ في ذلك أحسن حالا . وقد كرهه ناسٌ إدخال منازلهم الحمام والديكة والدجاج والبط خاصة ؛ لأن له عند السفاد قضيبياً يظهر ، وكذلك التيس من الطباء ، فضلاً عن تيوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم يجري في وجوه كثيرة

(١) للفراط : الندرة . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحام<sup>(١)</sup> خاصة من الاستشارة<sup>(٢)</sup> ، والسكّم بالذنب ، والتقبيل  
الذى ليس للناس<sup>(٣)</sup> مثله ، ثمّ التقبيل والتغزل والتنفّش<sup>(٤)</sup> ، والابتهاج  
بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم]<sup>(٥)</sup> إمكانها  
غير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء ممّا ذكرتم<sup>(٦)</sup> . فلم أفردتم الكلب  
بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرْمُولَ واحدٍ منها ،  
حقّرت بعلمها أو سيّدتها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرْمُول يعارضها فى النوم ،  
وينبّئها ساعة الغفلة ، ويُحدّث لها التمتّى لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما  
تقدر عليه ، وتركتكم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُّ إلى ما هو أخسُّ وأصغرُّ ؟!

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان<sup>(٧)</sup> عند  
العُبث والتعرّض ، والتحكك والتهييج<sup>(٨)</sup> والنحرش ، فلو أن الذى  
يأتى صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العُبث - والصبيان  
أقسى الخلق وأقلهم رحمة - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ،  
بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حذيفة ، نَحَرَ جُوا<sup>(٩)</sup> إلى أقبح ممّا يخرج  
إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يد ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفّس » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهييج » ، والوجه : « التهييج » .

(٩) ط : « ينجرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَّ على صبيٍّ فعقره من تلقاء نفسه ، وإنَّه ليردُّ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضمٍّ ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبه ، ولا في الأرضِ مجوسٌ يموت فيُحزَن على موته ويحمل إلى النابوس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنَّه لا يخفى عليه في شمه عندهم ، أحى هو أم ميّت ؛ للطافةِ حسِّه ، وأنَّه لا يأكل الأحياء<sup>(١)</sup> . فأما اليهود فإنَّهم يتعرَّفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر<sup>(٢)</sup> وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميّتٌ مسحوا آستهُ بدُهْنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقرَامِ

### ( جنایات الديك )

وقالوا : فإذا ذكرتم جنایاتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنایات الديكة أعظمُ من جنایات الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفَّان ، ابن بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعِترَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونه من جنایات الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حَسَكَة بن عَتَّاب<sup>(٣)</sup> ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما في اللسان ( حم ) . وقبل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكر لشتم بني الطماح أهل حمام

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ والبيان : ٤ : ٣٦ .

وقد قر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهد فاعور ، ثم ضربته الحجرة فمات .

ووثب ديك فطمن بصيصته عين<sup>(١)</sup> بنت لثمame بن أشرس ، قال ثمامة : فأتاني الصريح ، فوالله ما وصلت إليها حتى كد وجهها كله واسود الأنف والوجنتان وغارت العينان . وكان شأن هذا الديك - فيما زعم ثمامة - عجباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقال لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك ، فزعم أنه قد وجه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا في ذلك . فلم أبرح حتى اشتريته ؛ وكنت أصونه وجعلته في مكنة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنتي هذه لتنظر إليه ، فساكن هذا جرائي منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتى وطئ في ذواته ثم أقبل ينقر دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان لا تطأه الدجاج<sup>(٢)</sup>

### (نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإن له يداً تشج<sup>(٣)</sup> وأخرى تأسو ، بل ما يدفع الله بحراسته ويحلب من المنافع بصيده<sup>(٤)</sup> أكثر وأغمر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .

(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً مشوراً . وانظروا في الكامل ٧١٠ ليسك . وفي الأصل أيضاً « لا تطأها » وتصحيحه من الكامل ،

(٣) في ط : « تسبح » وهو تحريف ما في س .

(٤) ط : « بعبده » وتصحيحه من س وم .

الغامر لا المنصور ، والفاضل لا الفضول . والذئب يفتق العيون وينقر الأدمغة  
ويقتل الأنفس ، ويشج ولا يأسو ؛ فشره صرف وخيره ممزوج . إلا أن  
يزعموا أنه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى  
البرهان . و [ من ] <sup>(١)</sup> عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من  
الصوص ، ومنع السباع من الماشية ، وموضع تقع الكلب في المزارع -  
وذلك عيان ونفعه عام وخطبه عظيم - بما يدعى من حراسة الديكة  
للشيطان ؛ لم يكايل ولم يوازن ولم يعرف المقايضة ، ولا وقف قط على معنى  
المقابلة <sup>(٢)</sup> ودلّ بذلك على أن مبلغ رأيه لا يجوز رأى النساء .

(المواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون المواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة <sup>(٣)</sup> :

ألم أكُ جاركم فتركتموني لِكلي في دياركم عواء ١٨٦  
وقال الشاعر :

وإني امرؤ لا تشعُر ذؤابي من الذئب يعوى والغراب المحجل  
وقال الشاعر <sup>(٤)</sup> :

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معضم

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت في ديوانه بشرح السكري من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ      لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ  
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى      لَهُ مَعَ إِيَّانِ الْمُهَيَّيْنِ مَطْعَمٌ  
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا      يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ  
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذَّنْبُ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ      عَوَاءُ فَصِيلٍ آخَرَ اللَّيْلِ مُخَلِّ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْهَلٍ طَامَسَةِ أَعْلَامِهِ      يَعْوَى بِهِ الذَّنْبُ وَتَزَقُّو هَامَهُ  
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زُبَّانَ بْنِ مَنْظُورٍ .

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ      ذَنْبٌ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ  
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ      فَوْقَ الْحَصَى حَوْلَ زُبَّانِ بْنِ مَنْظُورٍ  
وَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ (١) :

وَمَعْرُسٍ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ      الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ (٢)  
قَدْ بَثَّ وَهْنًا وَأَرْقَى      ذَنْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جِدْلُ  
فَتَرَكْتَهُ يَعْوَى بِقَفَرَتِهِ      وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ  
بِتَنْوُفَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا      لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ (٣)  
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ (٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذَنْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًا      عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمًا (٥)

(١) كَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَحُكَّامِهِمْ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٦٩١٨ وَالْأَغَانِي ١٢ : ٤٣-٤٧ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ .

(٣) يَجْزَعُهَا : يَقْطَعُهَا ، وَفِي ط : « لِحَبِّ » وَصَوَابُهُ بِالْخَاءِ كَمَا فِي س وَ م .

(٤) مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ : شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الْخَزَانَةِ ٢ : ٤١٩ بُولَاق .

(٥) ط : « مُسْتَشَارٌ » .

إذا هنَّ لم يلحسَنَ من ذى قرابةٍ دماً هُلِسَتْ أجسادُها ولحومُها<sup>(١)</sup>

١٨٧

وقال الأحيمرُ السعديُّ<sup>(٢)</sup> :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوتَ إنسانٍ فكِدْتُ أطيْرُ

وقال آخر<sup>(٣)</sup> :

وعاوى عوىً واللَّيلُ مستحلسُ الندى

وقد زَحَفَتْ للغورِ تاليةُ النِّجمِ<sup>(٤)</sup>

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائراً ، أو مَن يلمسُ القرى ،

ولم يرَ بالليلِ ناراً ، عوى ونبح ، لتجيبه الكلاب ، فيهدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحُ أهلِ الثَّرى يَلْمَسُ القرى

إلينا وممساها من الأرضِ نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

ومُستَنبِحٌ بعدَ الهدوءِ دعوتهُ وقد حانَ من سارى الشَّاءِ طُروق

فهذا من عواءِ الفصيلِ والذئبِ والكلب .

(١) في معجم المرزبانى ٣٩١ :

إذا هن لم يولغن من ذى قرابة دما هاست أبدانها ولحومها

(٢) ط : « الأحمر » وصوابه في س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما في البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للغور » وصوابه في س . وفي الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه في البخلاء

٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

## (ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وحبه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطَّثَرِيَّة (١) :

يا أُمَّ عمرو أنجزى الموعودا وارعى بذلك أمانةً وعهودا  
ولقد طرقت كلابَ أهليكَ بالضَّحَى حتَّى تركتُ عقورهنَّ رُقودا  
يضرِبْنَ بالأذنانِ مِن فرحِ بنا متوسِّداتٍ أذرْعاً وخدودا

وقال الآخر (٢) :

لو كُنْتُ أَجِلُ خمرًا يومَ زرتُكم لم يُنكرِ الكلبُ أنِّي صاحب الدَّارِ  
اسكنُ أتيتُ وريحُ المسكِ يفعمني والعنبرُ الوردُ أذكيه على النار (٣)  
فأنكر الكلب رِيحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزَّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القينِيّ في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمخِي (٤) :

سأمدحُ مالِكا في كلِّ رَكبٍ لقيتُهُم وأتركُ كلَّ رَذُلٍ

(١) في الأصل : « وقال ابن الطَّثَرِيَّة » والوجه ما أثبت . والشعر في البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب : ترجم له أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفعمه : ملا خياشيمه . وفي الأصل : « يعني » ، وصوابه في البخلاء ٢٠٢ . وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفعمني » بالعين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .



فها أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وُبَزَلٍ  
وقد عرَفْتُ كلابَهُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ ونَسِيتُ أَهْلِي  
نَمَتْ بِكَ مِنْ بَنِي شَمَخٍ زِنَادٌ لَهَا ، أَشْتَتَ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلٍ

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عَنيفٌ بَتَسْوَاقِ الْعِشَارِ وَرَعِيهَا وَلَكِنْ بَتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رَفِيقُ  
سَنِيدٍ يَظَلُّ السَّكَلَبُ يَمَضَعُ ثَوْبَهُ لَهُ فِي دِيَارِ الْغَانِيَاتِ طَرِيقُ  
وقال الآخر :

بَاتَ الْحَوِيرُثُ وَالْكَلَابُ تَشَمُّهُ وَسَرَتْ بِأَبْيَضٍ كَالْهَلَالِ عَلَى الطَّوَى  
وقال ذو الرمة :

رَأَتْنِي كَلَابُ الْحَى حَتَّى أَلْفَنِي وَمَدَّتْ نُسُوجَ الْعَنَكِبُوتِ عَلَى رَحْلِي <sup>(١)</sup>

وقال حسان بن ثابت :

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ  
بَيْضُ الْوُجُوهِ نَقِيَّةٌ حُجْرَاتُهُمْ شَمُّ الْأَنْوُفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ <sup>(٢)</sup>  
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وَبَوَّاتُ <sup>(٣)</sup> بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبٍ الْمَبَاةِ وَالْمُسْرَحِ  
كَفَيْتَ الْعُفَاةَ طِلَابَ الْقَرَى وَنَبَحَ الْكَلَابُ لِمُسْتَنْبَحٍ <sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيت » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « أتتني » .  
وفي ط : « على رحل » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بواته في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه في الحيوان ١٣٥ : ٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطَى أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ  
ولو كُنْتُ فِي نَفَقِ زَائِعٍ لَكُنْتُ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ<sup>(١)</sup>

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف السكّاب ، ولكنّه مما ينبغى  
أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال  
أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَايَاتُ مُتَسَوِّكٌ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُوفِ ذَرَاكَا  
وقال البزّار الحلّي ، فى المعنى الأول :

أَلِفَ النَّاسَ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَخُرَّ<sup>(٢)</sup>  
ونال عمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ<sup>(٣)</sup>  
فَبَابِكَ أَلِينُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ آهَلَةٌ عَامِرَةٌ  
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمَعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابِنَهَا الزَّائِرَةُ  
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ  
فَبِنِكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّنَاءُ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ  
وقال هلال بن خثعم<sup>(٤)</sup> :

إِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوٌّ إِلَى اغْتِنَائِهَا

(١) ط : « ولو كنت فى نفق » والوجه ما فى س و م .

(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحمافى .

(٣) للشعر فى الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .

(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها      زَمْوَرًا ولم تأنْسْ إلى كلابِها  
وما أنا بالدَّارِى أَحاديثَ سرِّها      ولا عالمٍ منْ أَىِّ حوكٍ ثيابِها<sup>(١)</sup>  
وإنَّ قِرَابَ البطنِ يكفيكِ ملوهُ      ويكفيكِ سوءاتِ الأمورِ اجتنابِها  
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفَّانة ، وكان  
أسره ثوب بن شحمة العنبريَّ مُجِيرَ الطير<sup>(٢)</sup> :

إذا ما بنجلُ الناسِ هَرَّتْ كلابُهُ      وشَقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها  
فإنِّي جبانُ الكلبِ بيتي موطًا      جَواد إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضميرُها  
ولسكن كلابي قد أُقِرَّتْ وعُودت      قليل على مَنْ يعتريها هَريرُها

### ( هجو الناس يهجو كلابهم )

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاء الكلب ، ليس يراد به  
الكلب ، وإنَّما يراد به هِجَاءُ رجلٍ ، فيجعل الكلبُ وُصْلَةً في الكلام  
ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناسُ به من أسباب  
الكلاب . ولذلك قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ لَيْلٌ مَظْلَمٍ      وَحَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ<sup>(٤)</sup>  
وَأَخْوَكُ مُحْتَمَلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ      وَمُسِيفٌ قَوْمُكَ لَا تُمْ لَا يَحْمَدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان

٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجيء بقوة . وفي الأصل : « نافخة » وإنما الخفيف للريح . وتصحيحها  
من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا بَلُّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ  
فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يَكُ فِي مَنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ  
فهو لم يردْ مدحَ الكلبِ بالجبن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

\* وحفيف نافجة و كلب موسى (١) \*

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهله ، فإنما اللوم على من أسرَه . وإنما  
هذا الضرب كقوله (٢) :

قوم إذا استنبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأُمَّهُمْ بُؤَى عَلَى النَّارِ  
ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حَقَّرَ أمرهم وصَغَّرَهم .  
وقال ابن هرمة :

وإذا تنوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتُهُ عَلَى كِلَابِي (٣)  
وقال ابن مهية :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ شُعْبَى تَشَكَّى حَوَافِرَهَا الدَّوَابِرَ وَالنُّسُورَا  
فلما أنْ طَلَعْنَ بَعِينَ جَعَدِي وَأَهْلَ الْجُوفِ انْ قَتَلُوا غُرُورَا  
ولم يَكُ كَلْبُهُمْ لَيْفِي حَتَّى يُهَارِشَ كَلْبُهُمْ كَلْبَا عَقُورَا  
ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافجة » ، وانظر التنبيه السابق .  
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما هجينا بشعر هو أشد علينا  
من هذا البيت ! » . ديوان المغانى ١ : ١٧٥ .  
(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يَحْسَبُ الْمَجْدَ فُرْصَةً إِلَى أَهْلِهِ أَوْ ذِمَّةً لَا تُخَفَّرُ  
حَيْبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ نَبَاحُهُ كَرِيهُ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ  
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحَيِّ يَتَّبِعُهَا شَحْمٌ يَزِفُّ بِهِ الدَّاعِيَ وَتَرَعِيبُ  
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْكَعُ كَلْبَهُ  
دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر :

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى  
وناركُ كَالْعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ<sup>(٢)</sup>

وقال أعشى بنى تغلب :

إِذَا احْتَلَّتْ مُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكِلَابُ  
فَالْكَلْبُ مَرَّةً مَكْعُومٌ<sup>(٣)</sup> ، وَمَرَّةً مَخْنُوقٌ ، وَمَرَّةً مُوسَدٌ وَمَحْرَّشٌ ، وَمَرَّةً  
يَجْعَلُهُ جَبَانًا ، وَمَرَّةً وَثَابًا ، كَمَا قَالَ الرَّاعِي فِي الْحَطِيطَةِ :

أَلَا قَبِّحَ اللَّهُ الْحَطِيطَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ  
وَقَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ  
وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه في م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) في الأصل : « وتطعم » صوابه في اللسان (كم) .

(٣) في الأصل : « مطعوم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَيْثُ قَرِيَّتِهِ أَلا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ<sup>(١)</sup>

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى قَتِيٍّ إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا

(وقال الآخر :

\* دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ \*

وقال الآخر :

\* أَلا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَاكَ نَابِحٌ \*

وقال الفرزدق :

\* إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدَا<sup>(٢)</sup> ) \*

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ يَتَشَفَّوْنَ بِذِكْرِ

الكلب ، وَيرْتَفِقُونَ بِهِ ، لا على أَنَّ هَذَا الأَمْرَ الَّذِي ذَكَرُوهُ قَدْ كَانَ

على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير<sup>(٣)</sup> :

ولو كنت في نَجْرَانَ أَوْ بَعْمَايَةَ إِذْنُ لَأَتَانِي مِنْ رَبِيعَةٍ رَاكِبٌ<sup>(٤)</sup>

(١) البيت في العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعي . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

\* أَلا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ \*

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناصخين أو القارئ .

والأبيات في ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت في غمدان » .

يُشير الكلابَ آخرَ اللَّيْلِ وَطَوْهُ كَضَبَ الْعَرَادِ خَطْوُهُ مُتَقَارِبٌ<sup>(١)</sup>  
فَبَاتَ يُمَسِّنِنَا الرِّبِيعَ وَضَوْبَهُ وَيَنْظُرُ مِنْ لُقَاعَةٍ وَهُوَ كَاذِبٌ<sup>(٢)</sup>  
فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار<sup>(٣)</sup>  
الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتهما ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها  
ودقَّة حسِّها .

وفما ذكروا من حالة السكاب لسبب القرى من البرد ، والذي يلقي ،  
وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وَأَجْحَرَ الْكَلْبَ مُبْيَضُ الصَّقِيعِ بِهِ  
وَأَلْجَأَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الْحَجَرُ<sup>(٤)</sup>

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا  
وردا ، فقال :

أصبح قلبي صردا لايشتهى أن يردا  
إلا عرادا عردا وصليانا بردا  
وعسكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت  
في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس :  
« وتنتظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على  
شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الحجر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحى  
يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الحزانة ٢ :  
١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الخطيئة :

إذا أْجَحَرَ الكَلْبَ الصَّقِيْعُ اتَّقَيْنَه

بَأَثْبَاجٍ لَا خُورٍ وَلَا قَفِيرَاتٍ (١)

وقال ابن هرمة :

وسلى الجارَ والمعصَّب والأض ياف وهناً إذا تحيَّوا لدياً (٢)

كَيْفَ يَلْقَوْنِي إِذَا نَبَحَ الكَلْبُ ب وراءَ الكُسُورِ نَبْحاً خَفِيّاً

وَمَشَى الحَالِبُ المُبْسِ إِلَى النَّا ب فلم يقر أصفر الحى رياً

لَمْ تَكُنْ خَارِجِيَّةً مِنْ تَرَاثٍ حَادِثٍ ، بَلْ وَرِثْتُ ذَاكَ عَلِيّاً

وقال الأعشى :

وتَبْرُدُ وتَبْرُدُ بَرْدَ رِداءِ العَرَوِ

سِرٌّ فِي الصَّيْفِ رَقَرَقَتْ فِيهِ البَعِيرَا (٣)

وَتَسْخَنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ نُبَاحُهَا الكَلْبَ إِلَّا هَرِيرَا

وقال الهذلي (٤) :

ولَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالفَرَثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرِ الْمُثَرِّينَ دَاعِيهَا

لَا يَنْبَحُ السَّكَلُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ الشَّتَاءِ وَلَا تَسْرِى أَفَاعِيهَا

(١) أْجَحَرَهُ وَجَحَرَهُ : أدخله في الجحر . وفي ط : « أْجَحَرَ » وصوابه في س ، والبيت من قصيدة في ديوان الخطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » ، وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذي يتعصب بالخرق جوعاً ، والرجل الفقير . وفي الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان ( ٢ : ٧٢ ) . وفي الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهي على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه في س و م .

(٤) انظر ماسيأتى من تعليق في ٣ : ٧٥



وقال الفرزدق (١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ وهتَكَتْ

كُسُورَ بُيُوتِ الحَيِّ نَكْبَاءُ حَرْجَفٍ

وجاءَ قريعُ الشَّوْلِ قبلَ إِفَالِهَا يَزِفُ وجاءَتْ خَلْفَهُ وهى زُحَفٌ (٢)

هتَكَتِ الأُطْنَابُ كُلُّ ذِفْرَةٍ لها تَأَمَكٌ من عاتقِ النَّيِّ أَعْرَفٌ (٣)

وباشَرَ راعيها الصَّلَى بلبانه وكَفَّ لحرِّ النارِ ما يتحرَّفُ

وقاتَلَ كلبُ الحَيِّ عن نارِ أهله ليربِضَ فيها، والصَّلا متكنِّفٌ (٤)

وأصبحَ مبيضُ الصَّقيعِ كأنَّه على سَروَاتِ النَّيْبِ قُطْنٌ مُندَفٌ (٥)

تمَّ الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والقصيدة فيه ) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتأملك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يدفنه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفى الأصل :

« ليربض منها والصلا متكنشف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع التلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .

(٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلو المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .



## معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الحدّاع الحَبّ .
٨		: « شكّ العضاه » .
١٣		: « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
١٤		: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رمادك » .
١٧		: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١٢ - ١١	: « ويجعلونها متخيّرة غير مسخرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [ حرر (٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جُمَيْلٌ حُرٌّ » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد [ والذئب والأسد » .
٧		: « ما يكون سلاحه سُلَاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبل » .
	١٦	: « والبند » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت في الحواشي .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [ عند المائدة ] لولدها » .
٣٤	٥ - ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما ينخر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم في الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشئ » .
	١٢	: « مارأيت في أثنائهم من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّة للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

- ص ٣٨ س ١ : « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصل » .
- ٥ - ٦ : « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث .
- الطول من الكد » ، مع إسقاط مافي أثناء الكلام .
- ١٤ : « ونعم الجليس والقعدة » .
- ٣٩ ٢ - ٣ : « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهلك بواذره » .
- ١٣ : « أو روضة تتقلب » .
- ٤٠ ١ : « ويترجم كلام الأحياء » .
- ٦ : « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقسم » .
- ٧ : « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
- ٨ - ٩ : « حين هذه الخصال لم يلبس جديدها ، ولم يقل غربها » .
- وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب ليس ،
- إذا كثر لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
- ٤١ ١ : « بعد الذي أبصرت من يسه » .
- ٥ : « أدبت عرسي » .
- ٨ : « في طلبها ليلة » .
- ١٢ : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
- ٤٢ ٢ : « أحسن مواتاة » .
- ٨ : « والمذاهب القديمة » .
- ١٩ : « لازمة لطبائعهم » .
- ٤٣ ١ : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

- ص س
- ٣ : « معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [ إليه ] من الارتفاق » .
- ٤ - ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .
- والتكملة التي في س ٧ لم ترد في النسخة :
- ٤٤ ٤ : « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجّه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
- ١١-١٠ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبيت » .
- ١٥ : « ومعرفاً لمواقع سد الخلطة ودفع الشبهة » .
- ١٦ : « الأشباح المثل » .
- ٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
- ١٤ : « تكمل بجنسه الذي » .
- ١٧ : « والساكنة الثابتة التي لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
- ٤٦ ٤ : « والذائق [ في ذلك ] نصيباً » .
- ١٠ : « هذه الآلة لكان » .
- ٤٧ ٢ : « مجرى البيان ؛ [ وألحق البيان ] بالقرآن » .
- ١١-١٠ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها ، وهو الوجه » .
- ٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .
- ٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
٩		: « لبطل الطَّرب كلّه » .
١٢		: « لكان [ ذلك ] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت في الحاشية .
٦		: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
٧		: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستمبح الذى لا يستزيدك » .
١٢-١١		: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
٨ - ٩		: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
١٥		: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
٩		: « وانقطاع المادة من قبَله » ، وهو الوجه .
١٠		: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
١١		: « القينى » بدل « العتبى » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [ الشيء ] الذى زهّدك فيه » .
١٠		: « به هذا الظن [ كله ] » .
١١		: « كذا [ وكذا ] » ، في الموضعين .

- ص س
- ١٢ : « أنفق قليلا وأكسب كثيرا » .
- ٥٥ ٢ : « ولا بد من أن تصير كتبه » .
- ٣ : « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
- ١٣-١٤ : « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبي للمال ، وبغضى للمغرم ، لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
- ٥٦ ٥ : « أو كتب أرفاق ورياضات » .
- ٨ : « فى التبيين » .
- ١٤ : « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .
- ١٧ : « وقد رأيتم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .
- ١٨ : « ملوكنا » .
- ٥٧ ٨ : « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
- ١١-١٢ : « بعمود السبح ، والإخبار عن شلقون الهامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
- ٥٨ ١ : « على الناس الإطاعة » .
- ٢ : « الاستبصار والمحنة » .
- ٥ - ٦ : « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط « لا » .
- ٧ - ٨ : « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليط » .
- ٩ - ١٠ : « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزئدهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .



ص	م	
٥٩	٥	: « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعمى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشيء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا يزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقعت في الحاشية .
٦١	٢-١	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذي كان سعى بهم » .
	٣	: « عثرتم بها ، [ قال ] : فقلت » .
	٧	: « ما أشد صبايته » .
	١١-١٢	: « لقد ضيع درهماً من تجود » .
	١٣-١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظري » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف » . وكلاهما صحيح ؛ فإن الرقوق جمع الرق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء : والجلد الرقيق يكتب فيه .
	١٨	: « قط أثخن ولا أنبل » . والثخانة : الحلم والرزانة والنقل في المجلس .
٦٢	٦	: « ولا أمتع من كذاب » بالتاء ، كما توقعت في الحاشية .
	٧	: « [ قال ] فقل له : فقد جاء » ، مع سقوط التكملة التي في نهاية السطر .
٦٣	٣	: « إذا غزوا » .

ص	س	
٤		: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
٦		: « إذا تذكرت منى » .
٧		: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخططن » .
٥		: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
٦		: « وقال الحزين الكندى » .
١١		: « ماتنقضى عبراتى » .
١٤		: « فى نواح » ، و « لم تَعْلَلْ لهم » ، أى لم تتعلل بعلّة .
١٥		: « تنلقط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
١٠		: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
٢		: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
٨		: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١		: « حده لحسامه » .
١٣		: « فى الخط [ والقلم ] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
٢		: « مخلولف السن » .
١١		: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

- ص ٦٨ : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٦-٤ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو الثانى » .
- ١٠ : « هو الثانى » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .
- ٦٩ ٣-٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [ حق ] الحلف والهدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً [ له ] من النسيان » .
- ٧٠ ٧-٦ : « ولا بين العقود و [ بين ] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [ و ] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

- ص س
- ٨ : « أو بها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .
- ٥ - ٤ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .
- ٦ : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد ومارد » .
- ٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٧٥ ٢ - ٣ : « موضع التعجب [ منه ] ، وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .
- ٤ : « المنثور الذي حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعاشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧٦ ٧ - ٦ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [ اللغة ] القوة ، [ وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة ] عليهما » .
٧٨	٤ - ٥	: « أضر من الخطأ في [ بعض ] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦-١٧	: « لم يجد المعين والرافد [ بدءاً من ] التقصير » .
٧٩	١ - ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك » .
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ - ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه المدهر » ، وهو للوجه .
	١٤	: « في سير البُخْتية » ، كما في ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدّوا من معرفة ذلك شدّوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مثنوهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألجئنا »

ص	س	
٨٦	٢ - ١	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .
	٦	: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبدة » .
	١٢	: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان في كل حال إنسانا يدرسه » . صواب
		ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ،
		كما في اللسان ( درس ٣٨٢ ) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧
		بتحقيقنا ففيه : « ويدرسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغيب ويختمر ، ولا يشق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله في النسخة عبارة
		لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم
		وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور » :
٩٥	٩	: « علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتسب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

ص	س	
٣		: « التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأميروزيانا
		إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد
		نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم
		يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١
		س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأميروزيانا إلى نهاية
		س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد » .
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
	٤	: « طريق تد نهج له » .
١٢١	٧	: « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .
	١١	: كلمة « المرى » ليست في النسخة .
١٢٢	١	: كلمة « الخنثين » ساقطة من النسخة .
٢ - ٣		: « كأنها تمررة فقال اليعقوى » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .
٤ - ٥		: « إلا بالخصاء دون الإحصاء » .
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
١٢٣	١	: « وقال يوما » .
٢ - ٣		: « لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه
		لا يحمل إلا الحلال » .

ص	س
٦	: « والخصي » بدل « والخصيتين » .
١١	: « وقد زعم لنا ناس » .
١٢	: « إنما ولدوا له بعد أن نزع بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .
١٨	: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة .
١٢٤	١ : « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :
	ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه
	« محرز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .
٧	: « فقد يزعمون أنهم »
٨	: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصي » .
٩	: « بفرط قوته » .
١٢	: « و [ من ] رقة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢ : « وإن كان الخصي أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
٣	: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦ : « قد أرميت على المائة » ، وأرنبى وأرمى بمعنى .
٧	: « وهى الكبرة »
٩ - ١٠	: « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهراً »
١٢	: « هجرانى للملابسة النساء »
١٥	: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١ : « موت الخاطر »
٢	: « وفيما تحويه من النساء »



ص	س
٨	: « من الخطار »
٩	: « والدواعى لاتطوره »
١٢٨	: « ولم تمتلئ عروقى »
٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن »
١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة »
٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع »
٥	: « لا يمكن ردها [ إلى مكانها ] إلا بعلاج طويل »
٦	: « وظلم يربى [ على الظلم الأول و ] على كل ظلم »
٧	: « فإذا برأ وهو محبوب القضيبي ذو بيضة واحدة »
٩	: « موضع الخاص من بيوتهم »
١٠	: « مقربا [ ومن لذة الإنسال والتمتع ] وخصب العيش منعما »
١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم »
١٢-١٣	: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان محرجا مطردا »
١٣٠	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
٤	: « مجامع [ جلد ] الخصىة »
٦	: « وتنخسف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
٩ - ١٠	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل »
١٥ - ١٦	: « [ و ] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته أجؤه ووجاء » والدابة . يذكر ويؤنث :

- ص س
- ١٣١ ١ : « أما الحُصاء فهو سِل الحُصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والحُصيانِ » . يقال حُصِيَ كما يقال خُصِيَة .
- ٢ - ٣ : « حتى تسقط الحُصيتان والحُصيان . الواحد خُصِيَة . ويقال ملست الحُصيتين أَمْلَسهما » .
- ٨ : « وَقَدِيًّا غَدِيًّا » . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١ - ١٢ : « وأكثر السُفاد يورث الضعف والهزال » .
- ١٣٢ ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
- ١٤ : « وإذا كنوا السكائن »
- ١٣٥ ٣ : « عادات » بدل « عادة »
- ٥ : « الهرمى » موضع « الهرمين » .
- ١٣٦ ١ : « على طول الركوب » .
- ١٨ - ١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »
- ١٣٧ ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم »
- ٦ - ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [ وضياعهم ] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
- ١٣٨ ٥ : « إلهارديا قصير العنق » .
- ٧ - ٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [ لم ] يمكنه الضراب »
- ١١ : « وهزّلا » بدل « وهزّالا » .

- ص س
- ١٥ : « [ وهى الصرصرانية ] » زيادة كلمة « هى » على ما فى ل .
- ٧ ١٣٩ : « [ أنها ] أطول الحمير أعماراً » .
- ٩ - ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حماراً أهلياً » . فلعلها « أهلياً أو وحشياً » .
- ١٤٠ ٤ - ٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن تباذ طلب حماراً أخدرياً فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
- ١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست » .
- ٤ : « و [ من ] تركهم التشاغل » .
- ٥ : « حبب إلى هذا »
- ٦ - ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار ( أن ) بعد لام التعليل كثيراً ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
- ٧ ١٤٢ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيسير مع شدة غلمته »
- ١٠ : « فضلاً على أن يكون بينهما نتائج »
- ٢ ١٤٣ : « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

ص	س	
٩		: « اشتر مرك »
١٠		: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
١٣		: « للناقة من الحوش فيسفدها »
١٦		: « فمنهم من جحد البتة أن تسكون الزرافة » . ومما لحظته
		أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم
		الزاي ، وهي إحدى لغات فيها ، وفي اللسان :
		« وهي الزرافة والزرافة ، والفتح والتخفيف
		أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هي بفتح الزاي
		وضمها مخففة الفاء »
١٤٤	٣	: « من شأن الورداني والراعي »
	٥	: « بسماع الغرائب »
	٥ - ٦	: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا
		والتوحي حقا سلمت الكتب »
١٤٥	٩	: « يحيى بن الجيم » ، و « فيخرج [ من بينهما ] ولد » .
١٤٦	١	: « عبد الرحمن بن [ أم ] الحكم » . وهو خطأ انظر له
		حواشي ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤ .
	٨	: « أراد هو التباعد به » بدل « بعينه »
١٤		: « [ هو ] آدم السنانير وتلك السنورة [ أن تسكون ] حواء
		السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [ وضحك منه ] :
		أو لم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يتبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
٩		: « عظمًا كان أم غيره » ، [ و ] مصمتًا كان أم أجوف .
١١		: « في شدة شفرته وناره » .
١٤		: « وليس على ذلك [ تأويل ] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الخمار » بدل « الخمارين » .
٢		: « لبعض من [ نسكره ] ذكره » .
٤		: « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !
٩		: « من خلوة النساء [ من جميع الأجناس ، قال ] : قلت لا والله لأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
١٥		: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
٤		: « في تركيبه و [ في ] إنسالة » .
٧		: « لهاعظيم » .
١٣		: « المجاش » موضع « المجانيق » ، كما في ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبخوا واشتوا و [ ملَّوا ، و ] ملَّحوا وادَّخروا » .
١٥١	١٢-١٣	: « قليل الإناث ، ولا يكَدَنَّ أيضا يجمعن البيض » .
	١٦	: « الذي دعا إلى القول في الزُّرافة تركيب اسمه ، [ فجعلوا تركيب الاسم ] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
١١		: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والحجاز ، [ وحملوا
		الكلام ] على غير » .
١٣		: « تغت شياطيني وحن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
٥		: « وعلم أنها [ كانت ] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من
		الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في
		« منايع »
٧		: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء
		والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
١٢		: « وجدوا طول أعمار الناس »
١٣		: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
٥		: « الموقوفين على النبذ »

- ص س
- ٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
- ٩ : « فقد كانا من المعمرين »
- ١٠ : « وتميز الصدق فيه من الكذب »
- ١٦ : « إيثار المخفيس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
- ١٥٩ ١ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
- ٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .
- ٩ : « والحبي الشريف » .
- ١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
- ١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »
- ٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتل .
- ١٣ : « ومن جنس البط »
- ١٦١ ٤ : « فتؤدى ، وتصاب فى الهواشة فرد » .
- ٦ : « أن نعمّها بالحرق بالنار » .
- ٧ - ٨ : « من ألف بغير بغير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .
- ١٥ - ١٦ : « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

- ص س
- ١٦٢ ٣ : « لا تملك الشيء » ، كما في ل .
- ١١-١٢ : « فإن [ كان ] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب في ذلك معروف » .
- وهو الصواب
- ١٦٣ ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
- ١٧ : « ثم زاده على قيمته » .
- ١٦٤ ١-٢ : « المعروفين بابتياح متاع اللصوص » .
- ٢ : « من شهد السعانيين » ، وهو تصحيح ماورد في ل :
- « السعانيين » . والسعانيين : عيد من أعياد النصارى .
- ٣ : « وأصحاب المخارجات » كما في ط .
- ٧ : « وخلقطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
- ٩ : « قد قبل من المقوقس [ الحصى ] كما قبل مارية ، و [ أنه ] استخدمه » .
- ١٨ : « أجمل منه وأشف وأخدم لم يزده » .
- ١٦٥ ٣ : « لا يحل اطراده ونفيه » .
- ٦-٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
- ٩ : « تدبيراً أو حكمة » .
- ١٦٦ ٦ : « مطرداً » مكان « مطروداً »
- ٧-٨ : « فالفاجر لا يكون المبغى عليه » ؛ وهو الوجه .
- ٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك المساء لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .



ص	س	
١٦٧	١	: « شئ يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
	٧	: « وتعظيم البعولة »
	٩	: « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ما عندها »
١٦٨	٥	: « الصاحب السوء »
	١١	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شئ من أمور النساء » ، وهو الوجه .
	١٢-١٣	: « و [ عند ] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شئ من أمور الغلمان » .
	١٥-١٦	: « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة »
١٦٩	١	: « داعية إلى الميراثية » !!
	٢-٤	: سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
		لأتحقرن من الأشرار ذا صغر      فالذئب ليس بمأمون على الغم ولا عبوزا على أهل فتفسدها      ولا خصيًّا على مال ولا حرام
	٩	: « فصادف قلبي فارغا فتمكننا » .
١٧٠	١-٢	: « لامرأة [ و ] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولأى وسيدتى ، أشهرت ليلي » .
	١٤	: « أشد لها إشغالا » .
	١٥	: « ملهى في النساء » .
	١٦	: « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

- ص ١٧١ س ١ : « غير متكشّف »
- ٦ - ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
- ١٧٢ س ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التي بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
- ١٠ - ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط في يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
- ١٣ : « ممن كان يخلفه »
- ١٤ : « قد حرق » بدل « [ حزين ] » ، مع سقوط التكملة الثانية في هذا السطر .
- ١٧٣ س ١ : سقطت التكملتان من النسخة
- ٦ : « الماشى المعبى »
- ٩ : « من الشنو والبغضة »
- ١٢ : « وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .
- ١٤ - ١٥ : « إذا بدا لأحدهم في الزرع وفي ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
- ١٧٤ س ١ : « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم »
- ٢ : « أن يحج [ البيت ] » .
- ٩ : « من تعظيمه للدين ، و [ من ] الاحتراق فيه » .
- ١١ : « ولرضى منهم بالمسألة » .
- ١٧٥ س ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصي » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعني أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والا لا أقلع أو أخصي »
	١٠	: « بلغنني ركب النساء » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدود » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذي في النسخة يوافق ما أثبت في الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [ بن عمر ] » ، صوابه : « [ مولى ابن عمر ] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١٣، ١١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	٣، ١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	٢، ١	: « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السمع » .
	٦، ٥	: « عن عرض بذى سيب » ، وهو الوجه .
		والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، أى عن شق وناصية لايبالون من ضربوا . اللسان ( عرض ٣٨ - ٣٩ ) .

- ص س
- ٨ : « وقال ابن كنانة [ وهو ] يصف فرسا » .
- ١٥ : « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
- ١٨٣ ٦ : « كأن شبا طرفه » .
- ١١ : « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
- ١٨٤ ٦ سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .
- ٧ : « لا يلقن ولا يألف » ، وهو الوجه .
- ١٨٥ ٣ : « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا تصأى يصئى . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تصئى به » .
- ١٥ : « ذكروا [ ذلك ] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
- ١٨٦ ٤ : « وأنشد فقط » ، أى بإسقاط باقى العبارة .
- ٥ : « منون قالوا سراة الجن » .
- ١٤ : « ولم تقل جى » .
- ١٥ : « أو ملك الأعجم » .
- ١٨٧ ٢ : « عمرا وقابوس » .
- ٤ : « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم » ، [ قالوا ] : وكان .

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
	٣	: « ينادى [ رجلاً ويقول ]: ياذا القرنين، فقال: فرغم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيَّنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [ لك ] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن مِيم » .
١٩١	٢	: « حتى » [ إنه ] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسْلِمَ الحبل » .
	١٠	: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال
١٩٢	٦	: « فيهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .
	٨	: « التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجنابة على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

ص	س	
	١١	: « وتركوا طراداه » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه في الأرض [ أبداً ] يتشمم » .
	١٣	: « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق
		النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ .
		وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات :
		« وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا
		وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [ وكواسبها ] ، ولا من عتاقها
		وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزواج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا ينازع إلى دجاجه وطروقه »
١٩٦	١	: « ولولم يُخلَق » .
	٧-٨	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
	١٥ و ١٤	: « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن
		بيضه » .
١٩٧	١٠-٩	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت » .

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول السكيت » .
	٤	: « لدى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفى » .
	١٨	: « صغار ومن ديك تنوس غبا غبه » كما في ل .
٢٠٠	١	: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل في حبالك » كما في ل .
	٥	: « سقطت كلمة » فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [ فالأعظم ] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلت وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [ و ] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « في البدن ، وكما ينمي العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
١٥ و ١٤		: « ولا بد لكل ذي قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدور من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

- ص س
- ٦-٧ : « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجنند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفاً ، وآخر يطلب الملك » .
- ٢٠٣ ٣ : « وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يسَخُو ، وَسَخًا يَسْخُو ، لغات ثلاث .
- ٢٠٤ ٤ : « والمكروه بالمحبوب » .
- ٦ : « ومتى بطل التخيّر ذهب التمييز » .
- ١٣ : « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
- ١٥ : « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
- ٢٠٥ ١ : « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
- ٤ : « ولأهل التمييز والروية » .
- ٥ : « والسبع من لطم الدم » .
- ١٠ : « والملمس اللين » .
- ٢٠٦ ٣ : « منافعها هنيئة » .
- ١١ : « بأحق من الثاني في الحق الذي جوزت فيه » .
- ١٣ : « والأسباب المتقيدة » .
- ١٥ : « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .
- ١٦ : « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
- ٢٠٧ ١ : « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .
- ٤-٣ : « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشياً » .
- ١١ و ١٠ : « وإن أئى بالغيث » .



ص	س	
١٣		: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٥	٢٠٨	: « وما نعرف »
٧		: « وأنه صالح لصاحب السِّل »
٩		: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
١١		: « وليسهل مخرج »
١٢		: « ومن الزيتون على زيته والاصطبغ به » ، أى الائتدام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصطبغ به من الإدام ، وفى قوله تعالى « وَصَبْغٌ لِلْآكِلِينَ »
١٣		: « والوقود بشجرتيها و [ على ] ما أشبه ذلك » .
٥	٢٢٢	: « بقتلها وإطرادها »
٧		: « وتقزز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التي بعدها
١٤		: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »
٤	٢٢٣	: « حفظها وإتقانها » .
٥		: « وإهانة اللثام »
٦		: « وذكر [ طول ] ذمائها » ، وهو الوجه .
٦		: « وشدة مُنْهْبا ومعاقدة الذمار » !
٨ - ٩		: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
١١		: « وفهمها وخدمتها » :

- ص ص
- ١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها  
عدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها »  
صوابها « أجزائها » بالراء المهملة  
١ ٢٢٤ : « وسياستها ، والتي لا تلقن منها »  
٦ : « فمن يك عنه »  
٧ : « تظل الكلاب العاويات »  
٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .  
١٢-١٣ : « وقال الخريمي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب  
بغداد » .  
٥ ٢٢٥ : « ويكنى أبا محمد [ في يوسف الشاعر ] » .  
٧ : « خلق بليّ كامن »  
١١ : « فقال الحسن : أيا عجيبي ممن يلغ » .  
١٢-١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج المجنون ،  
فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .  
٣ ٢٢٦ : « وكصنان عرقها »  
٦ : « وضرب بالكلب في ذلك مثلاً فقال » .  
٩ : « إنها امرأة حسناء »  
١٠ : « بذى لسانها »  
١٧ : « وقال [ في ] مثل ذلك » .  
١ ٢٢٧ : « بغير المييد » .  
٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

- ص س
- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعقَى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،  
وقد أورد الخبر في اللسان ( فقق ) وقال : « القَقَّة :  
العِقَى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّة ، إني لأنزع يدي من  
جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدده لتقاء خيشومه » .
- ٢ ٢٢٨ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغض الغريض »
- ١١-١٢ : « لهُ أشد من الأسد ، ولهُ أجرى من الليث الغادى » .
- ١ ٢٢٩ : « وبأن أنفه فى أسلوب »
- ٧ : « نماه لمجد أبٌ أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [ مسلوخ ] التمسكود وبين المصلوب اليابس  
كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى  
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسكود هو المملح
- ٣ ٢٣٠ : « فسماك بالقحر » .
- ٤ : « ويمذى فى لبان »
- ٧ : « ولو أنى أشاء قد أرفأنت » نعماته ويفهم ما أقول » ، وهو  
الوجه ، أرفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحرر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيها » .
	٧	: « حيضاً بيئنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقَبَّ بمعنى يَبِس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقاً لما أثبتته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنُقُ الحمر » ، والأعُنُقُ والعُنُقُ كلاهما جمع للعناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣-١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمة .
	١٧	: « سباطة » بدل « سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذناها [محسها] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	س	
	١٣	: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .
٣		: « يلتقم العذرة ، وزهما لا يستطيع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
٥		: « لا يطيب مالاً ولا ممقوراً » .
١١		: « وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشهوتها للعذرة .
١٤		: « رزق الأنوقين قرنبا وجعل » .
		وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	س	ص
من البيان	من البنيان	١٠	٤٥
لا يعتقه	لا يعتقه	٦	١٦٥
من حمى ركبته	من حمى كبته	٢	١٧٣
ولا ذات	ولا ذات	١	٢٣٤
أكلباً	أكلباً	١٣	٢٥٤
تَراح	تَراح	٣	٢٧٧
للنبي	النبي	٢	٣٣٥
ولا كرمأ	ولا كرمأ	٩	٣٦٠
مُضر	مُضر	١	٣٦١

استدراك وتذييل

ص	س
٧٤	١١
	في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها
	يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد
	ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ،
	وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات
	يوم أوارة الثاني، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ،
	الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم
	شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع
	الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة
	٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان ( أوارة ) .
١٤٩	١١
	(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر
	من ألف سنة . عثرت في صحيفة ( الأخبار ) العدد ٢١٨٩
	بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة
	١٩٥٩ مانصه :
	« دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت
	عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسر إخصائيو الأرصاد
	الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقترب
	السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة
	على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة
	آلاف متر » .
	كتبه

عبد السلام محمد هارون

## أبواب الكتاب

صفحة

- ٣ مقدمة الكتاب
- ١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء
- ١٧٧ ذكر ما جاء في خصاء الدواب
- ٢٢٠ باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق
- ٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها
- ٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس
-